الكافوريّات
وهى المصريّات

قيل : إنَّ السَّبب[١] الذى أوْجب خروجَ أبى الطيّب إلى مصر ، ومدحه كافوراً الأسود : أن سيف الدولة كان يتلوّن عليه ، ولا يثْبت معه على حالٍ واحدة ، ويصغى إلى قومٍ كانوا يغْرونه به ويقعون فيه حسدًا له ، فكَثُر الأذَى عليه من جهته فأجْمَع رأيه على الرحيل من حلب ، فلم يجد بلدًا أدْنى إليه من دمشق[٢] لأن حمْص من عمل سيف الدولة ، فسار إليها حتى نزلها ، وبها يهودىّ من أهل تدْمر يعرف بابن ملك[٣] من قِبَل كافور ، فالتمس منه المدح فثقل عليه ، وغضب ابن ملك[٣] فكتب إلى كافور يخبره أن أبا الطيب عنده[٤] ، وجعلَ كافور يكتب فى إرسال أبى الطيب إليه ، فكتب إليه ابن ملك[٥] أن أبا الطيب قال : « ما أقْصِدُه فإنّه عبد ، وإذا دخلت مصر فإنما قَصْدِى مولاه » فأحفظته[٦] كتبه .

ونَبَتْ[٧] دمشق[٨] بأبى الطيب ، فسار منها إلى الرّملة ، فحمل إليه أميُرها[٩] الحسن بن عبيد الله بن طغج[١٠] هدايا وخلَع عليه ، وحمله على فرسٍ جوادٍ

---

(١) ع : « قال : السبب » .

(٢) ع : « فلم يجد بلدًا يأوى إليه أولى من دمشق » .

(٣) ق ، شو : « مالك » وكان قد لقيه قبل ذلك سنة ٣٢٧ حين نزل على صاحبه أبى على الأوراجّى الكاتب . انظر المتنبى ١ /٢٥٥ .

(٤) ع : عبارة مضطربة : « إن أبا أوكتب تكون أبو الطيب عبده كافور »! ! وفى مقدمة الديوان : « وكتب يكون أبى الطيب عنده إلى كافور » .

(٥) ع : « فى أمر أبى الطيب فكتب إليه ابن مالك » .

(٦) ع : « ما أقصد العبد فإن دخلت مصر فإن قصدى مولاه » . « فأغاظته » .

(٧) نبا بك المنزل : إذا لم يمكن المقام فيه . انظر قوله فى كافور .

وأنت مكلفى أنبا مكانا وأبعد شقة وأشد حالا

(٨) ع : « ونبت الدمستق » تحريف .

(٩) ع : « أسيرها » تحريف .

(١٠) هو أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج : له إمارة فى دولة عمه محمد بن طغج الإخشيد وزوج ابنته ، وكان صاحب الرملة ، قال المتنبى فى مدحه قصيدته التى مطلعها :

أنا لائمى إن كنت وقت اللوام علمت بما بى بين تلك المعالم =

بمركب ثقيل ، وقلّده سيفًا محلّى ، وسأله المدح فاعتذر إليه بالأبيات الرائية وهى قوله :

تَرْكُ مَدحيك كالْهجاءِ لِنفْسى

وقد تقدم ذكرها قبل هذا . واتّصل به أن كافورًا يقول : أترونه يبلغ إلى الرّملة ، ولا يبلغ إلينا ؟! وأنّهُ واجدٌ عليه . ثم كتَبَ كافور من مصر إلى أبى الطيب يستدعيه إلى حضرته ، فلم يمكنه إلاّ المسير إليه ، يظنّ[١] أنّه لا يسومه سوْمَ غيره ، مَنْ منعه من التصرّف فى نفسه .

وكافور هذا عبْد أسود خصىّ لابىّ[٢] مثقوب الشّفة السُّفلى بَطِينٌ ، قبيح القدمين[٣] ثقيل اليدين ، لا فرْق بينَه وبينَ الأَمَة ، وقد سئِل عنه بعضُ بنى هلال بالصعيد ، فقال : رأيت أَمَةً سوداء تأْمرُ وتَنْهى .

ولقدْ كان رسول الرّوم بمصر ، فلما قعد فى مركب راجعًا إلى بلد الرّوم والمسلمون ينظرون إليه قال لهم : ما أعرف أمَّةً أخسّ منكم ! أعوزكم أبيض تملكونه أنفسكم ! وسار ، ووَلىَ كافورٌ هذا أمر بَنى طغج عليهم[٤] ، وَمَلك ماكان فى

= وذلك سنة ٣٣٦ المتنبى ١ /٢٥٥ . ولما نزل أبو الطيب الرملة سنة ٣٤٦ يريد مصر دعاه أبو محمد فأكل معه وشرب وخلع عليه ، وعاتبه على ترك مدحه فقال :

ترك مدحيك كالهجاء لنفسى وقليل لك المديح الكثير

انظر مقدمة الديوان ٢٠٦ والتبيان ٤ /١١٠ وفهرس النجوم الزاهرة ، وسير أعلام النبلاء ، الطبقة العشرين وفيه : « الحسين بن عبيد الله » .

(١) فى الأصول : « فيظن » .

(٢) يقال للأسود : لابىّ ، ولوبى ، ونوبى ، نسبة إلى اللابة وهى الأرض ذات الحجارة السود أو هى الحرة ، والنوب : جيل من السودان ، وبلاد النوبة : موطن ذلك الجيل ، ويقع فى الجزء الجنوبى من بلاد مصر . وقال ياقوت ، اللاب : من بلاد النوب ، يجلب منها صنف من السودان منهم كافور . انظر لسان العرب ومعجم البلدان وشرح البيت الآتى للمتنبى :

كأن الأسود اللابىّ فيهم غراب حوله رخم وبوم

(٣) ع : « قبيح القدمين السفلى » وفى مقدمة الديوان : « ثقيل البدن » : بدل « اليدين » .

(٤) وذلك بعد موت سيده محمد بن طغج الإخشيد سنة ٣٣٥ الذى رقاه حتى جعله من كبار القواد لما رأى فيه من الحزم والعقل وحسن التدبير . قال ابن تغريبردى نقلا عن الذهبى : تقدم عند الإخشيد =

أيديهم ، واستملك العبيد ، وأفسدهم على ساداتهم .

وكان هذا الأسْود لقومٍ من أهل مصر ، يعرفون ببنى عيّاش ، يحمل لهم الحوائج من الأسواق على رأسه ، ويخدم الطبّاخ . مشتراه ثمانية عشر دينارًا [١] وكان ابن عيّاش يربط فى عنقه حبلا إذا أراد النّوم ، فإذا طلب منه حاجته جذبه لسقوطه ! فإنه لم يكن ينتبه بالصياح [٢] فدخل إلى دار ابن طغج [٣] والناس يمدون أيديهم إلى رأسه ! ويصفونه [٤] بصلابة القفا ، فكان الغلمان كلما صفعوه ضحك ! فقالوا : هذا الأسود خفيف الرّوح ، وكلمّوا صاحبه فى بيْعه ، فوهبه لهم ، فأقاموه على الوضوء والخلاء ، ورأى مخاريق ابن طغج وكثْرة كذِبه ، وما يتم لربه [٥] ، فتعلّم ذلك حتى ما يصْدُق فى حرْف ، وأخذ عنه [٦] وزاد عليه ، حتى وضع الكذب فى غير مواضعه فاشتهر به .

ومات ابنُ طغج بدمشق [٧] وولده صغير ، والأسْود يخْدمه ، فأخذ البيعة على النّاس عند موته ، والنّاس يظنّون أنّه قد أمره بأخذها ، وسار غلمانه فى الوقت إلى مصر ، فاقتسموا [٢٧ – ا] الضّياع ، وكانوا ضعفاء فقراء ، فاشتغلوا بما فى أيديهم

= لعقله ورأيه وسعده إلى أن صار من كبار القواد وجهزه الإخشيد بجيش لحرب سيف الدولة الحمدانى . النجوم الزاهرة ٤/١ - ١٠ .

(١) يقول أبو المحاسن ابن تغريبردى : اشتراه الإخشيد من الزياتين وقيل من بعض رؤساء مصر ، ورباه وأعتقه ثم رقاه . النجوم ٤/١ .

(٢) ع : « ولم يكن ينتبه بالصياح » ق . شو : « فإنه لم يكن منتبه فى الصياح » .

(٣) المراد : محمد بن طغج فى ولايته الثانية على مصر من قبل الخليفة الراضى بعد عزل الأمير أحمد ابن كيغلغ وذلك سنة ٣٢٣ . النجوم ٣ /٢٥١ وكانت ولايته الأولى من قبل الخليفة القاهر سنة ٣٢٠ . النجوم ٣ /٢٣٦ وهو أول من لقب بالأخشيد .

(٤) ق : « ويصفعونه » . (٥) ع : « وما يتم له به » . (٦) ع : « وأخذ عنه » مهملة .

(٧) ق : « بالشام بدمشق » . وقد مرض ومات بدمشق فى يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة سنة ٣٣٤ عن ٦٦ سنة ونقل فدفن ببيت المقدس الشريف . ابن تغريبردى ٣ /٢٥٦ .

وكان قد عقد قبل وفاته لولده أنوجور من بعده ، ويقال إنه عقد لولديه منْ بعده : أنوجور وعلىّ وقرر أن تكون الوصاية عليهما لغلامه كافور وكانت سن كافور إذ ذاك لا تتجاوز الخامسة عشرة . انظر مصر فى عهد الإخشيديين ٩٤ .

لا يصدِّقون أنه يبقى لهم .

وتفرّد الأسود بخدمة الصبّى ومالتْ إليه والدتُه ! وهى أمةٌ ؛ لأنه عبد ، وتمكّن من الصبّى والمرأة حتى قرّب من شاء وأبْعَد من شاء ، ونظر النّاس إلى هذا مع صِغَر هممهم وخفّة أنفسهم ، فتسابقوا إلى التقرُّب إليه ، وسعى بعضهم ببعض عنده ، حتى أن الرجل لا يأمن مملوكَه ولا ولَدَه على سرّه ! وصار كلّ عبد بمصر يرى أنه خير من سيّده ، ولا تنبسط يد سيده عليه ، ولا يَسْتبعِد[1] أن يصل إلى أضعاف ما وصل إليه الخصىّ ، حتى ملك الأمر على الصبى ، وصار كل من معه عينًا عليه للأسود ، فلا يقدر أحدٌ أن يكلّمه[2] ويسلّم عليه !

وإذا رآه بعض غلمان أبيه أو غيرهم أسرع هاربا لئلاَّ يقال : إنه كلّمه ! فمن كلّمه أتلفه الأسود ، فلما كبر الصبّى وتبيّن ما هو فيه ، وجعل يبوح بما فى نفسه فى بعض الأوقات على الشرّاب ، وكلّ مَنْ معه[3] عَيْنٌ عليه ، فقدم الأسود فسقاه سمًّا[4] فقتله[5] ، وخلَتْ له مصْر وهان عليه أخوه الأصغر وغيره .

فلما ورد كتاب الأسود على أبى الطيب بالرّملة ، لم يمكنه إلا المسير إليه ، وظنّ أنه لا يسومه سوْم غيره . مِنْ أخْذِ ماله ، وإضْعَاف حاله ، ومنْعِه من التصّرف فى نفسه . وهذه فعال الأسود بكل حرٍّ له محلّ ، يحتال عليه بالمكاتبة والمواعيد الكاذبة ، حتى يصير إليه ، فإذا حصل عنده أخذ عبيدَه وخيلَه وأضعفه عن الحركة ، ومنعه منها ، وبقى مطّرحا يشكو إليه ويبكى بين يديه ولا يعينه على

(١) فى النسخ : « لا يستعبد » .

(٢) ق : « أحدًا يكلمه » . ع : « أحدٌ يكلمه » .

(٣) ق : « من منعه » تحريف .

(٤) فى مقدمة الديوان : « فنزع الأسود منه فسقاه شيئا فقتله » .

(٥) واسمه : أبو القاسم أنوجور . وأنوجور : اسم أعجمى معناه بالعربية محمود وقد ولاه الخليفة المطيع على مصر والشام وعلى كل ما كان لأبيه من الولاية . فإن أباه كان قد استخلفه وجعله ولىّ عهده . فأقره الخليفة على ما عهد له أبوه . وتوفى سنة ٣٤١ وكانت مدة ولايته ١٤ سنة .

ولما مات أنوجور أقام كافور أخاه عليًّا بن الإخشيد مكانه وأقره الخليفة المطيع وقويت شوكة كافور فى ولاية علىّ أكثر مما كانت فى ولاية أخيه . انظر النجوم الزاهرة ٣ /٢٩٣ و ٣٢٥ - ٣٢٧ .

المُقام ، ولا يأذن له فى الرّحيل ، وإن رحلَ عن غير إذنه غرّقه فى النيل ، ولا يصْفُو قلبه إلا لعبد ، كأنه يطلب الأحرار بحقْد[١] .

فلما قدم عليه أبو الطيّب أخلَى له دارًا وَوكَّلَ بَه ، وأظهر التّهمةَ لهَ ، وطالبه بمدحه[٢] ، وخلع عليه ، وحمل إليه آلافًا من الدراهم وغيرها[٣] .

(٢٤٣)

فقال أبو الطيب يمدحه [لما وفد عليه] فى جمادى الآخرة[٤] سنة ست وأربعين وثلاث مئة[٥] [ويعرّض بسيف الدولة]

١- كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

الباء فى « بك » زائدة ، والتقدير : كفاك داءً ، وليست هذه الباء مثلها فى قوله تعالى : (وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدا)[٦] (وكَفَى بنَا حَاسِبين)[٧] لأن هاهنا زِيَدت الباء على المفْعول ، وفى الآية زيدت على الفاعل ، والفاعل فى البيت قوله : « أَنْ تَرَى » و « داءً » نصب على التمييز . و « الأمانىّ » أصلها التثقيل ، والتّخفيف جائز[٨] .

---

(١) فى مقدمة الديوان : « بحقه » .

(٢) فى مقدمة الديوان : « وطالبه بمدحه فلم يفعل فخلع عليه » إلخ .

(٣) ع : « وخلع عليه آلاف من الدراهم » ومقدمة الديوان : « فخلع عليه وحمل إليه آلافًا من الدراهم » .

(٤) هذا هو ما فى الواحدى وفى الديوان : « جمادى الأول » .

(٥) الواحدى ٦٢٣ : « وقال أبو الطيب يمدح كافورًا الإخشيدى فى جمادى الآخرة سنة ٣٤٦ » « المصريات الكافوريات » . التبيان ٤ /٢٨١ : « وقال يمدح كافورًا سنة ست وأربعين وثلاثمائة » . الديوان ٤٣٥ وما بعدها : نص هذه المقدمة مع اختلاف يسير فى الألفاظ . العرف الطيب ٤٧١ .

(٦) سورة النساء ٤ /٧٩ والفتح ٤٨ /٢٨ .

(٧) سورة الأنبياء ٢١ /٤٧ .

(٨) يذكر صاحب التبيان أن تخفيفها لغة . والمحذوفة الياء الأولى المنقلبة عن واو لأن أصلها « أمنوية » ثم غيرت .

يقول : كفاك من الداء وأذيّة الزّمان ، ما تستشفى منه بالموت[١] ! وماتتمنى معه الموت ! إذ الموت غاية الشدائد[٢] ، فإذا تمنّاه المرء فقد تمنى كلّ شدة .

٢- تَمَنَّيْتَهَا لَمَّا تَمَنَّيْتَ أَن تَرَى صَدِيقًا فَأَعْيا ، أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا

يقول : تمنّيتَ الموت ، لما تمنّيتَ أن ترى صديقًا مخلصًا فى صداقته ، أو عدوا مساترًا [٢٩٧ - ب] للعداوة[٣] فأعيا عليك وجود ذلك ، فلما لم تجد إلا صديقًا غير مخلص[٤] وجدت عدوا مظهرًا للعداوة ، تمنيت[٥] الموت[٦] .

٣- إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ فَلاَ تَسْتَعِدَّنَّ الْحُسَامَ الْيَمَانِيا

اسْتَعَدَّ وأعَدَّ بمعنًى .

يقول : إذا رضيتَ بالذلّ ، وصبرتَ على الضيم ، فلا معنى لاستعداد السيف ، لأن السّيف يُراد لدفع الضّيم . ومثله لأبى العتاهية[٧] :

فَصُغْ مَا كُنْتَ حَلَّيْتَ بِهِ سَيْفَكَ خَلْخَالاَ
فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَّالاَ[٨] ؟

ومثله لعبد الرحمن بن دارة :

---

(١) ع : « ما يستشفى عنه بالموت » .

(٢) ع : « غاية الشدة . . . غاية الشدة » .

(٣) ق : « أو عدوا ساتر العداوة » .

(٤) ع : « فلما لم تجد للأصدقاء غير ذلك مخلصا » .

(٥) ق . شو : « فتمنيت » .

(٦) قال الواحدى : وهذا تفسير الداء المذكور فى البيت الأول .

(٧) هو : إسماعيل بن القاسم . وأبو العتاهية كنية غلبت عليه لأنه كان يحب الشهرة . والمجون . فكنى لعتوه بذلك . ويرمى بالزندقة مع كثرة أشعاره فى الزهد والمواعظ وذكر الموت والنار والجنة . ويقول بن المعتز : والذى يصح أنه كان « ثنويا » له ترجمة فى الأغانى ٣ /١٢٦ و ١٢٨ وابن خلكان ١ /١٢٥ - ١٣٠ ومعاهد التنصيص ٢ /٢٨٥ وطبقات ابن المعتز ٢٢٨ .

(٨) ديوانه ٦٠٨ والأغانى ٤ /٢٧ ط الدار ومعاهد التنصيص ٢ /٢٩٣ .

فإنَ أنْتُمُ لَمْ تَثْأَروا[١] بأخيكم فكُونُوا بغايَا لْلخُلُوقِ وِلْلُكحْلِ[٢]
وَبِيعُوا الرَّدَيْنِيَّات بالخُمرِ وَاقْعُدوا عَلَى الذّلِ وَابْتَاعُو المغَازِل بِالنَّبْلِ[٣]

٤- وَلا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لِغَارةٍ وَلاَتَسْتَجِيدَنَّ الْعِتَاقَ الْمَذَاكِيَا

لا تستطيلَنَّ : أى لا تطْلب طولَها ، وكذلك « لا تستجيدنَّ » : أى لا تطلب جودَها .

يقول : إذا رضيت بالذلّ فلا تطلب الرمح الطويل ، والخيل الجياد[٤] ، فإنك لا تحتاج إليها بعد أن رضيت بالذل واحتمال الضّيم .

٥- فَمَا يَنْفَعُ الْأُسْدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوَى وَلاَ تُتَّقَى حَتَّى تَكُون ضَوَارِيَا

يقول : إن الحياء لا ينفع الأَسَد من الجوع ولا يشبعه ، ولا يُخْشى منه إلاّ إذا كان ضاريًا جريئًا .

يعنى : أن الإنسان إنما يبلغ مراده إذا اطّرح قناَع الحياء عن وجهه ، واتكل على إقدامه[٥] .

٦- حَبَبْتُكَ قَلبِى قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى وَقَدْ كَانَ غَدَّارًا فَكُنْ لِىَ وَافِيَا

حبَبْتَهَ وأَحْبَبْتُه : لغتان : و« قَلْبِى » : منادى ، أى ياقلبى ، و« مَنْ » فى موضع نصب بالمصدر الذى هو « حبّك » .

يقول : ياقلبى أحْبَبتك قبل أن تحبّ الحبيب الذى نأى عنك وغدر بك[٦] .

---

(١) فى سائر المراجع « لم تقتلوا » .

(٢) ق . شو : سقط هذا البيت .

(٣) الوساطة ٣٥٦ والأغانى ٢١ /٦ ط الساسى والإبانة ١٥٩ ومحاضرات الأدباء ٢ /١٧٣ وفيه « فكونوا نساءً للخلوق وللكحل » . « وبيعوا الرديبيات بالحلى واقعدوا » .

(٤) ع : « الجواد »

(٥) ع : « ويتكل على شجاعته وإقدامه » .

(٦) يريد به سيف الدولة .

فأنكرت غَدْره فلا تصنع معى من الغدرْ مثل ما صنع بك حبيبك ، فتكون قد فعلت ماكرهْتَه من غيرك .

وجعل حنين قلبه إلى الحبيب غدْرًا منه ، لأنه يؤلمه ويؤدى إلى تلفه ، فتقع المفارقة بينه وبين قلبه ! وهى التى ذاقها[1] من حبيبه . وهذا تعريض منه بسيف الدولة .

٧- وَأَعْلَم أَنَّ البَيْن يُشْكِيكَ بَعْدَهُ فَلَسْتَ فُؤَادِى إِنْ رَأَيْتُك شَاكِيَا

يقول : ياقلبى ، أعلم أن البين يحْوجك إلى الشّكوى ، ويؤثّر فيك ، وإن فعلت ذلك تبرأتُ منك ، ونفيتُ أن تكون قلبى ، لأنكَ غدرت بى .

٨- فَإِنَّ دُمُوعَ العَيْنِ غُدْرٌ[2] بِرِبِّهَا إِذَا كُنَّ إِثْرَ الْغَادِرِينَ جَوَارِيَا

روى : « غَدْرًا » فيكون مصدرًا فى معنى « غادر » فلا يثنى ولا يجْمع ، ولا يؤنث ، وروى « غُدْرٌ » وهو جمع غَدُور .

يقول : إن بُكَاءك على من غدر بك وفارقك غدْرٌ منك بى ، وهذا إشارة إلى شكاية سيف الدولة[3] .

٩- إِذَا الجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الأَذَى
فَلَا الحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا المَالُ بَاقِيَا

---

(١) ع : « ذمها » مكان « ذاقها » .

(٢) ق : « غدرًا » .

(٣) يرى الأستاذ العلاّمة محمود شاكر أن الشاعر كان يحب « خولة » أخت سيف الدولة . وقد انفرد بهذا الرأى بين القدماء والمحدثين فيقول مستشهدا بهذه الأبيات . فاقرأ الأبيات وتدبّرها . وانظر فى خطابه قلبه - على غير عادته - خطابًا رقيقًا متنهدا ذا زفرات . وانظر اضطراب أمره بين قلبه وفكره . وبين عاطفته ورجولته . يقول لقلبه : « لست فؤادى إن رأيتك شاكيًا » ثم يعود فيقول : « خلقت ألوفا ... » فليس فى الأبيات حبه لسيف الدولة وحسب . بل فيه نفحات من لوعة الحب الذى يستولى على القلب : أحب المرأة التى يهجرها الرجل . وهو يعلم يقينًا أنه لا يهجرها . وإنما يهاجر قلبه الذى بين جنبيه . ويعانده ويراغمه . المتنبى ١ /٢٤٣ .

شبه (لا) (بلَيْسَ) فى نصب الخبر؛ فلهذا نصب «مكْسوبًا وباقيًا».

يقول: إذا لم يكون الجود خالصًا من الأذى، وما يكدّره من المنّ والتكدير، فلم [٢٩٨ - ا] يكسب فاعله حمدًا، وذهب ماله هدرًا. وهذا تعريضٌ بسيف الدولة.

١٠-وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتَى أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيَا

يقول: لكلّ إنسان أخلاق يُستدلّ بها على ما يأتيه من الجود، هل هو طبيعىّ أو تكلّفىّ؟ فيعرف حاله.

١١-أَقِلَّ اشْتِيَاقًا أَيُّهَا الْقَلْبُ رُبَّمَا[١] رَأَيْتُكَ تُصْفِي الْوُدَّ مَنْ لَيْسَ جَازِيَا

يجوز فى «أقِلّ» كسر اللّام ونصبها[٢].

يقول لقلبه: قلِّلْ الاشتياق إلى من لا يشتاق إليك، فإنّك تُخْلص المودّة لمن لا يجازيك على ذلك، ولا يُودّك مثل ما تودّه،

وهذه الأبيات تعريض بسيف الدولة، وتطييب لنفسه على فراقه.

١٢-خُلِقْتُ أَلُوفًا لَوْ رَجَعْتُ[٣] إِلَى الصِّبَى لَفَارَقْتُ شَيْبِى مُوجَعَ الْقَلْبِ بَاكِيَا

يقول جُبِلْتُ[٤] على الإلْف، حتى إنّنى لشدّة إلفى، لوفارقتُ الشّيب (الذى هو مكروه عند كل أحد) ورجعت إلى أيّام الصّبى؛ لبكيت جزعًا على الشيب، من فراق المألوف، فلهذا أحنّ[٥] إلى سيف الدولة وإن كان يقصدنى بالأذى.

١٣-وَلَكِنَّ بِالْفُسْطَاطِ بَحْرًا أَزَرْتُهُ حَيَاتِى وَنُصْحِى وَالْهَوَى وَالْقَوَافِيَا

(١) ع: «إنما».

(٢) وذلك لالتقاء الساكنين. فالكسر لأجل كسرة القاف. فأتبع الكسرة الكسرة والفتح طلبًا للخفة مع التضعيف. وقد قرأ بعضهم قوله تعالى: (قُمَ اللَيل) بفتح الميم.

(٣) ع: «رحلت» وهى كذلك فى الواحدى والتبيان والديوان.

(٤) ق. شو: «حييت».

(٥) ع: «أحن» ساقطة.

الفُسطاط : مدينة مصر التى بناها عمرو بن العاص رضى الله عنه ، فأمّا مصر القديمة فهى فى الجانب الآخر من النيل ، وليس بها اليوم إلا دور قليلة[١] .

المعنى : أنى فارقت سيف الدولة مع إلفى له وأسفى على فراقه ؛ لأزور كافورًا الذى هو كالبحر : فى الجود وسعة الصدر وبُعْد الغَوْر . وقوله : « أَزَرْتُه حياتى » أى زرته بها[٢] .

١٤- وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا فَبِتْنَ خِفَافًا يَتَّبِعْنَ الْعَوَالِيَا

« وجُرْدًا » عطف على ما تقدم[٣] : أى قصدنا بخيل جرْد ونصبنا رماحنا[٤] بين آذانها فكانت الخيل تتبعها فى السير .

١٥- تَمَاشَى بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَافَتِ الصَّفَا نَقَشْنَ بِهِ صَدْرَ الْبَزَاةِ حَوَافِيَا

تماشى : أى تتماشى .

يقول : هذه الخيل الجرد كانت تمشى بعضها إلى بعض ، فإذا وطئت الصَّفَا بأيديها وهى حوافٍ أثّرتْ فيه آثار نقْش صَدْر الباز[٥] .

وروى : « صُدَرَ البُزاة » وهى جمع صِدَار[٦] . وروى : « صُدْرَ البزاة » ويراد به الصُّدور[٧] .

١٦- وَتَنْظُرُ مِنْ سُودٍ صَوَادِقَ فِى الدُّجَى يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَمَا هِيَا

يقول : تنظر هذه الخيل من عيونٍ سود ، ترى هذه العيون - من حدّة النظر -

---

(١) كان هذا على عهد الشارح أى فى القرن الخامس تقريبا أما اليوم فكثافتها السكانية كبيرة ودورها كثيرة .

(٢) أزرته : حملتها على الزيارة . التبيان . (٣) من قوله : « حياتى » إلخ .

(٤) ق ، شو : « نصبنا بها خفا » تحريف .

(٥) وصف حوافرها بالشدة والصلابة وأنها تؤثر فى الصخر حافية .

(٦) ع : « جمع صادر » والصدار : ثوب يغطى به الصدر . اللسان .

(٧) ق ، شو : « ويريد به الصدر » والصدر : مقدم كل شىء فيقال : صدر النهار وصدر الكتاب (اللسان) .

الشخصَ البعيدَ على هيئته وحاله ، ولا يتغير عليها فيصغر أو يعظم ، بل تراه على حقيقته . وقوله : « يَرِيْن » : يجوز أن يكون فعل « سُود » ويجوز أن يكون : فعل « الخيل » .

١٧- وَتَنْصِبُ لِلْجَرْسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعًا يَخَلْنَ مُنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيَا

الجَرْس : الصوت .

يقول : هذه الخيل حديدة السمع ، فإذا أحسَّت حسًّا خفيفًا وصوتًا خفيًّا ، نصبت أذانها ، فهى لحدَّة أذانها تحسب الصوت الخفىّ ، أنه كلام ظاهر وصوت عال [١٩٨ - ب] .

١٨- تُجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً كَأَنَّ عَلَى الأَعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيَا

إنما قال : « فرسانَ الصَّباح »[١] ، لأن الغارات أكثر ما تكون فى وقت السّحر[٢] ، وشبّه الأعنة لِلينها ودقّتها بالأفاعى .

يقول : إن الخيل لا تترك الأعنّة تستقر فى أيدى فرسانها ، لما فيها من المرح والنشاط ، فكأنَّ الأعنة أفاعٍ عَلى أعناقها[٣] فهى تجاذبها الفوارسَ[٤] .

١٩- بِعَزْمٍ يَسِيرُ الْجِسْمُ فِى السَّرْجِ رَاكِبًا
بِهِ وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِى الْجِسْمِ مَاشِيَا

الباء : متعلّق بقوله : « أزرته » يعنى : زرته بعزم .

يقول : قصدْته بعزم قوىّ ، وجسمى يسير وأنا راكب ، وقلبى يسبقنى إلى المنازل ؛ لقوة العزم وفرط الاشتياق إلى حضرته ، وكنت كلما نزلتُ منزلاً ، كانت همّتى المنزلَ الآخَر[٥] ، لأقطعه .

---

(١) فرسان الصباح : فرسان الغارة التى تغير عند الصباح . فصار الصباح اسما للغارة .

(٢) وذلك وقت أغفل ما يكون فيه الناس .

(٣) فى النسخ : « أفاعى تلد أعناقها » .

(٤) ق : « تجاذبها الفوارس » . ع : « تجاذب فيها الفوارس » .

(٥) ق ، شو : « كانت همتى فى المنزل الآخر » .

٢٠- قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا

« قواصدَ » : نصب على الحال . والعامل : « أزرْته » أو « تجاذِب » أو « تماشى » ويجوز الرّفع : أى هى قواصدُ .

يقول : قصدتْ هذه الخيل كافورًا ، وتركت مَنْ سواه من الملوك ؛ لأنه أفضل منهم ، وغيره من الملوك بالإضافة إليه كالجدْوَل من البحْر[١] .

٢١- فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَآقِيَا

يقول : جاءتْ بنا هذه الخيل إلى من هو إنسان عين زمانه ، أى كما أنّ[٢] أشرف ما فى العيون سوادها ، كذلك كافور أشرف الملوك ، وهو ناظِر الزمان ، ومن سواه مثل البياض والمآقى[٣] ؛ فلهذا قصدناه وتركنا غيْره فانتظم معنَيْين : حسن التّشبيه ، لأنّه شبه السواد بالسواد ، والثانى التفضيل[٤] .

٢٢- نَجُوزُ عَلَيْهَا الْمُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِى نَرَى عِنْدَهُمْ إِحْسَانَهُ وَالأَيَادِيَا

« عليها » : أى على الخيل .

يقول : نتجاوز على هذه الخيل عند سيرنا عليها ، المحسنينَ من النّاس الذين يرغَبون فى الْمُقَام عندهم ، إلى من كانت أياديه ونعمه عندهم ، لأنّا رأيناهم من قبل .

---

(١) يقال : إن سيف الدولة لما سمع هذا البيت قال : له الويل ، جعلنى ساقية وجعل الأسود بحرا ! التبيان ٤ /٢٨٧ .

(٢) ع : « فكما أن » .

(٣) المآقى : جمع موق ، وموق العين : طرفها مما يلى الأنف . واللحاظ : طرفها الذى يلى الأذن . وتجمع على آماق ، وأمآق . ومآق العين : لغة فى موق العين .

(٤) قال ابن الشجرى : مامدح أسود بأحسن من هذا . التبيان .

كأنه يذكر عبوره بابْن طغج[١] ، وأنه رغب فىّ فتركتُه وقصدتُ كافورًا .

٢٣-فَتًى مَا سَرَيْنَا فِي ظُهُورِ جُدُودِنَا إِلَى عَصْرِهِ إِلاَّ نُرَجِّي التَّلاَقِيَا

يقول : ما تنقّلنا فى ظهور أجدادنا السالفة ، إلى زمان هذا الممدوح ؛ إلاَّ لنصادف زمانه ونسعد بأيّامه .

وقيل : أراد بالجدود . جمع الجدّ ، الذى هو الحظ .

٢٤-تَرَفَّعَ عَنْ عُونِ المَكَارِمِ قَدْرُهُ فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلاَتِ إِلاَّ عَذَارِيَا

« العُون » : جمع عوَان ، وهو فوق البِكْر ، ودون القارض المسنة .

والعذارى : جمع عذراء .

يقول : يرفع نفسه عن أن يقتدى بغيره فى المكارم ، فلا يأتى من المكارم إلا ما لا يسبقه[٢] أحد فيه .

قال ابن جنى : وهذا مما ينقلب هجاءً فكأنّه قال[٣] : ترفع عن المكارم هزءًا[٤] . ثم قال : فما يفعل من المخازى إلاّ ما لا يسبق[٥] إليه ؛ لعظمه .

٢٥-يُبِيدُ عَدَاوَاتِ الْبُغَاةِ بِلُطْفِهِ فَإِنْ لَمْ تَبِدْ مِنْهُمْ أَبَادَ الأَعَادِيَا

يقول : يتلطّف فى أمْر الأعداء وإزالة الأحْقاد من قلوبهم بإحْسانه ، فإن لم ينفع فيهم الرِّفْق أهلكهم وأفناهم .

٢٦-أَبَا الْمِسْكِ ذَا الْوَجْهُ الَّذِي كُنْتُ تَائِقًا
إِلَيْهِ وَذَا الْوَقْتُ الَّذِي كُنْتُ رَاجِيَا

---

(١) يريد به : الحسن بن عبيد الله بن طغج أمير الرملة . وقد سبقت ترجمته . وقال الواحدى : يعنى بالمحسنين سيف الدولة وعشيرته . وليس كما قال . لأنه ليس لكافور على سيف الدولة وقومه نعم وإحسان .

(٢) ع : « متجر عالم بسبقه » .

(٣) ع : « أراد أنه » مكان « قال » .

(٤) ق : « هزاء » .

(٥) ع : « مالم » .

[٢٩٩ - ١] يقول : كنت مشتاقًا إلى وجهك ، راجيًا لهذا الوقت ، فقصدتك ، فافعل أنت ما يليق بك .

وهذا بالهزء أولى ، مع قبح كافور وسواد وجهه[١] .

٢٧- لَقِيتُ الْمَرْوَرَى والشَّنَاخِيبَ دُونَهُ وَجُبْتُ هَجِيرًا يَتْرُكُ الْمَاءَ صَادِيَا

المَرْوَرَى : الفلوات ، واحدها مروراة والشّناخيب : جمع شُنْخُوب ، وشِنْخاب ، وهى القطعة العالية من الجبل . والهجير : شدة الحر . والصّادى : العطشان . والهاء فى « دونه » للوجْه .

يقول : لقيت الفلَوَات وشواهق الجبال ، وقاسيت الحرّ الشديد والعطش المهلك ، الذى يترك الماء عطشانًا مع أنه يكْسر العطش[٢] ، فكيف حال غيره ؟ !

٢٨- أَبَا كُلِّ طِيبٍ لاَ أَبَا الْمِسْكِ وَحْدَهُ وَكُلُّ[٣] سَحَابٍ لاَ أَخُصُّ الْغَوَادِيَا

كان كافور مكنيا بأبى المسك[٤] .

يقول : لستَ أنتَ أبا المسك وحده ، بل أنت أبو كلّ طيب ، إذِ الطيب كلّه مجموع فيك ، وكذلك أنت أبو كلّ سحاب ، ولست بالسحاب التى تأتى كلّ غداة ، بل كلّ السحاب .

٢٩- يُدِلُّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ الْمَعَانِيَا

يُدِلّ : من الدّلال .

يقول : كلّ شريف إنما يفتخر بمعنى واحد من الفضل ، وأنت جمعت كلّ معانى الفخر .

---

(١) قال ابن جنى : وهذا البيت يتأول فيه الهجاء . التبيان .

(٢) قال المعرى : وهذه مبالغة مفرطة لأنه زعم أن الماء يترك الحجير صاديا ، وقد جرت عادته أن يسقى من الصدا . تفسير أبيات المعانى . وقال صاحب التبيان : ويجوز أن يكون بحذف المضاف ، تترك مستقر الماء صاديا ، لأنه لما كثر عليه الحر ، شرب الماء ونقصه ، فكان كالعطشان الذى تشرّب الماء .

(٣) من روى « كلٌّ » عطفه على « كلٌّ » الأولى ، ومن روى « كلَّ » جعله منادى .

(٤) أبو المسك : كنية كناه بها حقيقة . خطط المقريزى ٢ / ٢٧

وهذا أيضًا مما ينقلب هجاء فكأنه يقول : جمع الله فيك كلّ المقابح .

وعن ابن جنى قال : لما وصلت إلى هذا البيت ضحكتُ فضحك أيضًا ، وعرف غرضي . وهو أنه قصد به الهجاء .

٣٠- إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِيَ بِالنَّدَى فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا

يقول : إذا بذل النّاس الأمْوال ، ليكْتسبوا المعالى ، وهبت أنت - فى جملة هباتك - المعالى لقصّادك .

يعنى : أن من يقصدك يتشرّف بهباتك ، حتى يبنى بها المعالى ، أوْ تَهَبُ[1] من يقصدك الولايات العظيمة ، والدّرجات المنيفة .

يعرض له بأن يولّيه ناحيةً .

٣١- وَغَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجِعَ مَلْكًا لِلْعِرَاقَيْنِ وَالِيَا

العراقَيْن : الكوفة والبصرة .

يقول : لا يُستكْثَر منك أن تهب العراقيْن لرجل قصدك راجلاً فيعود واليًا ! .

٣٢- فَقَدْ تَهَبُ الْجَيْشَ الَّذِي جَاءَ غَازِيًا لِسَائِلِكَ الْفَرْدِ الَّذِي جاء عَافِيَا

يقول : إذا قفل جيشك من الغزْو ، وهبتَه لسائلٍ واحد .

وقيل : أراد إذا غزاك جيشٌ أخذْتَه فوهبته لواحد من سؤّالك ، وطالبى نَوالك[2] .

٣٣- وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجَرِّبٍ يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا

يقول : رأيتَ جميع ما فى الدنيا فانياً ، فلهذا احتقرتها[3] ورغبتَ فى الذكر

---

(١) ع : « حتى يبنى له المعالى ، أو هبت » تحريف .

(٢) ع : « وطالبى نواله » مهملة .

(٣) فى نسخ : « حقرت » .

الجميل والثناء ، ثم استثنى الممدوح بقوله : « وحاشاك [١] » .

٣٤- وَمَا كُنْتَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْمُلْكَ بِالْمُنَى
وَلَكِنْ بِأَيامٍ أَشَبْنَ النَّوَاصِيَا

يقول : لم تدرك الملْك بالتمنّى والاتّفاق ، وإنما أدركتَه بمقاساة الأمور العظيمة ، ومعاناة الخطوب الشديدة ، ومباشرة الحروب التى تشيِّب بهولها رءوسَ الأطفال . وأراد بـ « الأيام » : الحروب ، والخطوب العظمة [٢٩٩ - ب] .

٣٥- عِدَاكَ تَرَاهَا فِي الْبِلَادِ مَسَاعِيًا وَأَنْتَ تَرَاهَا فِي السَّمَاءِ مَرَاقِيَا

الهاء فى « تراها » قيل : « للمعالى [٢] » وقيل : « للأيام » .

يقول : أنت تعتقد فى المعالى ، أو الخطوب العظيمة ، أضعاف ما يعتقده أعداؤك من الملوك ، فَهُم يرَوْنها مساعىَ فى الأرض ، وأنت تراها مراقىَ فى السّماء ، فحرصك عليها أبلغ ، ونيْلك لها أمكن .

٣٦- لَبِسْتَ لَهَا كُدْرَ الْعَجَاجِ كَأَنَّمَا تَرَى غَيْرَ صَافٍ أَنْ تَرَى الْجَوَّ صَافِيَا

يقول : لبِسْت للمعالى أو للأيام ، لباسَ الغُبار ، وملازمة القَتام ، حتى كأنك إذا رأيت الجوَّ [٣] صافيًا من غبارِ الحروب ، رأيت ذلك كراهةً ، كما يكره غيرُك الغبار ، وصفاءُ الجو عندك ، كَدَرهُ بالغبار . ومثل هذا البيت فى صفة السّيف قوله :

يُلاَقِيكَ بَسَّامًا وَوَجْهُكَ عَابِسٌ فَتَلْقَاهُ عَبَّاسًا وَثَغْرُكَ بَاسِمُ

---

(١) يقول الواحدى وتابعه صاحب التبيان واللفظ له : « حاشاك » من أحسن ما خوطب به فى هذا الموضع ، والأدباء يقولون : هذه اللفظة حشوة ! ولكنها حشوة فستق وسكّر ، ومثلها فى الحشوات قول المحلم :

إن الثمانين ، وبلغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

(٢) يريد بذلك « مساعيا » . وقال الخطيب وغيره : « للأفعال » . التبيان .

(٣) الجو : ما بين السماء والأرض وهو الفضاء الذى بينهما .

٣٧- وَقُدْتَ إِلَيْهَا كُلَّ أَجْرَدَ سَابِحٍ يُؤَدِّيكَ غَضْبَانًا وَيُثْنِيكَ رَاضِيَا

« إليها » : أى إلى الأيام ، التى هى الحروب . والأجْرد : القصير الشعر السابق[١]: الذى يتقدم الخيل متجردا عنها[٢] . والسّابح : الشديد الجرىء .

يقول : إنك تقود إلى الحروب كلّ فرس سابق ، وهو يأتى بك إلى الحرب وأنت غضبان ، ويرجع بك وأنت راض ؛ لوصولك إلى مرادك من الأعداء .

٣٨- وَمُخْتَرَطٍ مَاضٍ يُطِيعُكَ آمِرًا وَيَعْصِي إِذَا اسْتَثْنَيْتَ أَوْ كُنْتَ نَاهِيَا

وهذا عطف على ما قبله بإضمار فعل : أى وقدت إليها كلَّ أجرد سابح ، واخترطْت[٣] كل سيف مجرَّد .

يقول : سيفك يطيعك إذا أمرته بالضَّرْب ، فإن أردت التوقف عن الضَّرب عصاك ، لأنه قد قطع فلا يمكن ردّه[٤] .

٣٩- وَأَسْمَرَ ذِي عِشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارِدًا وَيَرْضَاكَ فِي إِيرَادِهِ الْخَيْلَ سَاقِيَا

أى : وحملْت كلَّ أسمر ذى عشرين ذراعًا[٥] . وهذا على طريق المبالغة ؛ لأن ذلك لا يكون ، وأكثر ما يكون الرّمح ثلاثة عشر ذراعًا . والمحمود ما يكون أحَد عشَرَ ذراعًا[٦] . وقوله : « تَرْضَاهُ وَارِدًا » : أى إذا طعنت به رضيت نفاذه فى الطّعن ، وهو أيضًا يرضاك إذا أوْردْتَهُ[٧] فى نحورِ الخيل لتسقيه .

يعنى : هو يرضى منك جودة الطعن كما ترضى منه جودة النفاذ .

---

(١) ق : « السابق » مكانها بياض .

(٢) ق : « المتجرد عنها » .

(٣) اخترط السيف : استلّه من غمده . وفى حديث صلاة الخوف : « فاخترط سيفه » . اللسان .

(٤) ق ، شو : « فلا يمكن رده » مهملة .

(٥) قال الواحدى : يعنى رمحًا أسمر ذا عشرين كعبًا أو ذراعًا .

(٦) ق ، شو : « والمحمود ما كان إحدى عشر ذراعًا » .

(٧) ع : « أورده » .

٤٠-كَتَائِبَ[١] مَا انْفَكَّتْ تَجُوسُ عَمَائِرًا
مِنَ الأَرْضِ قَدْ جَاسَتْ إِلَيْهَا فَيَافِيَا

« تَجُوس » : أَىْ تدوس وتطأ . والعمائر : القبائل ، الواحدة عمارة .

يقول : إن كتائبه لا تزال تدوس قبائل من أعدائه ، قد سرت إليها من بُعْدٍ ، وقطعت فيافىَ من الأرض . يعنى : أنه يقصد الأعداء فى ديارهم .

وقيل : أراد بالعمائر الأرض العامرة ؛ ليطابق الفيافى .

والمعنى : أنها سلكت المفاوز والفلوات ، حتى وصلت إلى ديار الأعداء فوطئتها وأغارت عليها .

يصف بعض غزواته ، وأنه يقصد أعداءه فى الأماكن البعيدة .

٤١-غَزَوْتَ بِهَا دُورَ الْمُلُوكِ فَبَاشَرَتْ سَنَابِكُهَا هَامَاتِهِمْ وَالْمَغَانِيَا

المَغَانى : المنازل . واحدها : مغنى .

يقول : غزوت بخيلك دورَ الملوك فقتلتهم ، ووطِئَتْ بحوافرها رءوسهم وديارهم .

٤٢-وَأَنْتَ الَّذِى تَغْشَى الأَسِنَّةَ أَوَّلاً وَتَأْنَفُ أَنْ تَغْشَى الأَسِنَّةَ ثَانِيَا

يقول : أنت تطرح نفسك على رماح أعدائك قبل أصحابك ، وتأنف أن يتقدمك أحد [٣٠٠ - ا] فى الحرب وروى : « تَلْقَى الأَسِنَّة » فى المصراعين .

يعنى[٢] : أنك تطاعن الخيل قدمًا ، وتأنف أن[٣] يتقدّم عليك أحد .

٤٣-إِذَا الْهِنْدُ سَوَّتْ بَيْنَ سَيْفَىْ كَرِيهَةٍ فَسَيْفُكَ فِى كَفٍّ تُزِيلُ[٤] التَّسَاوِيَا

(١) « كتائبَ » : يروى بالرفع والنصب : على أنك قدت إلى الحرب كتائبَ ومن رفع فعلى تقدير : لك كتائبُ أو ما انفكت لك كتائب .

(٢) ع : « وتأنف أن تلق الأسنة يعنى » إلخ .

(٣) ع : « وتأنف من أن » .

(٤) فى النسخ : « يزيل » والمذكور عن سائر المراجع وشرح البيت .

يقول : إذا عملت الهند سيْفيْن متينيْن من حديدٍ واحد ، حتى لا فضْل لأحدهما على الآخر ، فإذا حصل أحدهما فى يدك صار أمْضَى من الآخر ، وزال التساوى بينهما .

وسيْف كرِيهَةٍ : أى قاطع ، إذا أكره فى الحديد والعظام مضِى فيها .

٤٤–وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَآكَ لِنَسْلِهِ : فَدَى ابْنَ أَخِي نَسْلِي وَنَفْسِي وَمَالِيَا

سام : ابن نوح عليهما السّلام ، أبو العرب والروم والفرس ، وحام : أبو السودان والبَرْبَرْ والهند ، ويافث : أبو التّرك[1] . ويجوز « فِدَى » بكسر الفاء و « ابْنِ أخى » بالجر على الإضافة ويجوز : بفتح الفاء على أن تجعل « فَدَى » فعلاً فتنصب « ابْنَ أخى » على أنه مفعول به .

والمعنى : أن سامًا لو رأى سياستك لقال لك : فِدَاك نفْسى ونسْلى ومالى

٤٥–مَدًى بَلَّغَ الْأُسْتَاذَ أَقْصَاهُ رَبُّهُ وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلاَّ التَّنَاهِيَا

يقول : قد بلَّغَ اللهُ الأستاذ[2] هذه المنزلة ، وبلّغتْهُ أيضًا نفسُه التى لم ترض إلا بلوغ الغاية فى المجد .

٤٦–دَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إِلَى الْمَجْدِ وَالْعُلاَ وَقَدْ خَالَفَ النَّاسُ النُّفُوسَ الدَّوَاعِيَا

يقول : دعته نفسُه وهمّتهُ إلى طلب المجد والمعالى فأجابها ، وغيره من الملوك قد خالفته النفوس الداعية .

---

(١) يروون أنه لما حضرت نوحًا الوفاة قسم البلاد بين أولاده فجعل لسام وسط الأرض وأخرم وما حوله واليمن وحضرموت إلى عمان إلى البحرين . وجعل لحام : أرض المغرب والسواحل . وجعل ليافث : مشرق الأرض جميعها . انظر طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب .

(٢) كان لقب « الأستاذ » يلقب به الوزراء فى بعض الأحيان فكان ابن العميد يلقب به . وانظر إلى قول الشاعر وشارح فى العميديات :

ودعاك حسّدك الرئيس وأمسكوا ودعاك خالقك الرئيس الأكبر

فيقول الشارح : كان ابن العميد يخاطب بـ « الأستاذ الرئيس » وانظر الحضارة الإسلامية لميتز ١ / ٢٧ . والراجح أن كافورًا لقب به منذ عهد إليه الإخشيد بتربية ولديه . انظر مصر فى عهد الإخشيديين ١٢٧ .

٤٧- فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْعَالَمِينَ يَرَوْنَهُ وَإِنْ كَانَ يُدْنِيهِ التَّكَرُّمُ نَائِيَا

يقول : أصبح كافور ، وقد علا النَّاسَ كلَّهم ، فهم يرونه بعيد المراتب على المراقب ، وإنْ كان يدْنيه تواضُعُه من الناس .

(٢٤٤)

ودخلَ عليه بعدَ إنْشاد[١] هذه القصيدة فابْتسم[٢] إليه الأسود ، ونهض فلبس نعْلاً فرأى أبو الطيّب شقوقًا برجْليه وقُبحها فقال[٣] [يهجوه] :

١- أُرِيكَ الرِّضَا لَوْ أَخْفَتِ النَّفْسُ خَافِيَا
وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلاَ عَنْكَ رَاضِيَا

يقول : أنا أظهر لك الرِّضا عنك ، والسّرور بقربك ، ولكن ما فى نفسى لا يخْفَى ، فإنّى غير راضٍ عنك ، ولا عن نفسى .

٢- أَمَيْنًا وَإِخْلاَفًا وَغَدْرًا وَخِسَّةً
وَجُبْنًا ؟ أَشَخْصًا لُحْتَ لِى أَمْ مَخَازِيَا ؟!

« مَيْنًا ، وَإِخْلاَفًا ، وَغَدْرًا ، وَخِسَّةً ، وَجُبْنًا » نصب على المصدر[٤] .

---

(١) ق ، شو : « عند إنشاد » .

(٢) ق ، شو : « فابتسم » مكانها بياض .

(٣) الواحدى ٦٢٩ : « ودخل عليه بعد إنشاده هذه القصيدة . وابتسم إليه الأسود ونهض فلبس نعلا فرأى أبو الطيب شقوقا برجليه فقال يهجوه » . التبيان ٤ /٢٩٤ : « وقال يهجو كافورًا . وقد نظر إلى رجليه وقبحها » . الديوان ٤٤٣ نص المذكور . ولا شك فى أن أبا الطيب لم ينشئ هذه القصيدة إلا بعد أن يئس من كافور فهجاه . وموافقتها القصيدة السابقة فى الوزن والقافية أوهم رواة الديوان أنها قيلت بعدها ولعل راوى الديوان ليس بواهم ولكنه رأى الأحسن ، وقد رويت فى بعض نسخ الديوان بعد مدائح فاتك فليتدبر . العرف الطيب ٥٤٢ .

(٤) نصب على المصدر بأفعال منها أى أتمين مينًا ، وتخلف إخلافًا ، وتغدر غدرًا . والمين : الكذب . والإخلاف : خلف الوعد . والمخازى : جمع مخزية وهى ما يفعله الإنسان من الفعل المذموم .

و« شخْصًا » نصب على الحال وكذلك « مَخَازِيَا ».

يقول : جمعت هذه المثالب ، فإذا رأيتك لم أدْرِ أنك إنسان ، أم أنت مخازٍ ؟ !

٣- تَظُنّ ابْتِسَامَاتِي رَجَاءً وَغِبْطَةً وَمَا أَنَا إلاَّ ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا

يقول : إذا رأيتَنى ضاحكًا حسِبْتَ أنّى مسرورٌ بقربك ، راجٍ لفضلك ، وليس كذلك ، بل ذاك سخْرية بنفْسى ، أضحك منها ، كيفَ رجتْ منَالَك مع لؤمك وخستك ؟ !

٤- وَتُعْجِبُنِي[1] رِجْلاَكَ فِي النَّعْلِ ، إنَّنِي
رَأَيْتُكَ ذَا نَعْلٍ[1] إذَا كُنْتَ حَافِيَا

يقول : إذا رأيْت رجْليْكَ فِى النَّعْل تعجّبتُ من لبْسك النّعل ؛ لأنى رأيتك ذا نعلٍ ، وإن [٣٠٠ - ب] كنْتَ حافيا ؛ لغلظ رجْليْك[2] .

وقيل : المعنى إذا رأيتك وأنت لابس النَّعل تعجبت ، وذكرت أيامَ كنت تمشى حافيا ، ورجلاك كأنهما فى النّعل !

٥- وَأَنَّكَ لاَ تَـــدْرِى أَلَـوْنُكَ أَسْـوَدٌ
مِنَ الْجَهْلِ أَمْ قَدْ صَارَ أَبْيَضَ صَافِيَا ؟!

يقول : منْ جهلك لا تعرف حقيقة لونك ، وأنك أسود أم أبيض ؟

٦- وَيُذْكِرُنِى تَخْيِيطُ كَعْبِكَ[3] شَقَّهُ وَمَشْيُكَ فِى ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيَا

يقول : إذا رأيت شقوق كعْبك ، تذكرت شقَّها حين كنتَ عبدًا ، والسّودان تكثر الشّقُوق بأرجلهم .

---

(١) ق : « ويعجبنى » . ، « ذا فعل » .

(٢) ع : « لغلظ أخمصيك » .

(٣) ع : « تجليط كعبيك » .

وقوله : « وَمَشْيُكَ فِى ثَوْبٍ مِنَ الزَّيت عَارِيًا » : يعنى : إنى تذكرت أيام جئتَ من بلاد النّوبة ، وكنت تُعرض على البيع وأنت عريان مطليٌّ بالدُّهن ، فكأنك لبست ثوب الزيت ، وهذه عادة السودان إذا جلبوا أُدْهِنُوا بالزَّيت ؛ ليصْفُو سوادُهم . ونصب « عارِيًا » على الحال .

وقيل : معناه إنك أسود تضرب إلى الصُّفْرة . والمولّدون من أهل العراق يسمُّون من كان غير مشبع السّواد زَيْتِيًّا[1] .

وقيل : معناه الوسَخُ الذى عليه من آثار دهن الزيت .

٧- وَلَوْلاَ فُضُولُ النَّاسِ جِئْتُكَ مَادِحًا بِمَا كُنْتُ فِى سِرِّى بِهِ لَكَ هَاجِيَا

يقول : إنّك لا تعرف الهجْو من المدْح ، فلولا أنى أخاف من فضول الناس ، لكنت أنشدك الهجو ، وأريك أنه غاية المدح .

٨- فَأَصْبَحْتَ مَسْرُورًا بِمَا أَنَا مُنْشِدٌ وَإِنْ كَانَ بِالإِنْشَادِ هَجْوُكَ غَالِيَا

يقول : كنتَ تسرّ بإنْشادى هجْوَك ! ظَنًّا منك أنه مدْح ، وإن كان هجْوك لا يتساوى بالإنشاد .

٩- فَإِنْ كُنْتُ لاَ خَيْرًا أَفَدْتَ فَإِنَّنِى أَفَدْتُ بِلَحْظِى مِشْفَرَيْكَ الْمَلاَهِيَا

الملاهى : جمع ملهى ، وهو كل ما يلْهَى به . ويجوز أن يكون مصدرًا .

ونصب « مِشْفَرَيْكَ » « بِلَحْظِى » أى أفدت الملاهى ؛ بأنْ لحظت مشفريك .

يقول : لم أستفد منك خيرًا ، ولم أصل منك إلى مالٍ ، فإنى استفدت اللّهو برؤية مشفريْكَ . و « أفدت » : بمعنى استفدت هاهنا .

١٠- وَمِثْلُكَ يُؤْتَى مِنْ بِلاَدٍ بَعِيدَةٍ لِيُضْحِكَ رَنَّاتِ الْحِدَادِ الْبَوَاكِيَا

الحداد : الثياب السّود .

(١) قال الواحدى تعليقا على هذه الرواية : أى أنت فى حال كونك عاريًا ، فى ثوب من الزيت لأنك حبشى .

يقول : إن من رآك يضحك منك ، حتى النِّساء اللاّبسات السّواد فى المصائِب ، إذا رأيْنَك يضحكْن منك ، ويتسلّين عن غمِّهن ، وكلّ من عليه الحزْن يقصدك من الأماكن البعيدة ؛ ليلهو عن حزنه .

(٢٤٥)

وبَنَى كافورُ دارًا بإزاء الجامع الأعْلَى عَلَى البِركة ، وتحوَّلَ إليها وهنَّأه الناسُ بها ، وطالبَ أبا الطيِّب بذكْرِها فقال[1] :

١- إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يَدَّنِي مِنَ الْبُعَدَاءِ

يدَّنى : يفتعل[2] من الدنوّ .

يقول : إنما تكون التهنئة بين الأكفاء ، وأنا لست بكفء لك ، وتكون لمن يكون بعيدًا من الملوك ثم يدْنوا منهم ، وأنا لست بواحد من هذين ، بل أنا عضو من أعضائِك . على ما يبيّن فيما يليه .

٢- وَأَنَا مِنْكَ لاَ يُهَنِّئُ عُضْوٌ بِالْمَسَرَّاتِ سَائِرَ الأَعْضَاءِ

يقول : أنا عضو من اعضائِك ، وهل رأيْتَ عضْوَ إنسان يهنّئُ سائِر أعضائِه ؟! فكما لا يهنِّئ الإنسانُ نفسه ، كذلك لا يلزمنى تهنئتك ؛ لأنى مشارك لك فى [٣٠١ - ا] الأحوال .

٣- مُسْتَقِلٌّ لَكَ الدِّيَارَ وَلَوْ كَا نَ نُجُومًا آجُرُّ هَذَا الْبِنَاءِ

---

(١) ع : « وبنى كافور دارًا بإزاء الجامع الأعلى وطالب أبا الطيب بذكرها فقال » . الفسر ١/١٠٩ : « وبنى كافور صاحب مصر دارًا بإزاء الجامع الأعلى وتحول الناس إليها ، فطالب أبا الطيب أن يذكرها » . الواحدى ٦٣١ : « وبنى كافور دارًا بإزاء الجامع الأعلى على البركة وتحول إليها وطالب أبا الطيب بذكرها » . التبيان ١/٣٢ : « وبنى كافور دارًا ، فأمره أن يذكرها » . الديوان ٤٤٤ : « وبنى الأسود ... » إلخ المذكور . العرف الطيب ٤٧٨ .

(٢) فى النسخ : « يدّنى : يفعل » تحريف والتصويب من الفسر .

روى « مُسْتَقَلٌ » بفتح القاف . و « الدِّيَارُ » رفع . وروى : « مستَقِلّ لك الدِّيارَ » نصب .

يقول : أنا أستقل لك الدّيار والأبنية ، ولو كان آجرّها[1] من النجوم .

٤- وَلَوَ انَّ الَّذِى يَخِرُّ مِنَ الأَمْـ ـوَاهِ فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ

يَخِرُّ : أى يصوّت ، من الخرير .

يقول : لو كان الّذى يخرّ[2] فيها من المياه من فضة بيضاء ، لاستقلّتها لَك فى جنب قدرك .

٥- أَنْتَ أَعْلَى مَحِلَّةً أَنْ تُهَنَّا بِمَكَانٍ فِى الأَرْضِ أَوْ فِى السَّمَاءِ

« أن تُهَنّا » : أصله أن تَهَنَّأ ، فخفّف الهمزة ، فأبدلها ألفًا .

يقول : أنت أجلّ قدرًا وأعْلى محلاً من أن تَهنَأ بدار فى الأرض أو فى السماء ، والمحلّ والمحلَّة واحدة .

٦- وَلَكَ النَّاسُ وَالْبِلاَدُ وَمَايَسْـ ـرَحُ بَيْنَ الْغَبْرَاءِ وَالْخَضْرَاءِ

« وما يَسْرَحُ » : أى مَا يَذْهب من الدّواب والوحش .

يقول : أنت تملك[3] البلادَ ومنْ عليْها ومَا عليها من الحيوانات . والغبرآء : الأرض . والخضراء : السماء .

٧- وَبَسَاتِينُكَ الْجِيَادُ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ سَمْهَرِيَّةٍ[4] سَمْرَاءِ

يقول : إنما بساتينك الّتى تتنزّه فيها ، الجياد من الخيل ، وثمارها الرماح ، فأنت

(١) قال ابن جنى : الآجر : اسم أعجمى فيه خمس لغات : آجر ، وآجور ، وياجور ، وآجر . الفسر ١ /١١٠ . والآجر : هو ما يبنى به .

(٢) ع : « يجرى » .

(٣) ع : « تهلك » تحريف .

(٤) يذكر ابن جنى أن . السمهرية : القناة المنسوبة إلى السمهرى . يقال : هو زوج « ردينة » التى تنسب القنا إليها فيقال : « الرديبيات » الفسر ١ /١١٢ .

لا تتنزه إلا بهما ، فكيف أهنئك بالدّار والبساتين ؟!

٨- إِنَّمَا يَفْخَرُ الْكَرِيمُ أَبُو الْمِسْـ ـكِ بِمَا يَبْتَنِى مِنَ الْعَلْيَاءِ

يقول هو : إنما يفتخر بما يبْنِى من المعالى وما يشيِّد من المكارم ، لا بالقصور المبنيّة بالآجر ، فإنها تنهدم عن قريب ، والمعالى تبقى أبدًا .

٩- وَبِأَيَّامِهِ الَّتِى انْسَلَخَتْ عَنْـ ـهُ وَمَا دَارُهُ سِوَى الْهَيْجَاءِ

يقول : إنما يفتخر بأيام حروبه ووقائعه التى سبقت له فظهرت منه ، ولا دَارَ له سوى الحروب ، ومعاركها[1] .

١٠- وَبِمَا أَثَّرَتْ صَوَارِمُهُ الْبِيـ ـضُ لَهُ فِى جَمَاجِمِ الْأَعْدَاءِ

يقول : إنما يفتخر بتأثير سيوفه فى رءوس الأعداء .

١١- وَبِمِسْكٍ يُكْنَى بِهِ لَيْسَ بِالْمِسْـ ـكِ وَلَكِنَّهُ أَرِيجُ الثَّنَاءِ

أَرَجُ الطِّيب وأريجُه : توهُّج ريحه .

يقول : يفتخر بالمِسْك المكنَى به ، ثم قال : وليس المِسْك المكنَى به هو المسك المعروف ، وإنما هو مِسْك الثَّناء وحسْنُ الذكر .

١٢- لَا بِمَا تَبْتَنِى الْحَوَاضِرُ فِى الرِّيـ ـفِ وَمَا يَطَّبِى قُلُوبَ النِّسَاءِ

الحواضر : جمع الحاضرة . ويطَّبِى : أى يستميل . والرِّيف : المدُن[2] والماء

يقول : لا يفتخر بما يبْنيه أهل الحضر ، وسكّان المدن ، من الدُّور الحسنة [ولا بالمسك][3] لأن ذلك إنما يستميل قلوب النِّساء ، بل لا يفتخر إلا بالمعالى وحسن الثناء والمجد[4] .

---

(١) ع : « ومعاركها » مهملة .

(٢) الريف : الخصب والسعة فى المآكل ، والجمع أرياف . والريف : ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها . وقال أبو منصور : الريف : حيث يكون الخضر والمياه . ولعل هذا ما أراده شارحنا . نظر اللسان . وقال ابن جنى . الريف : الحضر والمدن . الفسر ١ /١١٤ .

(٣) ما بين المعقوفتين من الواحدى . (٤) ق . شو : « والحمد » .

١٣- نَزَلَتْ ، إِذْ نَزَلْتَهَا ، الدَّارُ فِى أَحْـ ـسَنَ مِنْهَا مِنَ السَّنَا وَالسَّنَاءِ

« السَّنا » المقصور : الضوء ، و « السَّناء » الممدود : الشَّرف والعلا .

يقول : لما نزلْتَ الدّارَ تشرّفتْ بك وتزيّنت بقُربك ، فكأنَّ حسنها حيث نزلْتَها وتقديره : نزلَتْ الدَّارُ فى أحْسَن منها إذَا نَزَلْتَهَا [٣٠١ - ب] .

١٤- حَلَّ فِى مَنْبِتِ الرَّيَاحِينِ مِنْهَا مَنْبِتُ الْمَكْرُمَاتِ وَالْآلاءِ

يقول : أَنْت منْبِت المكرمات والنِّعم ، حلَلْتَ من هذه الدار منْبِت الرّياحين ، فأَنْت منبِت المكارم ، وهى منبِت الرّياحين .

١٥- تَفْضَحُ الشَّمْسَ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْـ ـسُ بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاءِ

يقول : إذا طلعت الشّمس تفْضحُهَا بشمسٍ سوْداء !

وهذا فى ظاهره مدح ، وهو مضْمَر الهجْو[1] ، إذ الشمس لا تكون سوداء[2] .

١٦- إِنَّ فِى ثَوْبِكَ الَّذِى الْمَجْدُ فِيهِ لَضِيَاءً يُزْرِى بِكُلِّ ضِيَاءِ

يقول : إن فى ثوبك : أى فى[3] بدنك ، الذى هو محلّ المجْد ضياءً يقصر بكل ضياء . لما قال فى البيت الذى قبله : « شمس منيرة سوداء » أورد هذا وما بعده ليزيل الإبهام .

١٧- إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ ، وَابْيِضَاضُ النَّـ ـفْسِ خَيْرٌ مِنِ ابْيِضَاضِ الْقَبَاءِ

---

(١) يروى ابن جنى فيقول : « وكان المتنبى يقول : إنه هزئ به فى هذا البيت » الفسر ١ /١١٥ .

(٢) ويرى الواحدى : أنه فى سواده مشرق فهو بإشراقه فى سوادِه يفضح الشمس ويقول : ويجوز أن يريد شهرته وأنه أشهر من الشمس ذكرًا . ويريد نقاءه من العيوب والإنارة تعود إلى أحد هذين المعنيين ، ويجوز أن يراد بالإنارة : الشهرة لأن المنير مشهور ، فقيل للمشهور : منير وإن لم يكن ثم إنارة . وكذلك المنير نقى من الدرن فقيل للنقى من العيوب : منير . ويستشهد بالبيت الذى يليه على صحة ما ذكره .

(٣) ق : « ثوبك : أى فى » ساقط .

يقول : سوادك لا يَشِينُك[١] ، وإنما هو بمنزلة الثّوب والقباء ، وبياض النَّفسِ خير من بياض القباء ، وليس الفخر بالبياض ، وإنما هو بالأفعال . وهذا من قول عبد بنى[٢] الحسحاس[٣] :

إنْ كُنْتُ عَبْدًا فَنَفْسِى حُرَّةٌ كَرَمًا أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنِّى أَبْيَضُ الْخُلُقِ[٤]

ومثله كَثِير[٥] .

١٨-كَرَمٌ فِى شَجَاعَةٍ ، وَذَكَاءٌ فِى بَهَاءٍ ، وَقُدْرَةٌ فِى وَفَاءِ

أى جمعْتَ هذه الخلائِق الشريفة ، فلا يشينك سواد لوْنك .

١٩-مَنْ لِبِيضِ الْمُلُوكِ أَنْ تُبْدِلَ اللَّوْ نَ بِلَوْنِ الْأُسْتَاذِ وَالسَّحْنَاءِ

السَّحناء : الهيْئة .

يقول : إن البيض يتمنَّوْن أن يستبدلو بألوانهم لونه ، ويغيِّروا هيْئتهم بهيْئته ، ولكن أين لهم ذلك ؟!

٢٠-فَتَرَاهَا بَنُو الْحُرُوبِ بِأَعْيَا نٍ تَرَاهُ بِهَا غَدَاةَ اللِّقَاءِ

الهاء فى « تراها » للملوك . والفعل : لبنى الحُروب . والهاء فى « تراه » لكافور . يقول : إن الملوك البيض يتَمنَّون أن يستبدلوا ألوانهم بِلوْنه ، ليراهم الأبطال

---

(١) قال ابن جنى رواية عن المتنبى : « وقال لى المتنبى : كان موته أن يذكر له إنسان السواد » . الفسر ١ /١١٦ .

(٢) فى النسخ : « عبد بن الحسحاس » .

(٣) هو : سحيم عبد بنى الحسحاس . شاعر رقيق كان عبدًا نوبيا أعجمى الأصل اشتراه الحسحاس ، فنشأ فيهم . مولده فى أوائل عصر النبوة . رأى النبى ﷺ وكان يعجب بشعره وعاش إلى أواخر أيام عثمان . وقتله بنو الحسحاس وأحرقوه . لتشبيبه بنسائهم . فوات الوفيات ١ /١٦٦ والشعر والشعراء ١٥٢ والخزانة ١ /٢٧٢ .

(٤) ديوانه ٥٥ ، ديوان المعانى ٢ /١٦٦ ، المستطرف ٢ /٣٠ ، زهر الآداب ٢ /٤٤ ، المثل السائر ١ /٩٤ ، مواسم الأدب ١٨٩ .

(٥) ع : « ومثله كثير » مهملة .

الذين هم أهل الحروب بالعيون التى رأوْا بها كافوراً[١] فى الحرب . والأعيان[٢] : جمع عين فى القلّة .

٢١-يَارَجَاءَ الْعُيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ[٣] لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِي

يقول : كلّ أحد يرْجو أن يراك ؛ لتفيض عليه إنعامك ، ولم يكن لى رجاء فى قصدى مصرَ[٤] سِوَى أن أراك وأتشرّف بمدحك .

٢٢-وَلَقَدْ أَفْنَتِ الْمَفَاوِزُ خَيْلِي قَبْلَ أَنْ نَلْتَقِي ، وَزَادِي وَمَائِي

يقول : قطعتُ المسافةَ البعيدة ، والمفاوز[٥] الصَّعْبة : لرؤيتك ، حتى أفنت المفاوزُ خيلى وزادى ومائى .

٢٣-فَارْمِ بِي مَا أَرَدْتَ مِنِّي فَإِنِّي أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِيُّ الرُّوَاءِ

الرُّوَاء : المنظر .

يقول : كلّفنى ما شئت من الأمور العظيمة ، فإنى وإن كنت فى المنظر آدميًّا فإن قلبى قلب الأسد[٦] .

---

(١) يرى الواحدى أن الأسود أيًّا كان مهيب فى الحرب لا يظهر عليه أثر الخوف فيرتاع أعداؤه منه إذا لقيهم .

(٢) يقال : عين وعيون وأعين هذا فى أكثر الكلام وقد جاء « أعيان » وهو قليل ، فيكون كطير وأطيار . انظر الفسر ١ /١١٧ والتبيان .

(٣) ع : « فى كل مصر » .

(٤) ع : « إلى مصر » .

(٥) قال ابن جنى . المفاوز : جمع مفازة وهى الأرض البعيدة ، وسميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة . وقيل أصلها من الهلاك من قولهم : فاز الرجل إذا مات . انظر الفسر ١ /١١٨ .

(٦) قيل : كان أبو الطيب يعرض لكافور فى مدحه بأن يوليه ولاية ، ولم يفعل كافور انظر الفسر ١ /١١٨ والتبيان. والعجيب أن يعلق ابن جنى على هذا - وهو من المتعصبين للمتنبى - فيقول : كيف لا يطلب منه الولاية وقد أراه وفاءه فى أول لقائه بذكر سيف الدولة الذى أنعم عليه ورفعه بما ذكره به ، ثم أراه عقله أو نصحه فى مدحه إياه بالسواد وتكرير ذلك فى قصائده إما حمقًا أو غشًّا وهو يرجع إلى الحمق أيضًا . المرجع السابق .

٢٤-وَفُؤَادِى مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا نَ لِسَانِى يُرَى مِنَ الشُّعَرَاءِ

يقول : إنّى وإن كنت شاعرًا ، فإن لى همَّة عاليةً ، ونفسا شريفة ، وقلبى قلب الملوك .

(٢٤٦)

ولما أنشده أبو الطيب ، حلف له كافور ليبلغنّه[١] جميعَ ما فى نفسه ، (وإنّه لأكذَب مايكون إذا حلف !) فقال أبو الطيب وأنشده إيّاها[٢] فى انسلاخ شهر رمضان سنة ست وأربعين وثلاث مئة[٣] :

١- مَنِ الْجَآذِرُ فِى زِىِّ الْأَعَارِيبِ
حُمْرُ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ ؟!

الجآذر : جمع جُؤذُر ، وهو ولد البقرة الوحشيّة . والزِّى : اللّباس والأعَاريب : جمع الأعْراب ، والأعْراب : جمع أعْرابىّ . والحلى : جمع حلْية . وهو بضم الحاء[٤] وكسرها . والجلابيب : جمع جِلْباب ، وهى الملاحف والملابس[٥] . وقال أبو عبيدة : [الجلابيب][٦] هى الخُمُر ، والملاحف .

---

(١) ع : « حلف له ليبلغه » .

(٢) ع : « أبو الطيب وأنشده إياها » مهملة .

(٣) الفسر ١ /٣٥٤ : « وقال يمدح كافورًا سنة ست وأربعين وثلاث مئة » . الواحدى ٦٣٣ : « وقال يمدح كافورًا الإخشيدى فى شوال سنة ٣٤٦ بهذه القصيدة الفريدة وهى من محاسن شعره » . التبيان ١ /١٥٩ : « وقال يمدح كافورًا سنة ست وأربعين وثلاث مئة » . الديوان ٤٤٦ : « ولما أنشده أبو الطيب حلف له ليبلغنه جميع ما فى قلبه ، وإنه لأكذب ما يكون إذا حلف ! فقال أبو الطيب » . العرف الطيب ٤٨٠ .

(٤) ق : « الهاء » تحريف .

(٥) ع : « والملابس » مهملة والمذكور يوافق ما فى الفسر لابن جنى .

(٦) ما بين المعقوفتين عن الفسر .

وقد روى : برفع الرّاء ونصْبها ، فالرفع على الاستئناف أى : هنّ حمرٌ الحلى . والنصب على الحال . جعل كوْنَهنّ جآذر حقيقة ، وكونهن أعاريب مجازًا وتشبيها ، وهذا على عادته فى قلْب التّشبيه .

يقول : مَن هذه الجآذر الّتى فى زىّ الأعراب ؟ ! جعلهن جآذر ؛ لسواد عينهن . وهنّ حُمْرُ الحلى[1] ؛ لأنها من الياقوت ، وملابسهن حمر [لأنهن غنيات] شواب[2] ، يلبسن المعصْفرات وثياب الملوك[3] ، ومطاياهن حُمُر ؛ لأنها كرام الإبل عندهم ، وهى من مراكب الملوك .

٢ - إنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شكًّا فِى مَعَارِفِهَا
فَمَنْ بَلاكَ بِتَسْهِيدٍ وتَعْذِيبِ ؟ !

أنكر على نفسه فى هذا ، السؤال ! وقال : إن كنت تسأل عن هؤلاء النساء من حيث أنك شككتَ فيهنّ ، حيث أشْبهْن الجآذر ، فلا ينبغى لك أن تشكّ فى معرفتهن ، لأنهن اللاتى سَهَّدْن عينيك ، وعذّبن قلبك ، و « مَنْ » فى قوله : « فمن بلاك » على هذا تكون خبرًا ، ويجوز أن تكون استفهامًا على معنى الإنكار .

والمعنى : إن لم تعرفهن فمن الذى بلاك بتسهيد وتعذيب ؟ !

٣ - لا تَجْزِنى بِضَنًى بِى بَعْدَهَا بَقَرٌ تَجْزِى دُمُوعىَ مَسْكُوبًا بِمَسْكُوبِ

الضَّنى : الألَم ، ولا تَجْزِنى : جُزِم[4] ، والهاء فى « بعدها » قيل : ضمير البقر[5] ، أى : بعد فراقهن ، وقيل : هو ضمير الحالة أو المرأة . أى : بعد هذه

(١) قال ابن جنى : حمر الحلى : أى حليهن ذهب . الفسر .

(٢) ق : « شوارب » تحريف وما بين المعقوفتين عن ابن جنى فى الفسر ١ /٣٥٥ .

(٣) قال صاحب التبيان : « وقيل : حمر الحلى : جمع حله . فيكون على هذا ثيابهن حمر أو ملاحفهن حمر » .

(٤) جزم بالدعاء ، وهو بلفظ النهى ، فحكمه فى الجزم حكم النهى . تفسير أبيات المعانى والفسر والتبيان .

(٥) وإن كانت « بقر » متؤخرة وجاز ذلك لأنها فاعل والفاعل رتبته التقديم . فإذا أخر جاز تقديم الضمير العائد عليه ، لأن النية فيه التقديم ومثله قوله تعالى : (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) .

المرأة أو الحالة . وتقديره : لا تَجْزِنى بضَنى بى ضَنَى نساءٍ يجْزِينى[١] بالبكاء بكاء . على سبيل الدعا لهنّ : أى لا مرضْنَ كما مرضْتُ .

والمعنى : أنه دعاء لهن بألاَّ يضْنين بفراقه ، كما ضنى بفراقهنّ .

وقوله : « تَجْزِى دموعى » صفة البقر . يعنى : هذه البقرة التى جازتنى بالبكاء ، فجرت دموعهن لفراقى ، كما جرى دمعى .

وقيل : معناه[٢] قد أضنانى حبّ هؤلاء ، حتى تغيَّرتْ محاسنى ، وقرب شيْبى ، فلا تجزْنى بعدهن بفرقتى[٣] ، لأنى قد شبْتُ وبليتُ ، فلم يبق[٤] لى موضع لعشق النساء كما عشقتَهن ، فيجزينى ضَنَى بِضَنى ، وتقابلن بكاء ببكاءٍ ، رحمة لى لا عشقًا . فيكون البقر غير التى جرى ذكرها .

٤ – سَوَائِرٌ رُبَّمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا مَنِيعَةً بَيْنَ مَطْعُونٍ وَمَضْرُوبِ

سوائِرٌ : صفة أخْرى لبقَر ، وقيل : وهنّ سوائِرٌ[٥] . و « منيعةً » : نصب على الحال . يعنى : أنهن عزيزات فى قومٍ أعزّة ، فإذا سارت هودجهنّ [٣٠٢ – ب] بهن ، كان حوْلهن من يذُبُّ عنهن ويحميهن من كل من تَعرَّضَ لهنّ ، فلا مطمع لأحد فيهن .

٥ – وَرَيَّا وَخَدَتْ أَيْدِى الْمَطِىِّ بِهَا عَلَى نَجِيعٍ مِنَ الْفُرْسَانِ مَصْبُوبِ

الوخْدُ والوخيد : ضرب من السَّيْر السريع[٦] .

---

(١) ع : « يجزين » .

(٢) ع : « ذلك » مكان « معناه » .

(٣) ق : « بقرضى » .

(٤) ع : « فل يبق » ساقطة .

(٥) يريد أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره : هن سوائر . وهى رواية التبيان .

(٦) قال ابن جنى . الوخد : ضرب من السير . وأول السير « الدبيب » فإذا انبسط فهو « المشى » فإذا ارتفع فهو « العنق » فإذا زاد على ذلك فهو « الوثيد » فإذا ارتفع شيئًا فهو « الرمل » فإذا ارتفع قليلا فهو « الفسيح والوسيع » فإذا إرتفع فهو (الخربان والوخد) وهو ما ذكره الشارح . ويقول صاحب التبيان : الوخد : ضرب من السير اللين . انظر الفسر والتبيان .

يقول : ربّما سارت هوادجُهن فوق الدّماء ، فتقع أيدى المطىّ على دماء الفُرسان المصبوبة ، إن تعرضوا لهنّ .

وإنما ذكر الأيدى دون الأرجل ؛ لأنها أول ما تقع على الأرض ، فاكتفى بذكرها عن ذكر الأرجل .

٦ – كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ فِى الأَعْرَابِ خَافِيَةٍ
أَدْهَى – وَقَدْ رَقَدُوا – مِنْ زَوْرَةِ الذِّيبِ

أى : أدْهى من زَوْرَة الذِّيب ، وقد فَصَل بينهما بقوله : « وَقَدْ رَقَدُوا » والذيب : يضرب به المثل فى الخبث والدهاء[1] .

يخاطب نفسه ويقول : كم مرّة ذهبت إلى الأعراب حين رقدوا فزرْت حبيبتك وهم لا يشعرون ، وهجمت عليها هجوم الذِّئب ، إذ اختطفتها من بينهم على وجه الاحتيال والاستخفاء ، كما يفعل الذئب لما يختطف من الغنم ، ويهجم عليها من حيث لا يشعر الراعى .

٧ – أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِى وَأَنْثَنِى وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بِى

يقول : إن الظّلام يسترنى عند زيارتى هؤلاء الأعراب ، فكأنّه يشفع لى إلى ما أريد[2] . [وعند الانصراف يشهرنى الصبح][3] ويحول بينى وبينها . ومثله لابن المعتز[4] :

---

(١) ع : « والدماء » وفى الفسر والتبيان . وزورة الذئب تضرب مثلا فى الخبث .

(٢) ع : « ما أريده » .

(٣) ما بين المعقوفتين عن الواحدى .

(٤) هو : عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل بالله بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسى خليفة يوم وليلة . ولد فى بغداد وأولع بالأدب فكان يقصد فصحاء العرب ويأخذ عنهم ولد سنة ٢٤٩ وقتل سنة ٢٩٦ له ترجمة فى الأغانى ط الدار ١٠ /٣٧٤ وابن خلكان ١ /٢٥٨ ويذكر صاحب معاهد التنصيص أنه : « أشعر بنى هاشم على الإطلاق وأشعر الناس فى الأوصاف والتشبيهات » معاهد ٢ /٣٨ .

لا تَلْقَ إلا بِلَيْلٍ مَنْ تُوَاصِلُهُ فَالشَّمْسُ نَمَّامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَّادُ[١]

فذكر جميع ما فى البيت فى نصف بيت[٢] .

٨ - قَدْ وَافَقُوا الْوَحْشَ فى سُكْنَى مَرَاتِعِهَا
وَخَالَفُوهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيبِ

التَّقْويض[٣] : ضدّ التَّطْنيب .

يقول : هؤلاء الأعراب وافقوا الوحش فى حلولهم مراتع الوُحُوش وسكناهم مساكنها[٤] وخالفوها بأنهم يحطّون خيامهم مرّة[٥] ، ويقلعون أوتادهم مرة ، ثم يطنبونها : أى ينصبونها ، ويشدون حبالها[٦] .

٩ - جِيرَانُهَا وَهُمُ شَرُّ الْجِوَارِ لَهَا وَصَحْبُهَا وَهُمْ شَرُّ الأَصَاحِيبِ[٧]

الجُوار : بضم الجيم وكسرها ، هى المجاورة ، ومعناه هاهنا : هم شر أهل الجوار .

يقول : جيران الوحش من حيث المسكن ، إلا أنّهم شر الجيران لها ؛ لأنهم

(١) ديوانه ١٤٧ والتبيان ١ /١٧٩ معاهد التنصيص ٢ /٢١٠ وفيه : « من تواعده » . ويقول : إلا أن ابن المعتز هجن هذا المعنى بذكر « نمامة » وقواد » وأبو الطيب سبكه أحسن سبك وأبدعه . فصار أحق به منه . والفسر ١ /٣٥٨ الشطر الثانى .

وقال ابن جنى : هذا معنى حسن بلفظ شريف ، وحدثنى المتنبى وقت القراءة عليه قال : قال لى ابن خنزابة : يا أبا الطيب أعلمت أنى أحضرت كتبى وجماعة يطلبون من أين أخذت هذا المعنى فلم يظفروا بذلك . وقال لى المتنبى : وكان عنده من الكتاب الواحد خمسون نسخة ، يريد تعظيم أمر كتبه . فلما كان بعد ذلك فكرت أنا من أين أراد هذا المعنى . فوجدت لابن المعتز مصراعًا بلفظ لين ضعيف جدا فيه معنى البيت كله على جلالة لفظه وحسن فنه تأليفه وهو : الشمس نمامة والبدر قواد . الفسر ١/٣٥٨ .

(٢) فى : « تذكر الجميع فى نصف بيت » .

(٣) التقويض : حطّ الخيام . الفسر .

(٤) فى : « وسكناهم سكناها » .

(٥) فى : « بأنهم يخيامهم مرة » .

(٦) فى : « أحبالها » .

(٧) الأصاحيب : جمع أصحاب . وأصحاب : جمع صاحب . وجمع أصحب أيضا . الفسر .

يصيدونها وهم أصحاب الوحوش ؛ إلا أنهم أشر الأصحاب ؛ لأنهم يأكلونها[١] .

١٠-فُؤَادُ كُلِّ مُحِبٍّ فى بُيُوتِهِمُ وَمَالُ كُلِّ أَخِيذِ الْمَالِ مَحْرُوبِ

أخيذ المال : أى مأخوذ المال . والإضافة فى تقدير الانفصال ، ولهذا نكَّر الصِّفة فى قوله : « محروب » والمحْرُوب : الذى أُخذَ حريبُه ، وهو ماله[٢] .

يقول : إن رجالهم صعاليك يغيرون على الأعداء ، ونساؤهم فواتن يسلبْن قلوب العشاق ، ففى بيوتهم قلوب الرجال وأموال الأبطال .

وقيل : إنهم أحنوا إلى الناس فملكوا قلوبهم بالإحسان ، وملكوا أموال الأعداء بالقهر والإغارة .

١١-مَاأَوْجُهُ الْحَضَرِ الْمُسْتَحْسَنَاتِ بِهِ كَأَوْجُهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَابِيبِ

الرعابيب : جمع رَعْبوبة ، وهى البيضاء الممتلئة الجسم . والهاء فى « بِهِ » للحَضَر ، وهو خلاف البدو .

يقول : ليس أهل الحضر كأهل البدو [٣٠٣ - ١] .

١٢-حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةٍ وَفِى الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ

الحضارة : ملازَمة الحَضَر ، والبداوة : ملازَمة البدو . والتقدير : حسن أهل الحضارة وأهْل البداوة[٣] .

يقول : إن حسْن الحضريات مصنوع بالتَّطْرِية ، وحسْن البدويات مطبوع ، والمطبوع خير من المصنوع .

١٣-أَيْنَ الْمَعِيزُ مِنَ الآرَامِ نَاظِرَةً وَغَيْرَ نَاظِرَةٍ فى الْحُسْنِ وَالطِّيبِ

---

(١) ع : « إلا أنهم شر الأصحاب من حيث أنهم يأكلونها » .

(٢) فى النسخ : « وهى حاله » والتصويب من الفسر وغيره .

(٣) ق : « فى أهل البداوة » . ع : « وفى أهل البداوة » .

المَعِيزُ والمِعْزَى والمَعَز[١] : واحد . وناظرةً : نصب على الحال[٢] . أقام الحضريات مقام المَعْز ، لكون المِعْز حضريات ، وأقام البدويّات مقام الظباء ؛ لكون الظباء فى الفلوات .

يقول : أين المِعْز من الظباء فى حسنها وطيبها ! وفى[٣] حال كونها ناظرةً ، وفى غير حال نظرها .

أى : كما أن الظباء أحسن من المعز فى كل حال ، فكذلك البدويّات أحسن من الحضريّات .

وقيل معنى قوله : « ناظرة وغيرَ ناظرة » أى أن الظباء أحسن من المعز : حيّةً وميّتة ، فهى أحسن منها منظرًا حيّة ، ولحمًا ميتة[٤] .

١٤- أَفْدِى ظِبَاءَ فَلاةٍ مَاعَرَفْنَ بِهَا مَضْغَ الْكَلامِ وَلاصَبْغَ الْحَواجِيبِ

« الصَّبغ » بالفتح : مصدر ، وبالكسر : اسم . والحواجيب : أراد به الحواجب ، فأشبع الكسرة ؛ لتحدث الياء بعدها[٥] . والهاء فى « بها » للفلاة .

يقول : إن البدويّات مطبوعات على حسْن الكلام ، وحسْن الحواجب ، فلا يصبغنَ حواجبهن بالسواد ، ولا يمضغن الكلام ؛ لأن كلامهنّ فيه غنّة فلا يحتجْنَ إلى تكلفها .

وقيل : أراد بمضغ الكلام التفاصح .

١٥- وَلاَبَرَزْنَ مِنَ الحمَّام مائِلَةً أَوْراكُهُنَّ صَقِيلاَتِ الْعَراقِيبِ

---

(١) المعز : نوع من الغنم خلاف الضأن وهى من ذوات الشعر والأذناب القصار . الفسر والتبيان والدميرى .

(٢) فى التبيان : نظرا : نصب على التمييز ويجوز أن يكون حالا .

(٣) ق : « حسنها وطيبها وفى » ساقطة انتقال نظر .

(٤) غ : « أحسن من حية وميتة . فهى أحسن منها حية لحامية » اضطراب فى العبارة .

(٥) وهذه من ضرورات الشعر كما فى قول الشاعر :

فى الدّراهيم تنقاد الصيارف

« أوراكهنَّ » رفع بـ « مائلةً » و « صقيلاتِ » نصب على الحال .

يعنى : أنهن مخلوقات كذلك فلا يصبغن حواجبهن[١] ، ولا يكسّرن فى كلامهن ، ولا تمايل أوراكهن تصنّعا ، ولا يصقلن عراقيبهن كما تفعله النساء [من] أهل الحضر . فأفدى من هذه حالها .

١٦- وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَت مُمَوَّهَةً تَرَكْتُ لَوْنَ مَشِيبِى غَيْرَ مَخْضُوبِ

المُمَوَّه : المزوّر المغشوش .

يقول : لما كنت أحبّ كلَّ مطبوعة ، وأبغض كل مصنوعة ، تركت لون شَيْبى[٢] ظاهرًا مطبوعًا ، لم أمَوّهْهُ بالخضاب . وهذا ينظر إلى قول الشاعر :

لاتَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِىَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ[٣]

١٧- وَمِنْ هَوَى الصِّدْقِ فى قَوْلى وَعَادَتِهِ رَغِبتُ عَنْ شَعَرٍ فِى الْوَجْهِ مَكْذُوبِ

الهاء فى « عادته » للصدق .

يقول : من حبِّى للصّدق واعتيادى له ، زهدْتُ عن شَعْرٍ مخضوب فى الوجه : وهو المكذوب[٤] .

١٨- لَيْتَ الْحَوادِثَ بَاعَتْنِى الَّذِى أَخَذَتْ مِنِّى بِحِلْمِى الَّذِى أَعْطَتْ وَتَجْرِيبِى

يقول : إن الحوادث أخذت منى الشّباب ، وأعطتنى الحكمة والتجارب ، فليتها

---

(١) ق : من « حواجبهن . . . . . حواجبهن » ساقط انتقال نظر .

(٢) ع : « مشيبى » .

(٣) نسب للأخطل فى سيبويه ١ /٤٣٤ والقلقشندى فى صبح الأعشى ٢ /٣١٤ وانظر ملحقات ديوان أبى الأسود الدؤلى ١٣٠ . وغير منسوب فى عيون الأخبار ١٩/٢ والمستطرف ٢٤/١ .

(٤) قال ابن جنى : هذا يؤكد للمعنى الأول . فرد عليه أحد معلقيه قائلا : هذا إعادة للمعنى من غير حاجة إليها . الفسر ١ /٣٦٥ .

ردّت عليّ ما أخذته من الصّبى ، وأخذت ما أعطت من الحلم والنُّهى[١] .

١٩- فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فى الشُّبَّانِ وَالشِّيَبِ

يقول : ليت الحوادث ردّتنى إلى أيّام الصبى والحداثة[٢] ، فإنها لا تمنع من الحلْم ، فيكون مع الحداثة ما يكفينى من الحلم والتجربة ؛ فإن العقل يوجد فى الأحداث كما يوجد فى الشيوخ . والحداثة : لا توجد إلا مع الشبان[٣] .

٢٠- تَرَعْرَعَ الْمَلِكُ الْأُسْتَاذُ مُكْتَهِلاً قَبْلَ اكْتِهَالٍ ، أَدِيبًا قَبْلَ تَأْدِيبِ

ترعْرَعَ[٤] : أى شبّ ، ولا يكون إلا حسْن الشّباب . [٣٠٣ - ب] والاكْتِهالُ : التمام فى كلّ شىء . والكهل من النّاس : من سِنّه ما بيْن أربع وثلاثين ، إلى خمسين سنة[٥] . ونصب « مكْتَهِلاً » و « أدِيبًا » على الحال .

لما قال : إن الحداثة لا تمنع من الحلم ، استدلّ بحال كافور فقال : الحلم يوجد فى الأحداث ، كما أن الأستاذ كافور ترعرع[٦] من الحلم والأدب ، ولم يكن من الشيوخ . ولا الكهول .

يعنى : أنه خلق مطبوعًا على الأدب ، فلم يحتج إلى مؤدِّب ، وكان ابتداء شبابه فى الكمال ، كاكتهال غيره .

---

(١) فى الفسر : « الحلم والتجربة » وكذا فى الواحدى والتبيان . ق : « الحكمة » بدل : « الحلم »

(٢) الحداثة : يقال أخذ الأمر بحداثته : بأوله وابتدائه . والحدث : الصغير السن . ويريد بها الشباب . اللسان والتبيان وآخر شرح البيت .

(٣) يقول ابن جنى المعنى : ليت الحوادث ردت علىّ شبابى ، وأخذت منى الذى أعطته من الحلم والتجربة ، وردتنى إلى حال الحداثة . فقد كان معى فيها من الحلم والتجربة ما يكفى . الفسر ١ /٣٦٥ .

(٤) قال ابن جنى ، ترعرع : شب وأيفع . . . ولا يكون إلا من حسن الشباب وجمعها : رعارع ورعارعة . الفسر ١ /٣٦٥ .

(٥) ذكر ابن جنى أنه من سنه ما بين أربع وثلاثين إلى إحدى وخمسين . الفسر وفى اللسان : الكهل : من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين .

(٦) فى النسخ : « كان ترعرع » .

٢١-مُجَرَّبًا فَهِمًا مِنْ قَبْلِ تَجْرُبَةٍ مُهَذَّبًا كَرَمًا مِنْ قَبْلِ تَهْذِيبِ

« مهذّبًا » و « مجرّبًا » نصب على الحال . و « فَهِمًا » و « كَرمًا » نصب على المصدر أو على المفعول له .

يقول : ترعرع المِلك على هذه الأحوال ، فهو مجرّب قبْل تجربة ؛ لما طبع عليه من الفهْم ، مهذَّبٌ ؛ لما جبل عليه من الكرم ، فلا يحتاج إلى التّهذيب والتّجريب .

٢٢-حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نِهَايَتَهَا وَهَمُّهُ فى ابتداءاتٍ وَتَشْبِيبِ

التشبيب[1] : الابتداء بالأمر .

يقول : قد أصاب الغاية من الدّنيا ، وهو مع ذلك فى أول مطالبه وتشبيب همته ، ولم تبلغ همّته أقصى مرادها .

٢٣-يُدَبِّرُ المُلْكَ مِنْ مِصْرٍ إلى عَدَنٍ إلى العِرَاقِ فَأَرْضُ الروم فالنُّوبِ

يعنى : أن هذه النواحى كلها تحت يده ، وهو يدبرها[2] .

٢٤-إِذَا أَتَتْهَا الرِّيَاحُ النُّكْبُ مِنْ بَلَدٍ
فَمَا تَهُبُّ بِهَا إلا بِتَرْتِيبِ

النكْب : جمع النّكْباء ، وهى كل ريح هبّت بين مهبَّىْ ريحَيْن . وقيل : هى ريح [تهبّ] من مهاب الرياح الأربع [على غير استواء] .

يقول : إن الريح النكْباء مع اختلاف هبوبها ، إذا أتتْ هذه النواحى ، لا تهبّ فيها إلا بترْتيب من حُسْن سياسته وترتيبه الأمور[3] .

---

(١) التشبيب : ذكر أيام الشباب واللهو والغزل . وذلك يكون فى ابتداء قصائد الشعراء يبدأ به أولا ، هذا هو الأصل . ثم سمى ابتداء لكل أمر تشبيبًا وإن لم يكن فى ذكر أيام الشباب .

(٢) ع : « يدبر ملكها » ويريد اتساع ملكه إلى هذه الأطراف ذكر ابن خلكان أن مملكة كافور كانت تمتد من مصر إلى الحجاز وما إليها من الديار الشامية وموقعها بين البلاد المذكورة وهى حولها .

(٣) يقول ابن جنى : إذا مرت الريح بمصر . وهى على غير استقامة . اعتدل بها هبوبها . =

٢٥- وَلاتُجَاوِزُهَا شَمْسٌ إِذَا شَرَقَتْ إِلا وَمِنهُ لَهَا إِذْنٌ بِتَغْرِيب

روى : « إذا شرَقت »[١] و « إذا طَلَعتْ » والتَّغْرِيب : أن تأخذ نحو المغرب[٢] .

يقول : إذا طلعت الشمس على هذه النّواحى ، فأرادت أن تتجاوزها ، فلا تجسر على المجاوزة ، إلا أن يأذن لها بالغروب ، والها فى « منه » : لكافور وفى « لها » للشمس .

٢٦- يُصَرِّفُ الأَمْرَ فِيهَا طِينُ خَاتَمِهِ وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبِ

تَطَلَّسَ : أى انمحى وذهب أثره ، وَطَلَّسْتُ الكتابَ : محوْتُه .

يقول : لا يُمْضى الأمر إلا بخاتمه[٣] ، وإن انمحت كتابته متى عُرِفَتْ رسومه أُمْضِىَ أمره ، رهبة له وإعظامًا .

٢٧- يَحُطُّ كُلَّ طَوِيلِ الرُّمْحِ حَامِلُهُ
مِنْ سَرْجِ كُلِّ طَوِيلِ الْبَاعِ يَعْبُوبِ

فاعل « يحطّ » « حاملُه » : أى حامل خاتمه . والهاء للخاتم[٤] . واليَعْبوب : الفرس الكثير الجرى . وقيل : هى الطّويل ، وطويل الباع : طويل القوائم .

= خشية منه وإعظاما له . ومثله فى الواحدى والتبيان . والرياح مثل أراد به المبالغة فى مهابة الناس له ومجانبتهم الخلاف والفتنة حتى عقلت الرياح . انظر التبيان .

(١) ق : « أشرقت » . (٢) ق : « الغرب » .

(٣) روى ابن جنى ، يقال : « خاتِم » و « خاتَم » و « خِتام » و « ختام » قرأه أبو عمرو فى قوله تعالى : « ختامه مسك » وقرأ الكسائى « خاتِمه مسك » . الفسر ١ /٣٦٨ .

(٤) يقول ابن القطاع : حامله : « الهاء » يعود على : « كافور » أى إذا رآه الأبطال انحطوا . التبيان . وقال الواحد ، يحط : ينزل ويضع . . وذلك أن الفارس إذا رأى خاتمه سجد له فينزل من فرسه . قال : ولم يعرف ابن جنى هذا فقال مرة : يقتل حامل خاتمه كل فارس فينزله عن سرج فرسه ، ومرة يحط حامل كتابه أعداءه عن سروجهم ، وليس البيت من القتل ولا من إنزال الأعداء فى شىء . والمعنى : يريد نفاذ أمره واتساع قدرته انظر الفسر ١ /٣٦٩ والواحدى ٦٣٧ .

يقول : حامل خاتمه يحُطُّ كلَّ فارسٍ طويل الرّمح ، عن سَرْج كلّ فرس طويل القوائم واسع الجزى ؛ لما يداخله من الهيبة ، وانبساط أمره ، فإذا كانت [هذه] حاله ، فحال غيره، فى الانقياد أبلغ [٣٠٤-١] .

٢٨-كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فى مَسَامِعِهِ
قَمِيصُ يُوسُفَ(١) فى أَجْفَانِ يَعْقُوبِ

يقول : يفرح بسؤال كلّ سائل ، وكأنه فى أذنه . مثل : قميص يوسُف فى عين يعقوب ، فهو يستغنى بالسؤال ، كما استغنى يعقوب بقميص يوسف .

٢٩-إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْأَلَةٍ فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبِ

يقول : إن أعداءه إذا قصدوه بالخضوع والسّؤال ، طلبًا لمالِهِ أو طلبًا للصّلح منه ، أجابهم لما يريدون ، فكأنهم قصدوه بجيش لا يُغْلب .

٣٠-أَوْحَارَبَتْهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ مِمَّا أَرَادَ ، وَلا تَنْجُو بِتَجْبِيبِ

التجبيب : (بباءين) هو التّأخر والهرب . وروى « تَخْبِيبِ » من قولهم : خَبَّبَ فلانٌ نفسه إذا بعد .

يقول : إنْ حاربه الأعداء فلا ينجون بالشجاعة والإقدام ، وإن هربوا لحقهم بخيله ، فلا ينجون بالهرب والانهزام .

٣١-أَضْرَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْصَى كَتَائِبِهِ
عَلَى الْحِمَامِ ، فَمَا مَوْت بِمَرْهُوبِ

أضْرت : أى أغرت . يقال : أَضْرَيتُه على كذا وضَرَيْته على كذا : إذا عودته . وأقصى كتائبه : أى جميع كتائبه ؛ لأن أقصى هو الغاية(٢) .

يقول : قد عوَّدتْ شجاعتُه جميعَ عسكره لقاء الحروب ، فكأنه أضراهم على

(١) يوسف : يجوز فيها ضم السين وفتحها وكسرها . ابن جنى فى الفسر ١ /٣٦٩ .
(٢) يقول الواحدى يريد بأقصى كتائبه : الجبناء الذين لا يشهدون القتال .

المَوْت ، فلا يخافون من الموت والقتل ، كالبازىّ إذا ضَرِى[1] بالصيد، لا يخاف منه .

٣٢- قَالُوا هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ ! قُلْتُ لَهُمْ :
إِلَى غُيُوثِ يَدَيْهِ وَالشَّآبِيبِ

الشَّآبيب : جمع شؤبوب ، وهى الدّفعة العظيمة من المطر .

والمعنى : أن أرض مصر لا تمطر[2] ، وكأنّ النّاس قالوا : لِمَ تركت ديارَ الخِصْب والغَيْث[3] ، وقصدت كافورًا ؟!! فقال لهم : إن غيث يديه وشآبيب جوده ، أكثر من الغيث وأنفع[4] ..

٣٣- إِلَى الَّذِى تَهَبُ الدُّوَلَاتِ رَاحَتُهُ
وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبِ

يقول : إن كنتُ تركتُ الغيثَ ، فقد قصدتُ ملكًا يهب الولايات ، ولا يُتْبِع منّه[5] .

وفيه تعريضان : أحدهما تعريض لكافور أن يوليه ولاية ، والآخر تعريض بسيف الدولة أنه كان يمنّ عليه بما يصل منه إليه .

٣٤- وَلَا يَرُوعُ بِمَغْدُورٍ بِهِ أَحَدًا وَلَا يُفَزِّعُ مَوْفُورًا بِمَنْكُوبِ

المَوْفور : الرّجل الكثير المال .

يقول : لا يغدر بأحدٍ ، فيخاف آخرُ بأن يغدر به كما غدر بغيره ، ولا ينكب

(١) ق ، شو : « أضرى » يقال : أضريته على كذا أى عودته . ومنه : كلب ضار .

(٢) فى النسخ : « إن أرض تمطر لا تمطر » تحريف . والتصويب عن المعرى فى تفسير أبيات المعانى وقد نسبه الواحدى إلى ابن فورجة .

(٣) ع : « لما تركت ديارًا تخصب الغيث » .

(٤) قال ابن جنى يقول : تركت القليل من ندى غيره إلى الكثير من نداه . الفسر ١ / ٣٧١ .

(٥) ع : « ولا يمنع ما يهب » .

صاحب مالٍ ، فيخاف منه صاحبُ مالٍ أن ينكبه ، كما نكب غيره[١] .

٣٥- بَلَى يُرُوعُ بِذِى جَيْشٍ يُجَدِّلُهُ ذَا مِثْلِهِ فى أَحَمِّ النَّقْعِ غِرْبِيبِ

يجدّله . يصرعه على الجِدَالة . وهى الأرض ، والأحمّ : الأسود . والنقع : الغبار ، والغربيب : الأسود[٢] جاء به توكيدًا[٣] .

يقول : لا يروع بمغدور به أحدًا ، ولكن يقصد إلى ملك صاحبِ جيش عظيم فيقتله ويروع به ملِكًا آخر صاحب جيش مثل هذا المقتول ، فإذا رأى ما صنع بالأوّل هابه .

يعنى : أن همته ليست أخْذ المال ، بل همته[٤] طلب العز [٣٠٤ - ب] .

٣٦- وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ[٥] مَا فى السَّوَابِقِ مِنْ جَرْىٍ وَتَقْرِيبِ

التقريب : أرْفع المشى ، وأدْنى الجرى .

يقول : كان أنفع مال وجدْته وجمعته : ما فى الخيل السوابق من الجرْى والتقريب .

جعل الجرى والتقريب مالاً ، لمَّا وصل بهما إلى المال ؛ لاتصاله بالممدوح .

٣٧- لَمَّا رَأَيْنَ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَغْدِرُ بِى وَفَيْنَ لِى وَوَفَتْ صُمُّ الأَنَابِيبِ

يقول : لمّا وصلتُ بهذه السوابق ، وبهذه الرماح إلى جميع ما أردتُه ، فكأنهن وفين لى ، فى وقْتٍ غدرتْ بى صروفُ الدّهر ، ولم توافنى حوادث الأيام[٦] .

فهو يصف بذلك رحيله إلى مصر ، ونجاته من أذيّة سيف الدولة .

---

(١) ع : « الأول » بدل « غيره » .

(٢) ق . شو : من « الأسود . . . الأسود » ساقط انتقال نظر .

(٣) يريد : جاء به توكيدًا لـ : « أحمّ » من حيث اللفظ . انظر الفسر ١ /٣٧٢ .

(٤) ق : « همته » مهملة .

(٥) ع : « أملكه » .

(٦) ع : اضطرب شرح هذا البيت لكثرة ما فيه من تحريفات وسقط .

٣٨- فُتْنَ الْمَهَالِكَ حَتَّى قَالَ قَائِلُهَا :
مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْجُرْدِ السَّرَاحِيبِ ؟ !

المهالك : جمع مهلكة ، وهى المفازة . والسّرحوب : الفرس الطويل ، ولا يوصف بها الذكر .

يقول : سرعةَ هذه الخيل ، شكت المفاوزُ حتى قال قائلها : (أى بعض بقاعها) : أىَّ شىء لقينا من هذه الخيل ؟ !

وقيل : أراد بالمهالك أسباب الهلاك . أى فأتتْ خيلى كلَّ أمْر فيه هلاك .

٣٩- تَهْوِى بِمُنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ لِلْبُسِ ثَوْبٍ وَمَأْكُولٍ وَمَشْرُوبِ

تَهْوِى : أى تسرع . والمُنْجرِد : الماضى فى أمره .

يقول : هذه السّوابق تهوى فى المفاوز برجلٍ مجِدٍّ فى أمره ، ليست همّته المأكول والمشروب والملبوس ، وإنما همّته معالى الأمور .

٤٠- يَرَى النُّجُومَ بِعَيْنَىْ مَنْ يُحَاوِلُهَا كَأَنَّهَا سَلَبٌ فِى عَيْنِ مَسْلُوبِ

يقول : ينظر هذا المنجرد إلى النّجوم نظرَ من يريد تناوُلها ، فكأنها سلَبٌ سُلِب منه ، فهو ينظر إليها كما ينظر المسلوب إلى سلَبٍ فى يد غيره .

يعنى : أنه يستحق منازل النجوم ، لكن[1] الدَّهْر حطّه عن درجته ، فهو ينظر إليها على هذا الوجه .

٤١- حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى نَفْسٍ مُحَبَّبَةٍ
تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلٍ[2] غَيْرِ مَحْجُوبِ

يقول : قطعتُ المهالكَ حتى وصلتْ إلى نفس محبَّبةٍ من الناس ، لعظم شأنه ، ولكن فضْلها غير محجوب .

---

(١) ع : « ولكن » .

(٢) فى النسخ : « بأمْرٍ » والمذكور عن الفسر والواحدى والتبيان والديوان وشرح البيت .

وقيل : إن هذا تعريض بسواده . يعنى : وصلتُ إلى نفسٍ كريمة ، محجوبة فى جسم أسود ، وفضْلها غير محجوب : يعنى : أن مَخْبره أحْسن من مَنْظره .

٤٢- فى جِسْمِ أَرْوَعَ صَافِى الْعَقْلِ تُضْحِكُهُ
خَلائِقُ النَّاسِ إِضْحَاكَ الْأَعَاجِيبِ

يقول : هذه النَّفْس فى جسم رجل ذكىّ صافى العقل ، وإن كان أسود اللون . فهو أبيض العقْل ، فلا يخالط عقلَه شىءٌ من الكُدُورة ، وهو يضْحك من أخلاق الناس لنقصانهم فى العقل ! فكأنه رأى شيئًا عجيبًا .

والأروع[1] : الذكىّ القلب .

٤٣- فَالْحَمْدُ قَبْلُ لَهُ ، وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا
وَلِلْقَنَا وَلِإِدْلاَجِى وَتَأْوِيبِى

له : أى لكافور . ولها : للخيل . والإدْلاج : سيْر اللّيل . والتَّأْويب : سير النّهار كلّه[2] .

يقول : الحمْد أوّلا [لك] ، إذ كان كرمك هو الباعث على قصْدك ، ثم بعد ذلك لخيلى ؛ لأنى وصلت بها إليك . وكذلك لسيْرى ليْلاً ونهارًا حتى وصلتُ إليك .

٤٤- وَكَيْفَ أَجْحَدَ[3] يَاكَافُورُ نِعْمَتَهَا
وَقَدْ بَلَغْتَكَ بِى يَا كُلَّ مَطْلُوبِى ؟ !

---

(١) قال ابن جنى ، الأروع : الذكى القلب كأنه مرتاع لذكائه . وهو فى غير هذا الموضع : الجميل الذى يروعك بحسنه . الفسر ١ /٣٧٥ .

(٢) ابن جنى ، الإدْلاج : السير من أول الليل . والتأويب : سير النهار إلى العشاء . الفسر ١ /٣٧٥ . وفى اللسان . الدّلجة : سير الليل كله وفى الحديث : « عليكم بالدّلجة فإن الأرض تطوى بالليل » .

(٣) ع : « أكفره » .

[٣٠٥ - ١] يقول : كيف أجحد نعم هذه الخيل السوابق ! وهى التى بلغتنى إليك ، وأنت مأمولى وغاية كل مطلوبى[١] .

٤٥- يَاأَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَانِى بِتَسْمِيَةٍ
فِى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ

الغانى : المستغنى .

يقول : أنت مشهور فى العالم باسمك المذكور . فإذا قيل : كافور . عرفت واستغنيت عن الوصف ، واللقب[٢] .

٤٦- أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّى أَعُوذُ بِهِ
مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مَحْبُوبِ

به : يرجع[٣] . إلى الحبيب .

يقول : أنت حبيبى ، ولكنى أعوذ بك من أن أكون محبًّا لك ، ولا أكون محبوبًا عندك . ومثله لأبى تمام قوله :

كَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَالَ لِى مُتَمَثِّلاً : كَمْ مِنْ وَدودِ لَيْسَ بِالْمَوْدُودِ[٤] !

---

(١) ع : « مأمولى وغاية مطلبى » .

(٢) ع : « والقباء » تحريف .

(٣) ع : « الهاء : ترجع » وفى الفسر : قال : « به » ولم يقل « بك » لأنه رده إلى الحبيب .

(٤) ديوانه ١ /٣٩١ والوساطة ٣٤٦ . والمعنى : أى كانوا يقولون أنت تودّ هذا الممدوح ، وهو لا يودّك .

(٢٤٧)

وقال يمدحه فى ذى الحجة من هذه السنة[١] [ويستنجزه وعده] .

١ – أَوَدُّ مِنَ الأَيَّامِ مَا لاتَوَدُّهُ
وَأَشْكُو إِلَيْهَا بَيْنَنَا وَهْىَ جُنْدُهُ

الهاء فى « تودّه » ترجع إلى « ما » والفعل للأيام . والهاء فى « إِلَيها » تعود إلى الأيام . وفى « جُنْده » إلى « البين » .

يقول : أريد من الأيام ألا تفرق بينى وبين أحبائى[٢] ، والأيام لا تريد ذلك . وأشكو إليها الفراق وهى جُنْده : أى هو الذى حكم بها ،[٣] فإذا شكوت إليها لم تشْكنى[٤] .

٢ – يُبَاعِدْنَ حِبًّا يَجْتَمِعْنَ وَوَصْلُهُ
فَكَيْفَ بِحِبٍّ يَجْتَمِعْنَ وَصَدُّهُ ؟ !

الحِبّ : المحبوب . وجعل الأيام تجتمع مع الوصْلِ والصّد ؛ لأنها فى الأيام يكونان ، والظرف يتضمن الفعل ، فإذا تضمّنه فقد لابسه وصار كأنّه مجتمع معه[٥] ، وعطف الوصْل والصدّ على الضمير فى « يجْتَمِعْن » من غير التوكيد

---

(١) ع : « وقال فى ذى الحجة من هذه السنة » . الواحدى ٦٤٠ : « وقال يمدح كافورًا فى ذى الحجة من سنة ست وأربعين وثلاث مئة » . التبيان ١٩/٢ : « وقال يمدح كافورًا سنة ست وأربعين وثلاث مئة » . الديوان ٤٥٠ : « وقال يمدحه أيضا » العرف الطيب ٤٨٦ .

(٢) ع : « وبين الأيام أحبائى » .

(٣) ع : « أى هو الذى حتم به . . . . لم » ق . شو : « لم تشكى » .

(٤) المراد : وهى جند الفراق وسببه ! فكيف آمل منها أن تسمع شكواى . وفى الواحدى والتبيان : وهى التى حتمت بالبين فكيف تشكينى والأيام جند الفراق لأنها سبب البعد والتفرق . والزمان هو الذى حتم بالبعد بيننا .

(٥) ق : « فيه » .

بالفصل[١] . وهذا جائز فى ضرورة الشعر .

يقول : إن الأيام تباعد منّى الحبيب المواصل ، فكيف تقرّب الحبيب المقاطع ؟!

٣ – أَبَى خُلُقُ الدُّنْيَا حَبِيبًا تُدِيمُهُ
فَمَا طَلَبِى مِنْهَا حَبِيبًا تَرُدُّهُ

يقول : كيف ترد عليك الأيام حبيبك الذى فارقك ؟

وهى لا تترك عليك حبيبك الذى هو معك !

٤ – وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغَيُّرًا تَكَلُّفُ شَىْءٍ فِى طِبَاعِكَ ضِدُّهُ

يقول : إن الدّنيا مطبوعة على التغيّر والتنقّل ، وإذا ساعدت بقرب حبيب لم تلبث أن تفرّق بيننا وبينه ! وترجع إلى عادتها التى جبلت عليها ، فأسرع شىء انتقالاً ، وأقربه زوالاً هو[٢] : تكلّف ما فى طبْعه خلافه .

٥ – رَعَى اللهُ عِيسًا فَارَقَتْنَا وَفَوْقَهَا
مَهًا كُلُّهَا يُولَى بِجَفْنَيْهِ خَدُّهُ

المها : بقر الوحْش ، وعنى بها النساء و « يولَى » : من الوَلْى ، وهو من المطر الثانى . والهاء فى « كلها » « للمها » وفى « جَفْنَيْه » و « خدّه » يعود إلى لفظ « كل » .

يقول : حفظ الله عيسًا فارقتنا وفوقهن نساء يبكين لفراقنا[٣] ، فتجرى دموعهنّ على خدودهن مرّةً بعد مرة ، فكأنّ خد كل واحدة منهن يسقى ولْيًا بعد وسْمىّ[٤] من سحابة جفْنَيْها ، تأسّفًا على الفراق .

---

(١) أى عطف « وصله وصدّه » على الضمير المرفوع فى : « يجتمعن » والأحسن أن يؤكده بالمنفصل مثل أن يقول : يجتمعن هن ووصله .

(٢) ع : « فأسرع شىء زوالا وأقربه انتقالا » .

(٣) ع : « بفراقهنّ » .

(٤) الولى : المطر الثانى . والوسمى : المطر الأول .

٦ – بِوَادٍ بِهِ مَا بِالْقُلُوبِ كَأَنَّهُ وَقَدْ رَحَلُوا جِيدٌ تَنَاثَرَ عِقْدُهُ

الهاء فى « به » و « كأنه » للوادى ، وفى « عقده » للجيد .

يعنى : فارقتنا هذه العيس بوادٍ به من [٣٠٥ – ب] الوحشة لفراقهن مثل ما فى قلوبنا من الوحشة ، فهو لوحشته كالجيد الذى انقطع عقده وتناثر دُرُّ قلائده . أى كن زينةً له ، فلما رحلن عنه صار كالجيد نزع[1] حليّه[2] .

٧ – إِنَّمَا سَارَتِ الْأَحْدَاجُ فَوْقَ نَبَاتِهِ تَفَاوَحَ مِسْكُ الْغَانِيَاتِ وَرَنْدُهُ

الأحْداج : جمع الحُدوج ، وهو مَرْكَب من مراكب النساء ، والرَّنْد : الآس[3] . وقيل : شجر طيّب الريح ، والعرب تسمى العُودَ « رَنْدًا »[4] والهاء « نباته » و « رَنْده » للوادى .

يقول : اختلطت رائحة المسك من النساء برائحة الرَّند فى هذا الوادى ، فكان كل واحد منهما يبارى الآخر بفوح الرائحة[5] .

٨ – وَحَالٍ كَإِحْدَاهُنَّ رُمْتُ بُلُوغَهَا وَمِنْ دُونِهَا غَوْلُ الطَّرِيقِ وَبُعْدُهُ

غَوْلُ الطَّرِيق[6] : بعده . يقول : هو الهلاك .

---

(١) ع : « تزعزعه عليه » .

(٢) قال المعرى فى تفسير أبيات المعانى : هذا (أى المذكور) هو المعنى الواضح . وقد يجوز أن يعنى بقوله : « بواد به ما بالقلوب » : أنهن ممثلات كما أنهن فى قلوبنا كذلك .

(٣) قال أبو حنيفة الدينورى ، الآس بأرض العرب كثير ينبت فى السهل والجبل وينمو حتى يكون شجرًا عظامًا واحدته آسة . معجم أسماء النبات : ٨ .

(٤) واحدته : رندة ، شجر بالبادية يستاك به وليس بالكبير . وروى عن أبى العباس أحمد بن يحيى أنه قال : الرند : الآس عند جماعة من أهل اللغة . انظر القاموس .

(٥) ع : « بالفوح » .

(٦) الغَوْل : بعد الطريق ، لأنه يغتال من يمر به ، فيقال : مغارة ذات غول أى بعيدة . انظر اللسان « غول » وقال الواحدى غول الطريق : ما يغول سالكه من تعبه ومشقته .

يقول : رُبَّ حالٍ مثل إحْدى هؤلاء الجوارى فى الحسْن والكمال ، ، أو فى العزّة والامتناع . وأنا أروم الوصل إليها ، وبينى وبينها طريق بعيد يهلك من . سلكه[1] .

٩ – وَأَتْعَبُ خَلْقِ اللهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ
وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِى النَّفْسُ وُجْدُهُ

الْوَجْد والوجدة : هو الغِنى .

يقول : أتعب الناس من أَتْعبَ[2] همّته . ولم يساعده مالُه وإمكانُه .

١٠ – فَلا يَنْحَلِلْ فى الْمَجْدِ مَالُكَ كُلَّهُ
فَيَنْحَلَّ مَجْدٌ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ

يقول : لا تتلف مالَك كلَّه فى اكتساب المجْد والثناء ، فإنْ فعلت ذلك افتقرت وضاع المجد الذى كنت تطلبه ! إذِ الْمجد لا يكون إلا مع المال .

١١ – وَدَبِّرْهُ تَدْبِيرَ الَّذِى الْمَجدُ كَفُّهُ
إِذَا حَارَبَ الأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدُهُ

يقول : دبِّر المال تدبيرَ الرَّجل الذى المجدُ كفه ، والمال زَنْدُه : يعنى كما لا تقوم الكفُّ إلا بالزَّنْد ، فكذلك لا تَقْهر الأعداء إلا بالمال .

١٢ – فَلا مَجْدَ فى الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
وَلا مَالَ فى الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

يعنى : كما لا يقوم المجد من دونِ المال ، كذلك المال لا ينفع إلا مع المجد ، فمن له المال بلا مجد فهو بمنزلة الفقير الذى لا مال له .

(١) يريد : أنه يطلب أحوالا عظيمة لا يقدر على الوصول إليها . كما أنه لا يقدر على الوصول إلى إحدى هؤلاء الغانيات . قال ابن جنى : ويجوز أن تكون الحال حسنة . كإحدى هؤلاء الغوانى فى الحسن . البيان ٢ /٢٢ .

(٢) ق : « عتب » . ع : « تعب » والتصويب عن الواحدى والتبيان والعرف الطيب .

١٣-وَفى النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
وَمَرْكُوبُهُ رِجْلاهُ وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ

يقول : فى الناس[١] من ليس له همَّة ، فقد رضى بالدُّون من العَيش ، واقتصر على طعام بطنه ، فلا يركب إلا رجْله ، ولا يلبس إلا جلْدَه .

١٤-وَلكنَّ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَىَّ مَا لَهُ
مَدًى يَنْتَهِى بِى فِى مُرَادٍ أَحُدُّهُ

لفظة « ما » فى قوله : « ما له » نفى .

يقول : أنا لست[٢] هكذا ، لكنِّى بعيد الهمّة ، ليس لهمّتى غاية تقف عندها . والهاء فى « أحُدُّه » للمراد .

١٥-يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرُبُّهُ
فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهُدُّهُ

الشُّفُوف : جمع شَفّ ، وهو الثوب الرّقيق . وتربُّه : تنعمه . وتَهُدُّه : تهدمه .

يقول : هذا القلب يرى الجسم الذى فيه يلبس أثوابًا[٣] رِقاقًا ، وهو لا يختار له ذلك ، وإنما يختار الدُّرُوع مع خشونتها وغلظتها ؛ لتهدم نعومة الجسم [٣٠٦-١] .

١٦-يُكَلِّفُنِى التَّهْجِيرَ فى كُلِّ مَهْمَهٍ عَلِيقِى مَرَاعِيهِ وَزَادِىَ رُبْدُهُ

التّهجير : السّير فى وقت الهاجرة . والعليق : ما تعلّق به على الدابة ، من شعير أوْ غيره . والرُّبد : النعام ، الواحد أربد ، وربداء ، سميت بذلك لسواد لونها[٤] .

---

(١) ق : « فى الناس » مهملة .
(٢) ع : « ما » فى قوله : ما له . نفى ، يقول : لست .
(٣) ع : « ثوبا » .
(٤) ع : « ألوانها » .

يقول : قلبي يكلفني السّير في وقت الهاجرة في كل مهمه[1] بلا زاد ولا عليق ، فخيلي تأكل من مراعيها ، وزادي من نعامها[2] .

١٧- وَأَمْضَى سِلاَحٍ قَلَّدَ الْمَرءُ نَفْسَهُ رَجَاءُ أَبِي الْمِسْكِ الْكَرِيمِ وَقَصْدُهُ

يقول : أمضى سلاح المرء : قصْد كافور ورجاؤه . فكما أن أبلغ ما يتوصل به المرء إلى مرامه هو السّلاح ، كذلك أبلغ ما يوصله إلى مراده قصده ورجاؤه .

١٨- هُمَا نَاصِرَا مَنْ خَانَهُ كُلُّ نَاصِرٍ
وَأُسْرَةُ مَنْ لَمْ يُكْثِرِ النَّسْلَ جَدُّهُ

يقول : رجاؤه وقصده مُعِينَانِ من ليس له معين . وعشيرةٌ يتقوّى بها ، كما يتقوى الرجل بناصره وعشيرته .

١٩- أَنَا الْيَوْمَ مِنْ غِلْمَانِهِ فِي عَشِيرَةٍ
لَنَا وَالِدٌ مِنْهُ يُفَدِّيهِ وُلْدُهُ

الوُلْد والوَلَد : لغتان يقعان على الواحد والجمع . وقيل : الوُلْد : جمع الوَلَد .

يقول : أنا اليوم من جملة غلْمانه ، وهم لي بمنزلة الوَلد ، ونحن أولاده نتمنى أن نفديه بأنفسنا .

٢٠- فَمِنْ مَالِهِ مَالُ الْكَبِيرِ وَنَفْسُهُ
وَمِنْ مَالِهِ دَرُّ الصَّغِيرِ وَمَهْدُهُ

يعني : أن نعمه عمت الكبير والصغير ، فمال الكبير ونفسه من هباته . ولَبَنَ الصَّغير ومهده من ماله .

يعني : أنه يملك نفوس الناس وأموالهم .

٢١- نَجُرُّ الْقَنَا الْخَطِّيَّ حَوْلَ قِبَابِهِ وَتَرْدِي بِنَا قُبُّ الرِّباطِ وَجُرْدُهُ

---

(١) المهمة : الفلاة الواسعة .

(٢) ق : « مراعيه . . . نعامه » . ع : « أنعامه » والتصويب عن الواحدي .

الهاء فى « جُرْدُه » يرجع إلى لفظ « الرباط » لأنه[١] اسم واحد موضوع للجمع مثل : القوْم والنَّفَر. وتَرْدِى : من الرِّديان ، وهى سرعة السَّير. والقُبُّ : جمع أقبّ وقباء وهو الفرس الضَّامر ، والرِّباط : اسم للخيل المربوطة ، وقال أبو زيد : هى الخمْس فما فوقها .

يقول : نَجُرُّ القنا حول قِبَاب الممدوح كل يوم ، لأنّا من غلمانه ، ونُجْرى الخيل فى ميدانه ؛ لأن عادة الغلمان أنهم يتلاعبون فى ميادين الملوك .

٢٢–وَنَمْتَحِنُ النُّشَّابَ فِى كُلِّ وَابِلٍ دَوِىُّ القِسِىِّ الْفَارِسِيَّةِ رَعْدُهُ

الهاء فى « رَعْدُه » يعود إلى « وابل » .

يقول : نرمى النّشّاب[٢] بين يديه ، ونمتحنها ، على عادة الغلمان من امتحان السِّهام . وشبه كثْرة النّشّاب بالمطر الوابل ، ودوّى القسىّ وصوْتها عند الرّمى بالرعد . يصف كثرة غلمانه وجنده .

٢٣–فَإِلاَّ تَكُنْ مِصْرُ الشَّرَى أَوْ عَرِينَهُ فَإِنَّ الَّذِى فِيهَا مِنَ النَّاسِ أُسْدُهُ

الشَّرَى : موضع [كثير][٣] الأسد ، والعرين : الأجمة[٤] .

يقول : إن لم تكن مصر مقرّ الأسود ، فإن الذى فيها أُسُود ، فلا اعتبار بالموضع ، وإنما الاعتبار بالأسد[٥] .

٢٤–سَبَائِكُ كَافُورٍ وَعِقْيَانُهُ الَّذِى بِصُمِّ الْقَنَا لاَ بِالأَصَابِعِ نَقْدُهُ

العقْيان : الذّهب .

---

(١) أى الرّباط .

(٢) النشاب : السهام .

(٣) ما بين المعقوفتين عن كتب اللغة والتبيان والواحدى .

(٤) الأجمة : الشجر الكثيف الملتف . وتجمع على أجم وإجام وآجام .

(٥) ق ، شو : « وإنما هو بالأسد » .

يقول : هؤلاء الغلمان ، والرّجال [٣٠٦ - ب] (الذين هم الأسود) سبائك لكافور ادّخرهم بعد أن امتحنهم بالطّعن بين يديه ، وجرّبهم فجعلهم ذَخائِر ، وأقامهم مقام ماله ، الذى هو السبائك[١] والذهب ؛ لأنه يصل بهم إلى مطالبه كما يوصل بالمال .

ولمّا جعلهم مالا جعل نقدهم بالقنا والطعن لا بالأصابع ، لأنه لم يردْ حقيقة الدّنانير التى تنقد بالأصابع .

وقيل : أراد أنه[٢] يكسب الذهب والفضة بصُمّ القنا لا بالتّجارة . والأوّل هو الظاهر الأليق .

قال أبو الطيب : لمّا أنشدْتُ هذا البيت قال لى [كافور][٣] : مَنْ يعرف العِقْيان . اليوم ؟ فقلت : نعم هربًا من تفسيره إيّاه . فقال : (الصيوف) . يريد السيوف .

٢٥- بَلاَهَا حَوَالَيْهِ الْعَدُوُّ وَغَيْرُهُ وَجَرَّبَهَا هَزْلُ الطِّرَادِ وَجِدُّهُ

بلاها : أى جرّبها . والهاء فيها قيل : تعود إلى الخَيْل ، وقيل للسبائك والعقيان .

يقول : إن العدوّ قد جرّب هذه الخيل والغلمان[٤] وغَيْرُ العدوّ أيضا . فالعدوّ فى الحرب فى حالة الجِدّ وغير العدو فى الميدان : فى حالة الهزْل .

٢٦- أَبِالْإِسْمِ لاَ يَفْنَى بِذَنْبِكَ عَفْوُهُ وَلَكِنَّهُ يَفْنَى بِعُذْرِكَ حِقْدُهُ

يخاطب نفسه أو صاحبه يقول : إنّ عفوه لا يَفْنى بذنبك ، ولم يغلبه ذنب

---

(١) السبائك : جمع سبيكة ، وهى المذاب من الذهب والفضة . الواحدى .

(٢) ق ، شو : « إنه أراد » .

(٣) ما بين المعقوفتين من إحدى النسخ الهامشية فى الديوان . توضح المراد .

(٤) ق ، شو : « والعقيان » .

المذنب ، ولكنه يُفْنِى حَقْدَه بعذرك : يعنى إذا اعتذرت إليه زال عن قلبه حقده[١] .

٢٧- فَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالْجَدِّ سَعْيُهُ وَيَاأَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالسَّعْيِ جَدُّهُ

سعْيُه وَجدُّه : رفع بالمنصور .

المعنى : أنك بلغت جدَّك بسعيك ، ولم تبلغ ما بلغتَ بالجدّ وحده ، ولكنه بالجدّ والسّعى ، فجدّك ينصر سعيَك فى أمرك ويوفّقه لك ، وسعْيُك ينصر جدَّك ، فقد اشتَمَلَتْك السّعادةُ والنَّصْرُ[٢] .

٢٨- تَوَلَّى الصِّبا عَنِّى فَأَخْلَفْتُ طِيبَهُ وَمَا ضَرَّنِى لَمَّا رَأَيْتُكَ فَقْدُهُ

أخْلَفْتُ : أى وجدتُ طيب كافور خَلَفًا من الصِّبَا[٣] .

يقول : لما تولَّتْ عنِّى أيامُ الصِّبا جعلتُ طيبك خلفًا عنها ، فناب مناب أيام الصبا ولم يضرنى فقد أيام الصبا[٤] لمَّا رأيتُك ، فسرورى بك مثل سرورى بأيّام الصِّبا .

٢٩- لَقَدْ شَبَّ فِى هَذَا الزَّمَانِ كُهُولُهُ لَدَيْكِ ، وَشَابَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مُرْدُهُ

يقول : شَبَّ كهولُ الزّمان عندك ؛ لسرورهم بإحسانك إليهم فكأنّهم فى أيام

---

(١) ع : « الحقد » .

(٢) قال المعرى : أراد أن الممدوح قد جمع بين الجَدّ الذى هو الحظ ، وبين الجدّ الذى هو السعى فى طلب المكارم ، فلا واحدة من الحالتين تنصر الأخرى ، لأن المجدود إذا اتكل على جَدّه لم يسع فى طلب المكارم . . . وإذا سعى وهو غير مجدود لم يصل إلى خير ؛ لأن المثل السائر : « عش بجَدك لا بكدك » . تفسير أبيات المعانى .

(٣) ق ، شو زادتا بعد ذلك : « ولم يضرنى فقد أيام الصبا » .

(٤) ق ، شو : « سقطت هذه الجملة : « ولم يضرنى فقد أيام الصبا » من هذا المكان لأنهما أتيا بها قبل .

الصبا ، والشباب عند غيرك شابَتْ مُرْدُ[١] هذا الزمان لإيذائِهِ إياهم[٢] .

يريد سيف الدولة[٣] .

٣٠- أَلاَ لَيْتَ يَوْمَ السَّيْرِ يُخْبِرُ حُرُّهُ فَتَسْأَلَهُ ، واللَّيْلَ يُخْبِرُ بَرْدُهُ

يقول : ليت حرّ الهواجر يخبرك بحاله ؛ حتى تسأله عمّا فعل بى ، وليْتَ برد الليل مخبرٌ أيضا ؛ لتعرف منه ما قاسيْت من البرد[٤] .

٣١- وَلَيْتَكَ تَرْعَانِى وَحَيْرَانُ مُعْرِضٌ فَتَعْلَمَ أَنِّى مِنْ حُسَامِكَ حَدُّهُ

حيران : ماء بالشام[٥] ، وقيل : جَبَلٌ . كانت قد ظهرت له خيل وهو عليه .

يقول : ليتك ترانى بهذا المكان ، حين لاحت لِىَ الخيلُ ، لتعلم شجاعتى ، وأنى بمنزلة الحدِّ فى سيْفك .

وقيل : شبه الجيْش بحيْران [٣٠٧ - ١] ، الذى هو الجبل .

والمعنى : ليتك رأيتنى يوم يبدو فيه الجيش ، حتى تقِف على شجاعتى ، وتعلم أنى حدّ حسامك .

٣٢- وَأَنِّى إِذَا بَاشَرْتُ أَمْرًا أُرِيدُهُ تَدَانَتْ أَقَاصِيهِ وَهَانَ أَشَدُّهُ[٦]

---

(١) فالمراد : الشبان .

(٢) يقول صاحب التبيان : يجوز أن يكون هذا من المقلوب هجوًا ! يريد أن الكهول عندك لما يناهم من الذل والظلم والاحتقار ، كحال الصبيان وأن المراد - وهم الشبان - عند غيرك بالاحترام لهم ورفع أقدارهم صاروا شيبا : أى موقرين توقير الشيوخ .

(٣) ع : « أراد به » وفى التبيان قال أبو الفتح : هذا تعريض بسيف الدولة .

(٤) ق ، شو : « من البرد فيه » .

(٥) ق : « حيران : بالشام » وذكر ياقوت : حيران : بالكسر كأنة جمع حَيْر ، ماء بين سلمية والمؤتفكة ذكره المتنبى . وقال صاحب التبيان : حيران : ماء الشام بالقرب من سلمية على بعد يوم منها . وقال الواحدى : ترعانى : ليس من رعاية الحفظ وإنما هو معنى ترانى وترقبنى ، وحيران اسم ماء . ومُعْرِض : ظاهر .

(٦) ع : سقط نص هذا البيت واختلط شرحه بشرح البيت الذى يليه ٣٣ .

يقول : وتعلم أيضًا أنى إذا رُمْت أمرًا ، قَرُبَ بعيده وهان شديدُه .

٣٣-وَمَازَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونَ لِى إِلَيْكَ فَلَمَّا لُحْتَ لِى لاَحَ فَرْدُهُ

يقول : كنت أظن أن أهل الدّهر مشتبهون فى المراتب والمنزلة ، متساويين فى القدر ، فلما رأيتُكَ رأيت فردَ الزّمان[1] الذى لا نظير له .

وقيل : إن أهل الدّهر من الملوك كانوا يشتبهون بك عندى ، فيوهمونى مساواتهم لك فى المُلْك وسائر الخصال ، فلما رأيتُكَ ، أوْحد الدّهر ، علمت بطلان دعاويهم .

٣٤-يُقَالُ إِذَا أَبْصَرْتُ جَيْشًا وَرَبَّهُ أَمَامَكَ رَبٌّ رَبُّ[2] ذَا الْجَيْشِ عَبْدُهُ

يقول : كنتُ إذا رأيتُ جيشًا وأميرَه ، قيل لى قدّامك ملِكٌ - وهو كافور - وأمير هذا الجيش ، عبد ذلك الملك .

٣٥-وَأَلْقَى الْفَمَ الضَّحَّاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَرِيبٌ بِذِى الْكَفِّ الْمُفَدَّاةِ عَهْدُهُ

الهاء فى « عَهده » للفم . وقوله : « بِذِى الكفّ » : أى بهذه الكفّ ، وقيل بصاحب الكف .

يقول : كنت إذا رأيتك فمًا كثير الضّحك علمْت أنه قريب العهْد بتقبيل كفّك - التى تفدى الأنفس -[3] وذلك الضّحك ، لما لحقه من السّرور حين وصل إلى تقبيل كفك ، أو عرفت أنه قريب العهد بعطاء كفّك المفَدَّاة ، فذلك الضحك سرور بعطائك .

٣٦-فَزَارَكَ مِنِّى مَنْ إِلَيْكَ اشْتِيَاقُهُ وَفِى النَّاسِ إِلاَّ فِيكَ وَحْدَكَ زُهْدُهُ

---

(١) ع : « مشتبهين فى المنزلة والمراتب ، متساويين فى القدر والهمة وعلو الرتبة ، فلما رأيتك ، فرد الزمان » .

(٢) ع : « أمامك ربّ ذا الجيش عبده » وفى الواحدى « أمامك ملك رب » .

(٣) ق : « التى تفدك بالأنفس » .

المعنى : زارك منّى رجل مشتاق إليك ، زاهدٌ فى جميع الناس إلا فيك وَحدك[١] وقوله : « زَارَكَ منّى » أى أنا ذلك الذى إليك اشتياقه .

٣٧- يُخَلِّفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دَارَكَ غَايَةً
وَيَأْتِى فَيَدْرِى أَنَّ ذَلِكَ جُهْدُهُ

الجُهْد : الطاقة ، والجَهْدُ[٢] : المشقّة ، وقيل : هما واحد .

يقول : من قصد غيرك من الملوك فقد خلّف وراءه غاية ، وإذا قصدك فقد بلغ غاية جهده وطاقته[٣] ، فإنه ليس وراءك غاية يطلب[٤] الوصول إليها .

٣٨- فَإِنْ نِلْتُ مَا أَمَّلْتُ مِنْك فَرُبَّمَا شَرِبْتُ بِمَاءٍ يُعْجِزُ الطَّيْرَ وِرْدُهُ

الوِرْد : الورود ، وهو فاعل « يعجز » والضمير فى « وِرْدُه » للماء والباء فى قوله : « شَرِبْت بماءٍ » زائدة .

المعنى : إنى بعيد الهمة ، شريف المطلب ، لا أطلب إلاّ غايةً بعيدة ، فلهذا قصدتُك ، وقاسيت الأخطار دونك ، وليس هذا بمنكَر منّى ، فإنى ربمّا وصلْتُ إلى مالا يقدر الطَّير على الوصول إليه ! يعنى : وصلت إلى مطالبٍ يعجز عنها غيرى .

٣٩- وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لأَنَّهُ نَظِيرُ فَعَالِ الصَّادِقِ الْقَوْلِ وَعْدُهُ

---

(١) ق : « وحدك » مكانها بياض .

(٢) ق ، شو : « الجهد : الطاقة والمشقة » أى « الجهد » الثانية ساقطة .

(٣) جاء فى إحدى نسخ الديوان الهامشية ما يلى : جُهْده : غايته . قال البصرى فى ذلك : جهْده . ويجوز جُهده : أى الطاقة والفتح أعجب إليه .
قال أبو الطيب : مذهبى أن الجَهْد المصدر والجُهْد الاسم ، مثل الضَّرم والضُّرم ، والنَّكس والنُّكس
وقال أبو عبيدة : الجَهْد والجُهْد بمعنى .

(٤) ع : « فإنه ليس وراء ذلك غاية تطلب . . . . » اللسان .

يقول : وعْد كلّ أحد يشبه فعلَه ، وأنت صادق القوْل ، فإذا وعدْت فكأنّك ابتدأت بالجود . قبْل الوعْد ، فإن وعدك واقع لا محالة .

٤٠-فكُن فى اصطِنَاعِى مُحْسِنًا كَمُجرِبٍ
يَبِنْ لَكَ تَقْرِيبُ الْجَوَادِ وَشَدُّهُ

التقريب : ضْرب من سيرْ الفرس دون الشّدّ[١] .

يقول : [٣٠٧ - ب] جرّبْنى فى اصطناعك إيّاى وإحسانك إلىّ ، ليتبيَّن لك صِغر حالى وكِبَرها .

شبه الصغر بالتقريب ، والكبر[٢] بالشد[٣] .

٤١-إِذَا كُنْتَ فِى شَكٍّ مِنَ السَّيف فَابْلُهُ
فَإِمَّا تُنَفِّيهِ وإِمَّا تُعِدُّهُ

يقول : إن شككْتَ فى حالى فجرّبْنى ، فإنى مثل السيف يتبيّن حاله بالتّجربة ، فإن رضيتنى جعلتنى عُدَّة لك ، وإلاّ رميت بى .

٤٢-وَمَا الصَّارِمُ الْهِنْدِىُّ إِلاَّ كَغَيْرِهِ إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ النِّجَادُ وَغِمْدُهُ

نجاد السيف : حمائله .

يقول : لافضل[٤] بينى وبين غيرى إذا لم تجرّبنى[٥] كما لافضل بين السيف الهندى القاطع ، وبين غيره من السيوف إذا لم يجرَّد من غمده . ومثله لأبى تمام :

---

(١) قرّب الفرس : إذا رفع يديه معًا ووضعهما معا فى العدو . والشدّ : العدو . وشد : أى عدا . التبيان .

(٢) ع : « شبه الصغير ... والكبير » .

(٣) يقول الواحدى : فإن بالتجربة يعرف الفرس وأنواع جريه من التقريب والشد .

(٤) ق . شو : « لا فصل » بالصاد المهملة فى الموضعين . رواية .

(٥) قال ابن جنى : كان يطلب أن يوليه ولاية . فقال له : جربنى لتعرف ما عندى من الكفاية . وأنى أصلح أن أكون واليًا . التبيان ٢٩/٢ .

لَمَا انْتَضيْتُك لْلخطُوب كَفَيْتَها وَالسَّيْفَ لاَيكْفِيكَ حَتَّى يُنْتَضَى[١]

٤٣–وإنَّكَ لَلْمشكُورُ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إلاَّ الْبَشَاشَةَ رِفْدُهُ

الهاء فى « رفْده » للمشكور .

يقول : أنا أشكر لك فى كل حالٍ ، وإن لم يكن من عطائِك إلا طلاقة وجهك لكفانى ذلك[٢] .

٤٤–وَكُلَّ نَوَالٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِن فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْدِى نِدُّهُ

يقول : كلّ عطاءٍ كان منك فيما مضى أو سيكون ، فنظرةٌ منك إلىَّ تقوم عندى مقامه . والنِّد : المثْل . والهاء فى « نِده » للنّوال .

٤٥–وَإنى لَفِي بَحْرٍ مِنَ الْخير أَصْلُهُ عَطَايَاكَ أَرْجو مَدَّهَا وهى مَدُّهُ

يقول : أنا فى بحْرٍ من الخيْر ، وأصل هذا البحْر من عطاياك ، وأرجو مدّ عطاياك ، فهى مدّ هذا البحر[٣] .

٤٦–وَمَا رغبتِى فى عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ وَلَكنَّهَا فِي مَفْخرٍ أَسْتَجِدُّهُ

العسجد : الذّهب . وأستفيدُهُ وأستجدُّهُ بمعنًى واحد .

يقول : ليست رغبتى فى المال ، ولكن رغبتى فى استفادة الفخْر واستجداد الشّرف . وأراد به الولاية . ومثْله لأبى تمام :

ومَنْ خَدَم الأقْوَامَ يَرجو نَوَالَهُم[٤] فَإنِّى لَمْ أَخْدُمْكَ إلاَّ لأُخْدَمَا[٥]

٤٧–يَجودُ بِهِ مَنْ يَفْضَحُ الْجودَ جُودُهُ وَيحمَدُه مَنْ يَفْضَحُ الْحَمْدَ حَمْدُهُ

(١) ديوانه ٢ /٣٠٤ والوساطة ٢٢٣ والواحدى ٦٤٧ والتبيان ٢ /٢٩ .

(٢) ع : « من عطاياك . . . لكفانى ذلك » . ق : « لكفاك ذلك » .

(٣) ع : « فعطاياك مد هذا البحر » .

(٤) فى المصادر المذكورة : « يبغى نوالهم » .

(٥) ديوانه ٢ /٢٤٤ والوساطة ٢٦٦ والإبانة ٧٧ والواحدى ٦٤٧ والتبيان ٢ /٣٠ .

الهاء فى « به » للمفخر[١] .

يقول : يجود بهذا المفخر[٢] ، مَنْ جوده يفضح كلَّ جود . يعنى كافورا . ويحمده على هذا الجود ، مَنْ حَمْده يفضح كلَّ حمْد . يعنى به نفسه .

يعنى : أنت أجود الملوك وأنا أبْلغَ الشعراء وأفصحهم .

٤٨- فَإِنَّك مَامَرَّ النُّحوسُ بِكَوْكَبٍ وَقَابَلْتَهُ إِلاَّ وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ

يقول : لو أن كوكبا من الكواكب أصابه نحْس ، وقابلته أنت ، سعد ذلك النجم بسعادتك ، وخرج النَّحس من غير أن يؤثِّر فيه بنحوسته .

يعنى : أن من أتاك سعِدَ بقربك ، وظهر عليه إقبالك ، فيرجع غنيًّا مسرورا .

(٢٤٨)

وشكا إليه ابنُ عيَّاش طولَ قيامه فى مجلس الأسْوَد (وكان دَسَّهُ عليه ، ليعلم ما فى نفسه) فقال أبو الطيب [يمدح كافورا][٣] ارتجالا :

١- يَقِلُّ لَه الْقِيامُ عَلَى الرُّءُوسِ وَبَذْلُ الْمكْرُمَاتِ مِنَ النُّفُوسِ

يقول : الوقوف بين يديه[٤] يقلّ له ، لأنّه يستحق فوق ذلك ، وكذلك يقلّ له بذْل النفوس المكرمة فى جنْب ما يستحقه من التعظيم .

٢- إِذَا خانَتْه فِى يَوْمٍ ضَحُوكٍ فَكَيفَ تكُون فِى يومٍ عَبُوسِ؟

---

(١) ع : « للفخر » ق « للمخر » تحريف .

(٢) ق ، ع : « يجوز هذا المفخر » .

(٣) ق ، شو : « وشكى إليه ابن عباس . . . . فقال » ثم البيتين . الواحدى ٦٤٨ : « ودس الأسود إلى أبى الطيب من قال له : قد طال قيامك فى مجلسه . يريد أن يعلم ما فى نفسه فقال » . التبيان ٢ /٢٠٣ : « ودس عليه كافور من يستعلم ما فى نفسه ويقول له : قد طال قيامك عند هذا الرجل فقال » . الديوان ٤٥٤ نص ما هو مذكور . العرف الطيب ٤٩٢ .

(٤) ع : « بين يدى كافور » .

[٣٠٨ - ا] يقول : إذا[١] خانته[٢] فى حال الرّفاهية والسّلْم والسرور فتقصر فى الخدمة والقيام بين يديه[٣] فكيف تكون فى حال الشدة والحرب ؟!

والغرض بضحك اليوم وعبوسه : حسنه وطلاقته . وقيل : أراد فى يوم يضحك فيه ويعبس فيه كما يقال : ليل نائم أى ينام فيه

(٢٤٩)

ومات له فى دار البرْكَة التى انتقل إليها خمسون غلاما فى أيامٍ يَسيرة ، ففزع ، وخرج إلى دار أخرى هاربًا منها فى الليل ، حتى قال الناس إنه جاءه فى الليل أسود[٤] فقال له : إن خرجت منها .. وإلاقتلتك ! فخرج على وجهه[٥] ، ونزل دار بعض غلمانه إلى أن أصلحت له دار[٦] كانت لحرم ابن طولون[٧] ، فلما نزلها دخل عليه أبو الطيب فقال فى المحرم سنة سبع وأربعين وثلاث مئة[٨] .

١- أَحَقُّ دَارٍ بأَنْ تُدْعى مُبَارَكَةً دَارٌ مُبَارَكَةُ المَلْكِ الَّذِى فِيهَا

يقول : أحقّ الدّور بأن تسمى مباركة ، هى الدار التى الملك فيها ، لما يشملها من نعمه وبرّه[٩] .

---

(١) ع : « يقول : إذا » ساقطة .

(٢) خانته : الضمير للأنفس .

(٣) ق . شو : « فتقصر فى الخدمة والقيام بين يديه » مهملة .

(٤) ع : « حتى قال الناس : لما أمكن به فى الليل جاءه أسود » .

(٥) زادت مقدمة الديوان : « وحده يعدو » .

(٦) ق . شو : « ونزل دار بعض غلمانه أن أصلحت دار » .

(٧) ع : « كانت لأحمد بن طولون » وكذا الديوان .

(٨) الواحدى ٦٤٨ : « ومات للأسود خمسون غلاما فى الدار الجديدة التى انتقل إليها فى أيام يسيرة . ففزع وخرج منها إلى دار أخرى فقال أبو الطيب » . التبيان ٤ /٢٦٧ : « وكان الأسود قد عمر دارا وانتقل إليها . فمات له خمسون غلاما . ففزع من ذلك . وخرج منها إلى دار أخرى . فقال » . الديوان ٤٥٥ قريب من النص المذكور . العرف الطيب ٤٩٢ .

(٩) ع : « من نعمه وبره » مهملة .

٢- وأَجْدر الدُّورِ أَنْ تُسْقَى بِسَاكِنِهَا
دَارٌ عَدَا النَّاسُ يَسْتَسْقُونَ أَهْلِيها[١]

يقول : إذا كان البعيد يستسقى من جود يديك[٢] ، فدارك التى تسكنها أولى بأن تسقيها بجودك وبَرَكتك[٣] .

٣- هَذِى مَنَازِلُكَ الأُخْرَى نُهَنِّئُهَا
فَمَنْ يَمُرُّ عَلَى الأُولَى يُسَلِّيهَا

ويقول : نحن نهنئ دارَك التى انتقلت إليها بنفسك ، فمن يَمُرّ على[٤] الأولى (التى انتقلت عنْها) يَسلِّيها : أى يصبِّرها . « مَنْ » بمعنى الذى .

٤- إِذَا حَلَلْتَ مَكَانًا بَعْدَ صَاحِبِه جَعَلْتَ فِيهِ عَلَى مَا قَبْلَهُ تِيهَا

يقول : إذا نزلْت مكانًا بَعد ما رحلت عن مكانٍ غيره ، تاه[٥] المكان الذى نَزلْته على الذى ارتحلت عنه ، تشرُّفًا بك .

٥- لاَ تُنْكِرِ الْعَقْلَ مِنْ دَارٍ تَكُونُ بِهَا فَإِنَّ رِيحَكَ رُوحٌ فِى مَغَانِيهَا

يقول : لا تنكر أن تكون الدار التى تحلّها لها عقل ! تعرف به شرفها بقربك ، لأن ريحَك فى منازلها ، لها روح تحيا به .

٦- أَتَمَّ سَعْدَكَ مَنْ لَقَّاكَ[٦] أَوَّلَهُ وَلاَ اسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا

---

(١) ق : « أهاليها » .
(٢) ق : « إذا كان البعيدة تستسق من جود يدك » .
(٣) يقول الواحدى : أولى الدور بأن تكون مسقية بركة من يسكنها ، دار سكانها شفاة الناس .
(٤) ق ، شو : « بقربك منها ، فمن بم » إلخ .
(٥) تاه فلان تيها : إذا تكبر وافتخر .
(٦) فى النسخ : « لاقاك » .

يقول : أتمّ الله سَعَادتَك ، كما ابتدأك بها[١] ، ولا استردّ منك ما أعطاك من الحياة .

(٢٥٠)

ودخل يوما أبو الطيّب على كافور الأسود ، فلمّا نظر إليه وإلى قلّته فى نفسه ونقْصِ عقله ولُؤمِ كفّه[٢] وقبْح فعله ، ثار الدّم فى وجْهه حتى ظهر ذلك فيه ، فخرج فركب فأتبعه الأسود بعضَ القوّاد ، وهو يرى أن أبا الطيب لا يفطن[٣] فسايره وسأله عن حاله وقال له : أراك متغيّر اللون ؟ فقال أبو الطيب : أصاب فرسى اليوم جرْح خفْتُه عليه ، وقلبى مشغول به ، وليس له[٤] خَلَفَ إن تلف ، فبلغ معه إليه[٥] ثم عاد إلى الأسود فأخبره ، فأنفذ إليه مهرًا أدهم ، فقال أبو الطيب [يمدحه ويذكر أسف الحمدانيين عليه] وأنشدها يوم الأحد لأربع عشرة ليلة من شهر ربيع الآخر[٦] من هذه السنة[٧] :

١- فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمٍ وَأَمٌّ وَمَنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمِ[٨]

يقول : هذا فراق ومن فارقته غير مذْموم ، وهو سيف الدولة ، وهذا أمٌّ : أى قصْد ، ومن [٣٠٨ - ب] أمَمْته خير مقصود[٩] ، وهو كافور .

---

(١) ع : « وابتدأ لك بها » .

(٢) مقدمة الديوان : « ولؤم كفه وأصله » وفى ع سقطت هذه الجملة .

(٣) ع : « لا ينظر » .

(٤) ع : ومقدمة الديوان : « وماله » .

(٥) مقدمة الديوان : « إلى منزله » .

(٦) ع : « لأربع عشرة ليلة من شهر ربيع الثانى » .

(٧) الواحدى ٦٤٩ : « وقال أيضًا يمدحه وقد قاد إليه مهرًا أدهم من شهر ربيع الآخر سنة ٣٤٧ » . التبيان ٤ /١٣٤ : « وقال يمدح كافورا وقد أهدى إليه مهرا أدهم » . الديوان ٤٥٦ : يقرب جدًّا من المذكور . العرف الطيب ٤٩٣ .

(٨) ق ، شو : « غير مم » .

(٩) ق : « يممته غير مقصود » . ع : « وأممته » .

٢- وَمَا مَنْزِلُ اللَّذَّاتِ عِنْدِى بِمَنْزِلٍ إِذَا لَمْ أُبَجَّلْ عِنْدَهُ وَأُكَرَّمِ

يقول : ليست اللّذة بلذّة الأماكن[١] إلا إذا أكرمنى أصحابُها وعظّموا قدرى ، فمتى كنتُ مُهانًا فيها فلا أعدّها لذّة عندى[٢] .

٣- سَجِيَّةُ نَفْسٍ مَاتَزَالُ مُلِيحَةً مِنَ الضَّيْمِ مَرْمِيًّا بِهَا كُلُّ مَخْرَمِ

مُلِيحَةً : أى مشفقة خائفة . والْمَخرم[٣] : المفازة .

يقول : عادة نفسى أنها تأنف الذلّ ، وتشفق من الضّيم ، فلهذا أتحمّل المشقّة وأقطع المفاوز .

٤- رَحَلْتُ فَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ عَلَىَّ ، وَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ ضَيْغَمِ

الشّادن : ولدى الظبى إذا قوى . والضّيغم : الأسد .

يقول : لما رحلتُ بكى لفراق النساء اللواتى عيونهن كأعين الغزلان ، والأبطال الذين هم كالأسُود ، وعنى به سيف الدولة وأصحابه .

يعنى : بكى لفراق حبيبى[٤] بأجْفان الشّادن ، وبكى سيف الدولة بأجفان الضّيغم .

٥- وَمَا رَبَّةُ الْقُرْطِ الْمَلِيحِ مَكَانُهُ بِأَجزَعَ مِنْ رَبِّ الْحُسَامِ الْمصمِّمِ

هذا تفسير البيت[٥] الذى قبله . والهاء فى « مكانه » للقرط ، وهو [الذى يعلّق فى شحمة] الْأُذُن .

---

(١) ع : « الأماكن » مهملة .

(٢) ع : « عندى » مهملة .

(٣) ذكر الواحدى أن المَخْرم : الطريق فى الجبل وهو ما فى اللسان والمعنى قريب . ومنه الحديث : « اسلك بهما حيث تعلم من مخارم الطرق » .

(٤) يقول شيخنا الأستاذ محمود شاكر : المقابلة بين سيف الدولة وهذه المرأة دليل على صلتها بسيف الدولة وبأبى الطيب ومعرفة سيف الدولة بهذه الصلة . ولا نشك بعد ما رأيتَ أنه عنى بالباكية الجازعة لفراقه « خولة » أخت سيف الدولة وتمثل هذا فسر تلك القصيدة وغيرها. المتنبى ١ /٢٤٦ .

(٥) ق . شو : « هذا نظير للبيت » .

يقول : لم تكن حبيبتى صاحبة القُرْط ، بأشدّ جزعًا لفراق ، من حبيبى الذى هو صاحب السيف . وأراد به سيف الدولة .

٦- فَلَو كَانَ مَابِى مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ عَذَرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبيب مُعَمَّمِ

يقول : لو كان ما بى من الشّوق إنما هو لحبيبى المقنّع ، لعذرْت نفسى فى فراقه ، لأنى فارقته لطلب المجد والعُلا ، ولكن أىّ عذر فى مفارقة حبيبى المعمم ؟! وما رجوته مِنْ قصدغيره ، كان موجودًا عنده ! يظهر الندم على فراق سيف الدولة .

وقيل : معناه لو كان سبب فراق من قِبَل المحبوبة لعذرتها ، لأن التغيّر والفراق من عادة النّساء ، ولكن ما بى من حبيب معمم ، فالتغير لا يعذر فيه .

٧- رَمَى وَاتَّقَى رَمْيِى وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى هَوًى كَاسِرٌ كَفِّى وَقَوْسِى وَأَسْهُمِى

يقول : ذلك الحبيب المعمّم رمانى بسهم ، ثم خاف أن أرميه بما رمانى به ، وليس يدرى أن هواه[1] يكسر قوسى وكفى وسهمى .

يعنى : إن سيف الدولة بدأ لِى بالاساءة ، ثم تغيّر لى ، لأنه حَسِب أنى تغيّرت له ، فقبل فىّ[2] كلام الأعداء وساء ظنّه ! وليس يدرى أن محبتى له تمنعنى من الإساءة إليه ، ومقابلته على فعله . وهذا عتاب لطيف[3] .

٨- إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرءِ سَاءَت ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَايَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

يقول : إذا أساء إنسانٌ إلى إنسان ، أساء ظنّه به وصدّق توهمه عليه[4] ، لأنه يظن أنه حقد عليه ففسدت نيّته .

(١) ع : « أن هوى له » إلخ . (٢) ع : « فقبل علىّ » .

(٣) يقول العلاّمة الأستاذ شاكر : إذ كان « سيف الدولة » يعلم يقينًا أن أبا الطيب لن يرميه جزاء له كما رماه ، لما فى قلبه من حب « خولة » أخته وهواها الذى يحبس يده ويكسر كفه ويحطم قوسه ويدق سهامه . المتنبى ١ /٢٤٦ .

(٤) ق : « ساء ظنّه به وصدق وهمه عليه » . والمعنى : يقول : من كان فعله سيئا ساء ظنه بالناس لسوء ما انطوى عليه . وإذا توهم فى أحد ريبة أسرع إلى تصديق ما توهمه ، لما يجد من مثل ذلك فى نفسه .

٩- وَعَادَى مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ عُدَاتِهِ وَأَصْبَحَ فِى لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ

يقول : إذا أساء الرّجل إلى صديقه ، ظنّ أنه قد تغيّر له ، فيتنكر فى مودته[١] ويعاديه بقول أعدائه .

١٠- أُصادِقُ نَفْسَ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ وَأَعْرِفُهَا فِى فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ

يقول : أصادق الأرْواحَ قبل الأشْباح ، وأعرف أحوال الأرْواح فى فعل المرء وكلامه : الذى [٣٠٩ - ١] هو صاحب النفس .

١١- وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّى وَأَعْلَمُ أَنَّه مَتَى أَجْزِهِ حِلْمًا عَنِ الْجهْلِ يَنْدَمِ

يقول : إذا جهل علىّ خليلى حلمْتُ ، وعلمتُ أنى إذا قابلتُه بالحلْم ، ندم عَلَى ما بدرَ[٢] منه وعاد إلى الوصْل[٣] .

١٢- وَإِنْ بَذَلَ الْإِنْسَانُ لِى جُودَ عَابِسٍ جَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ

يقول : إذا شاب الإنسان جُودَه بالعُبُوس ، جدت له بترْك نواله ، وتركته وقابلت عبوسه بالتبسم[٤] .

١٣- وَأَهْوَى مِنَ الفِتْيَانِ كُلَّ سَمَيْدَعٍ نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّمهَرِىِّ[٥] الْمُقَوَّمِ

السميدع : السيد[٦] .

---

(١) ع : « فيشك فى مودته » .

(٢) ق : « بدأ » .

(٣) فى الواحدى بعد شرحه لهذا البيت : ومن روى : « متى أجزه يومًا على الجهل أندم » . أى متى جهلت عليه كما جهل علىّ ندمت على ذلك لأن السفه والجهل ليس من أخلاقى .

(٤) البيت بهذه الرواية عند الواحدى والديوان ونسخه ، ولكنه فى التبيان : « بجود الباذل المبتسم » ويروى شارحه عن ابن القطاع أنه قد : صحف هذا البيت سائر الرواة فرووه : « بجود التارك » ولا معنى « للتارك » وإنما هو « الباذل » .

(٥) السمهرى من الرماح : القوى الصلب ، من اسمهرّ الأمر : إذا اشتد .

(٦) ع : « السيف » .

يقول : أحب كل سيّد كريم ، ماض فى أموره نافذًا فيها مثل الرّمح المقوّم .

١٤-خَطَتْ تَحْتَه العِيسُ الفَلاةَ وَخَالَطَتْ
بِهِ الْخَيْلُ كَبَّاتِ[1] الْخَمِيسِ الْعَرَمْرَمِ

خطَت : أى قطعَتْ من خطوْتُ . والكَبَّات : الصّدمات والحملات . وروى « لَبّات الخميس » والهاء فى « تحته » وفى « به » للسّميدع .

يقول : أهوى كل سيّد كريم ، قطع الفلوات وشاهد الواقعات ، وقارع الأبطال والزمان[2] .

١٥-وَلاَعِفَّةٌ فِى سَيْفِهِ وَسِنَانِهِ وَلكِنَّهَا فِى الكَفِّ وَالْفَرْجِ وَالْفَمِ

يقول : أهوى من لاعفّة له فى سيفه وسنانه : أى لا يردّهما عن عدوّه فى قتال ، وهو مع ذلك عفيف اليد والفرْجِ والفم .

١٦-وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ وَلاَ كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ

يقول : ليس كلّ من يحبّ الفعل الجميل يفعله ، ولا كلّ من يفعله يتمّمه ويُرْبيه . كأنه يعرّض بسيف الدوله : أنه لم يتمم إحسانه .

١٧-فِدًى لأَبِى الْمِسْكِ الْكِرامُ فَإِنَّهَا[3] سَوابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَدْهَمِ

شبه الكرام بالخيل السّوابق ، وجعل كافورا فرسًا أدهم يتقدمها[4] لسواد لونه .

---

(١) فى الواحدى والتبيان : « كبّات » بفتح الكاف وفى الديوان : « كبّات » بضمها . ويقول الواحدى : الكَبَة : « بالفتح » الصدمة والحملة . ويقول صاحب التبيان و« الكُبّة » بضم الكاف : الجماعة من الخيل .

(٢) ع : « والفرسان » بدل « والزمان » .

(٣) روى أبو الفتح وجماعة « فإنها » والضمير عائد على الكرام ، وقال يجوز أن يكون الذى حمله على ذلك أنه شبههم بالسوابق وقال « يهتدين » ولو قال : فإنهم سوابق لكان جيدا . وقد رواه جماعة « فإنهم » ولم يعرفه أبو الفتح ولا ذكر فيه خلافا . التبيان .

(٤) يعنى أنه إمام الكرام وسابقهم ومتقدمهم .

وفداه بجميع الكرام المقتدين به[١].

١٨- أَغَرَّ بِمَنْجِدٍ قد شَخَصْنَ وَراءَهُ إِلَى خُلُقٍ رَحْبٍ وَخَلْقٍ مُطَهَّمِ

شَخَصْنَ : أى رفعن أبصارهن .

يقول : هذا الأدْهم أغر بالمجد ، لا بالبياض ، فالمجْد يشرق فى وجهه إشراق الغُرّة ، والسوابق وراءه ينظرون سعة[٢] خُلُقه وكمال خَلْقِه ، شاخصة أبصارهن إليه .

١٩- إِذَا مَنَعَتْ مِنْكَ السِّيَاسَةُ نَفْسَهَا فَقِفْ وَقْفَةً قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمِ[٣]

يقول : إذا صعب عليك أيّها الإنسان أمر السياسة ، فقفْ بين يديه وانظر إلى سياسته ، تتعلم[٤] منه حسن السياسة[٥]

٢٠- يضيق عَلَى مَنْ رَاءَهُ الْعُذْرُ أَنْ يُرَى ضَعِيفَ الْمَسَاعِى أَوْ قَلِيلَ التَّكَرُّمِ

رَاءَ : مقلوب رأى .

يقول : من رأى كافورًا وصحبَه ، فلا عذْر له فى ضعف مساعيه[٦] وقلة تكرّمه ، لأنه يتعلم منه المساعى وكرم الأخلاق[٧] .

---

(١) ق ، شو : « المتقدمين به » .

(٢) ع : « إلى سعة » .

(٣) ع : « بتعلّم » .

(٤) ع : « حتى يتعلم منك سياسة » ؟ .

(٥) تهيأ لكافور كثير من صفات الزعامة التى استطاع بفضلها أن يسود على الرغم من أصله ، وعلى رأس هذه الصفات : معرفته بالناس وأساليبهم ، وأخذ بعضهم باللين وبعضهم بالشدة ، واصطناع الحلم حينًا وإظهار الغضب حينًا آخر ، والتوفيق بين أصحاب التيارات المختلفة والأهداف المتباينة . نقل ابن تغريبردى عن الذهبى أنه : « كان خبيرًا بالسياسة ، فطنًا ، ذكيًا ، جيد العقل ، داهية . انظر النجوم الزاهرة ٤/٦ .

(٦) المساعى : جمع مسعاة ، وهى السّعى فى طلب المجد . التبيان .

(٧) يجعل ابن جنى هذا من باب الهجاء على معنى أن مثله خسة ولؤم أصل إذا كان لك تكرم فلا عذر لأحد بعده فى تركها . انظر التبيان ٤/١٣٨ .

٢١-وَمَنْ مِثْلُ كافورٍ إذَا الْخَيلُ أَحْجَمَتْ
وَكَانَ قَلِيلاً مَنْ يَقُولُ لَهَا اقْدُمِى

اقْدُمى : من قدُم يقدُم إذا تقدّمَ .

يقول : من يكون مثله فى حال شدّة الحرْب ؟ حين تأخرت الخيل عن الإقدام ، ولم يكن هناك من تقدّم إلاّ القليل من الفرسان أى ليس لهمته فى هذا الوقت نظير[١] .

٢٢-شَديدثَبَاتِالطَّرْفِ[٢] والنَّقعُوَاصِلٌ إلى لَهَوَاتِ الْفَارِسِ المُتَلَثِّمِ

[٣٠٩ - ب] يقول : لا يصرف بصره فى المعركة مع تراكم الغبار ودخوله فى لهوات الفارس المتلثم .

٢٣-أَبا المِسْكِ أرجو منك نَصْرًا عَلى الْعِدَا
وَآمُلُ غِرًّا يَخْضِبُ البِيضَ بِالدَّمِ

يقول : أرجو منك أن تنصرنى على أعدائى ، حتى أتمكن منهم ، وأخضّب من دمائهم سيوفى .

٢٤-وَيَوْمًا يَغِيظُ الْحَاسِدِينَ وَحَالَةً أُقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مَقَامَ التَّنَعمِ

يقول : أرجو يومًا تنْعم علىَّ فيه ، فيغيظ ذلك اليوم حسّادى ، وأرجو منك أن تبلّغنى يوما أقتل فيه أعدائى وأغيظ فيه حسّادى ، وأرجو حالة أقيم الشقاء فيها مقام التنّعم : يعنى يكثر فيها تعب الحرب ، ومشقّة القتال ، ويكون ذلك الشقاء عندى بمنزلة التّنعّم أسرّ بهِ كما أسر بالنعم[٣] .

---

(١) ع : « أى ليس له همه . . . نظيره » .
(٢) فى التبيان الطّرف : « بالكسر » هو الفرس ومن روى « بفتح الطاء : أراد طرف العين » .
(٣) ق ، شو : « كما أسر بالنعم » مهملة .

٢٥-وَلَمْ أَرْجُ إلاَّ أَهْلَ ذَاكَ وَمَنْ يُرِدْ
مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحائِبِ يَظْلِمِ

يقول : إنما رجوتك لهذا الأمر ، لأنك أهل له قادر أن تبلغنى ما أريده[١] ولو طلبت ذلك من غيرك لكنت قد ظلمته وكلفته مالا يقدر عليه . ووضعت الشىء فى غير موضعه[٢] . وأكون كمن طلب المطر[٣] من غير السحاب .

٢٦-فَلَوْ لم[٤] تَكُنْ فِى مِصْرَ مَا سِرْتُ نَحْوَهَا
بِقَلْبِ المَشُوقِ الْمُسْتَهامِ الْمُتَيَّمِ

يقول : قصدت مصر لألقاك . ولو لم تكن فيها لما سرت إليها بقلب المشتاق : الذى عنده الشوق .

٢٧-وَلا نَبَحَتْ خَيْلِى كِلابُ قَبَائِلٍ كَأَنَّ بِهَا فِى اللَّيْلِ حَمْلاَتِ دَيْلَمِ

الدّيلم : الأعداء . والدّيلم : هذا الجيل من العجم[٥] .

وعن ابن جنى قال : سئل أبو الطيب فقال : أتريد الدَّيْلَم الأعداء . أو هذا الجيل من العجم[٦] ؟ فقال : بل كلٌّ[٧] .

يقول : لو لم تكن فى مصر ، لما صرت على قبائل الأعراب ، حتى حملتْ كلابُها علىّ ، كما تحمل الدّيلم فى حروبها مع الصَّيَاح .

---

(١) ع : « وقادر إلى أن تبلغنى إلى ما أريده » . (٢) فى النسخ : « مواضعه » .

(٣) ع : « مثل من طلب المطر » . (٤) ع : « ولو لم تكن » .

(٥) يقول الواحدى . أراد بالديلم : الأعداء والعرب تعبر عن اسم الديلم بالأعداء وهم جيل من الناس كانت بينهم وبين العرب عداوة فصار اسمهم عبارة عن الأعداء ومنه قول عنترة :

زَوْراء تَنْفُر عن حِيَاض الدَّيلم

(٦) ع : « أو هذه الخيل من العجم » .

(٧) الرواية كما ذكرها الواحدى : وقال ابن جنى : سأل أبا الطيب بعضُ من حضر فقال : أتريد بالديلم الأعداء أم هذا الجيل من العجم ؟ فقال : بل من العجم » . وكما ذكرها صاحب التبيان : « وقال أبو الفتح : قلت له أتريد بالديلم الأعداء أم هذا الجيل من العجم ؟ فقال : بل العجم .

٢٨- وَلا اتَّبَعَتْ آثارَنَا عَيْنُ قَائِفٍ فَلَمْ تَرَ إلاَّ حَافِرًا فَوْقَ مَنْسِمِ

القائف : الذى يتبع الأثر والمنْسِم : طرف خفّ البعير .

والمعنى : أنه ركب الأبل وجنّب الخيل[١] . وكانت حوافرها تقع[٢] على آثار أخفاف[٢] الإبل . فمن تبع[٢] أثره رأى أثر حوافر الخيل على أثر أخفاق الإبل[٣] .

٢٩- وَسِمْنَا بِهَا البَيْداءَ حَتَّى تَغمَّرَتْ مِنَ النِّيلِ واسْتَذْرَتْ بِظِلِّ الْمُقَطَّمِ

تغمرت : أى شربت شُربا قليلا[٤] . واستذرت : أى استترت . والمقطم : جبل على جانب النيل .

يقول : سرنا بالخيل والإبل فى البيداء . فصارت آثارها فيها كالسِّمة[٥] . حتّى وصلنا إلى مصر . فشربتْ من النِّيل واستترتْ بظل المقطَّم .

٣٠- وَأَبْلَجَ[٦] يَعْصِى بِاخْتِصاصِى مُشِيرَهُ عَصِيتُ بِقَصْدِيهِ مُشِيرِى وَلُؤمِى

الأبْلج : هو الجميل ، وقيل : المنقطع ما بين الحاجبين .

يقول : قصدته وعصيت من لامنى فيه[٧] . وأشار علىّ بترك لقائه ، كما عصى هو مَنْ لامه فى اختصاصى .

---

(١) عادة العرب إذا طالت الرحلة أن يركبوا الإبل ويجنبوا الخيل فلذلك قال : « إلا حافرا فوق منسم » .

(٢) ع : « حوافرها ما تقع . . . أخفان . . . فمن طبع » إلخ .

(٣) كأنه يقول : إذا نبحتهم الكلاب تنبه القوم لهم فاقتفوا آثارهم يطلبونهم فى الفلوات فلم يدركوهم لسرعة سيرهم ولكن يرون آثار رواحلهم فى الأرض .

(٤) وإنما قل شربها لأنها وصلت الماء مكدودة فقل شربها حينئذ .

(٥) السمة : العلامة . والمعنى : وسمنا البيداء بآثار خيلنا . وسرنا فى أرض غفل لا أثر بها للسالك . فصارت آثار الخيل والإبل كالسمة لها .

(٦) فى الواحدى والتبيان : « وأبلخ » وقالا الأبلخ : العظيم فى نفسه وهو من صفات الملوك ثم ذكرا الرواية التى معنا « أبلج » وقالا : هو الجميل الوجه وعنى به كافورا .

(٧) ع : « قصدته أعطيه ولامنى فيه » إلخ .

وأراد به وزير كافور ابنَ خنزابة[١] لأن المتنبى لم يمدحه[٢] . وأراد بالأبلج : كافورا .

٣١- فساقَ إلىَّ العُرْفَ غيرَ مُكَدَّرٍ
وَسُقْتُ إليهِ الشُّكْرَ غيرَ مُجَمْجَمِ[٣]

[٣١٠ - ا] جَمْجَمَ[٤] الرجلُ بكلامه إذا لم يُفْصح بهِ ولم يُبَيِّنْه .

يقول : لما قصدته أنعم علىّ نعمًا غير مكدّرة بمنٍّ ولا أذى ، ومدحته مدحًا لا عيب فيه ، ولا إشارة فيه إلى ذم .

٣٢- قَدِ اخترتُكَ الأملاكَ فَاخْتَرْ لهم بِنَا
حَدِيثًا وَقَدْ حكَّمْتَ رأيَكَ فَاحْكُمِ

أى : قد اخترتُكَ من الأملاك ، فحذف « مِنَ » وأوصل الفعل إلى ما بعده فنصبه[٥] .

---

(١) فى النسخ : « ابن خزوانة » والتصويب من كتب التاريخ المذكورة . بعد وهو : جعفر بن الفضل ابن جعفر بن الفرات أبوالفضل بن خنزابة : وزير ابن وزير من العلماء الباحثين سبق أن قال فيه المتنبى نفسه : « وكان عنده من الكتاب الواحد خمسون نسخة » يريد تعظيم كتبه . انظر شرح قوله .

من الجآذر فى زى الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب ؟

وهو من أهل بغداد نزل بمصر واستوزره بنو الإخشيد بها مدة إمارة كافور . وبعد موت كافور قبض عليه ابن طغج صاحب الرملة وصادره وعذبه فنزح إلى الشام سنة ٣٥٨ وأمنه القائد جوهر فعاد إلى مصر معززا . له تآليف فى أسماء الرجال والأنساب . توفى بمصر سنة ٣٩١ وحمل إلى المدينة بوصية منه فدفن فيها . اشتهر بنسبه إلى « خنزابة » . وهى أم أبيه الفضل . انظر ابن خلكان ١ / ١١٠ والنجوم ٤ / ٢٠٣ .

(٢) قيل إن المتنبى نظم فيه قصيدته :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

ولكنه لم يظفر منه بالعطاء المنتظر فلم ينشدها إياه . ولما خرج إلى إيران صرفها إلى ابن العميد فأعطاه ثلاثة آلاف دينار . انظر شذرات الذهب لابن العماد ٣ / ٣٢ .

(٣) ع : « مجمحم » . (٤) ع : « حمحم » .

(٥) وذلك كقوله تعالى : (واختار موسى قومه) أى من قومه .

يقول : قد اخترتُكَ من بين المُلوك ، فاختر أنت حديثًا يتحدثون به عنّى وعنك . وقد جعلتك حاكمًا ، فافعل بى فعلاً إذا سمعوه كان مختارًا عندهم .

٣٣- فَأَحْسَنُ وَجْهٍ فِى الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ
وَأَيْمَنُ كَفٍّ فِيهِمُ كَفُّ مُنْعِمِ

يقول : وجه المحْسن أحسَن الوجوه ، وكفّه أكثر بركةً من سائِر الأكُف . ومثله لآخر :

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ[1] : أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ[2]

٣٤- وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً وَأَكْثَرَ إِقدامًا عَلَى كُلِّ مُعْظَمِ

يقول : أشرف الناس من كانت همّته أشرف ، وإقْدامه على كل أمر عظيم أكثر[3] .

٣٥- لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ مَسَاءَةَ مُجْرِمِ

كأنّه يخاطب نفسه أو صاحبه فيقول : إن المال إنما يراد به أن تسُرَّ[4] الودود ، وترغم أنف الحسود . فإذ لم ترد هذين فلماذا تطلب المال ؟! وأى معنى فى طلب الجاه وحسن الحال ؟!

٣٦- وَقَدْ وَصَلَ الْمُهْرُ الَّذِى فَوْقَ فَخْذِهِ
مِنِ اسْمِكَ مَا فِى كُلِّ عُنْقٍ وَمِعْصَمِ

يقول : قد وصل [إلىّ] المهرُ الموسوم باسمك ، الذى هو سمة[5] فى عنق

---

(١) ق : « كالهروف » تحريف .

(٢) غير منسوب فى زهر الآداب ٢ /٦٢ والمستطرف ١ /١٩٦ .

(٣) يرى الواحدى أن هذا البيت والذى قبله يوريان عن هجاء له بقبح الصورة وأنه لا منقبة له يمدح بها . غير أنه أحسن بالعطاء فوجهه أحسن الوجوه بالإحسان ، ويده أيمن الأيدى بالإنعام .
وأنه خال بما يمدح به الملوك من حسب أو نسب أو شرف تليد . فإن لم يستحدث لنفسه شرفا مطرفا بعلو همة وإقدام . لم يكن له خصلة يمدح بها . انظر ٦٣٠ من الواحدى .

(٤) ع : « أن تسر » ساقطة . (٥) فى النسخ : « الذى هو موسوم » والتصويب عن الواحدى .

كل حيٍّ ويده ، فَرَسًا[١] كان أو غيره[٢] .

٣٧- لَكَ الْحَيَوَانُ الرَّاكِبُ الْخَيْلَ كُلَّهُ وَإِنْ كَانَ بِالنِّيرَانِ غَيْرَ مُوَسَّمِ

يقول : أنت تملك الخيل وراكبيها ، وكلّ حيوانٍ[٣] موسومٌ باسمك فالخيل موسومة بالنيران ، والناس موسومون بالنّعم والإحسان .

٣٨- وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِى كَمْ حَيَاتِى قَسَمْتُهَا وَصَيَّرْتُ ثُلْثَيْهَا انْتِظَارَكَ فَاعْلَمِ

يقول : إنما أتقاضاك بالوعد[٤] ؛ لأنّى لا أدرى كم أعيش فأخاف حلول الموت قبل الوصول إلى الموعود ، ولو كنت أعلم مقدار حياتى لأمضيت ثلثيها انتظارًا لوعدك واستطابة بهِ ، فلا أتّهم وعدك وإنّما أتهم الأَجَل .

٣٩- وَلَكِنَّ مَا يَمْضِى مِنَ الدَّهْرِ فَائِتٌ فَجُدْ لِى بِحَظِّ الْبَادِرِ[٥] الْمُتَغَنِّمِ

يقول : ما فات من العمر لاَ أستدركه ، فجد لى بحظّ من يسبق الإحسان ويغتنمه[٦] .

٤٠- رَضِيتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِى مَحَبَّةً وَقُدْتُ إِلَيْكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمُسَلِّمِ

يقول : كلّ شىء ترضى بهِ لى فإنّى راضٍ به ، ومؤثر هواكِ فى كلّ شىء ، وقدت نفسى إليك قود من سلّمها لَكَ[٧] .

---

(١) ق : « قريبًا » مكان « فرسًا » .

(٢) يعنى أنه ملك مالك لكل حىّ . ألا ترى قوله :

لك الحيوان الراكب الخيل كله وإن كان بالنيران غير موسم

(٣) يريد أن الحيوان يطلق على كل حىّ سواء كان ناطقًا كالإنسان أو غير ناطق وهو ما عدا الإنسان .

(٤) ق : « بالموعد » وذلك لأنه استبطأ ما يرجو منه . الواحدى .

(٥) ع : « الباذل » .

(٦) ق : « ويغتنم » .

(٧) فى النسخ : « منك » مكان « لك » . وهذا كالعود من عتاب الاستبطاء فيقول : قدت نفسى إليك قود من سلّم إليك أمره تصرفه كما تشاء . والمسلم لا يعارض بشىء .

٤١- وَمِثْلُكَ مَنْ كَانَ الْوَسِيطَ فُؤَادُهُ فَكَلَّمَهُ عَنِّى وَلَمْ أَتَكَلَّمِ

الوسيط : الواسطة بين الرجلَيْن .

يقول : من كان مثْلك فى الكرم فقلْبه يكون واسطة [٣١٠ - ب] بينى وبينه ، وينوب منابى فى التشفّع إليه والتقاضى له ، فيتكلّم عنّى فى حاجتى ولا يحتاج أن أتكلّم بها .

(٢٥١)

وخرج مِنْ عنْده[١] فقالَ يهجوه[٢] :

١- أَنُوكُ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ عِرْسِهِ مَنْ حَكَّمَ الْعَبْدَ عَلَى نَفْسِهِ

« مَنْ » مرفوعة بالابتداء « وأَنُوكُ » خبره[٣] وتقديره : مَنْ حكَّم العبْدَ على نفسه أَنُوك[٤] مِنْ عبد . والهاء فى « عِرْسِهِ » قيل : تعود إلى « مَنْ » أى : الذى يرضى بحكم العبد ، فهو أشدُّ حمقًا من العبد ، وأشد حمقًا من امرأة نفسه . وقيل : الهاء تعود إلى العبد أى يكون أحمق من العبد ، ومن امرأة العبد[٥] .

٢- وَإِنَّمَا يُظْهِرُ تَحْكِيمَهُ لِيُحْكِمَ الْإِفْسَادَ فِى حِسِّهِ

الحِسّ : العقْل .

يقول : الذى يجْعله حاكمًا ، ويعتقد تحكيمه فى الباطن ، ويظْهر رضاه أيضًا . أى : يرى أنه راضٍ بتحكيمه فى الظاهر ، كما هو راض به فى الباطن ، فقد

---

(١) ق ، شو : زادتا بعد ذلك : « وقد قال هذه القطعة بعد قوله : فراق ومن فارقتْ غير مذمم » .

(٢) الواحدى ٦٥٣ : « وخرج من عنده فقال يهجوه » . التبيان : ٢ /٢٠٣ « وقال يهجو كافورا » . الديوان : ٤٦٠ « وخرج من عنده فقال » . العرف الطيب ٥٤٦ .

(٣) يريد أن يقول : « مَنْ » مبتدأ تقدّم عليه خبره « أنوك » كما تقول : أحسن من عمرو ومن أخيه زيدٌ .

(٤) النوك : الحمق ، والأنوك : الأحمق . والعرس : المرأة .

(٥) هذا عتاب يعاتب به نفسه حين قصد كافورًا فاحتاج إلى أن يطيعه .

حقّق الناسُ فسادَ عقله . والهاء فى « حسّه » تعود إلى « منْ » وفى « تحكيمه » إلى « العبْد » وأراد به : ابن الإخشيد الذى كان فى حجر كافور[١] . [و] رضى بحكمه .

وروى « نُظْهر » و « نُحكِم » بالنّون .

والمعنى : إنما نُظْهر للناس تحكيم كافور فى أنفسنا ؛ لتُفسِد حسَّه ، لاَ أنّا حكّمناه فى الحقيقة على أنفسنا ، بل أظهرنا ذلك له ليزداد فى حسه فسادًا ؛ إذْ مِنْ شأْنِ الأَحْمق أنّه مهما حكَم ازداد حمقًا . والهاء فى « حسه » تعود إلى العبد .

٣- مَا مَنْ يَرَى[٢] أَنَّكَ فِى وَعْدِهِ كَمَنْ يَرَى[٢] أَنَّكَ فِى حَبْسِهِ

يقول : ليس من يظنّ أنك فى حبسه ، كَمنْ يظنّ أنك منتظرٌ[٣] وعده . يعنى : أنا فى حبسه وهو يظنّ أنّى مقيم على انتظار وعْده . والكاف : خطاب لنفسه . والهاء فى « وعده » و « حبسه » تعود إلى « مَنْ » الأولى .

٤- الْعَبْدُ لاَ تَفْضُلُ أَخْلاَقُهُ عَنْ فَرْجِهِ المُنْتِنِ أَوْ ضِرْسِهِ

يقول : إن العبْد ليس له هِمّةٌ إلاّ فى الأكْل والجماع ، ولا يتجاوز هَمُّه إلى مَكْرُمةٍ ، فكيف أرجوه ؟ !

٥- لاَ يُنْجِزُ الْمِيعَادَ فِى يَوْمِهِ وَلاَ يَعِى مَا قَالَ فِى أَمْسِهِ

الهاء فى « يومه » قيل : « للميعاد » أى فى يوم الميعاد وقيل : للعهد[٤] .

يقول : إذا وعَد وعْدًا لم ينجزه[٥] ، وإذا صار إلى يوم آخر ، نسى وعده

---

(١) كان الإخشيد عقد قبل وفاته لولده أنوجور من بعده . وكان أنوجور أكبر أولاده . وكان لا يتجاوز الرابعة عشر من عمره حين ولى الحكم . وقد كان الأمر على عهده بيد كافور . انظر النجوم الزاهرة ٤ /٢ .

(٢) ع : « رأى » . (٣) ق : « منتظرا » .

(٤) ق : « للعهد » مكانها بياض . أى لا ينجز الميعاد فى يوم الميعاد الذى وعد أن ينجز فيه .

(٥) ع : « لم ينجز وعده » .

بالأمس ؛ لجهله ، فمن هذا حاله فكيف يرجى نواله ! ؟

٦- وَإِنَّمَا تَحْتَالُ فِي جَذْبِهِ كَأَنَّكَ المَلَّاحُ فِي قَلْسِهِ

القَلْس : حبل السَّفينة .

يقول : إذا وعد شيئًا تحتاج إلى الاحتيال فى جذبه [إلَى] ذلك الموعود ، فإن أغفلت جرَّه تأخَّر ، كما أن الملاَّح يحتاج إلى جرّ السفينة فى النهر مُصْعِدًا لها ، فإن ألقى الحبْل من يده ، انجرَّتْ مع الماء[1] .

٧- فَلَا تُرَجِّ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ مَرَّتْ يَدُ النَّخَّاسِ فِي رَأْسِهِ

« فى رأسه » : أى على رأسه .

يقول : لا تُرَجِّ خيرًا عند من كان عبْدًا ، فمرت على رأسه يد النخّاس[2] بالصفع ، فإنه لا خير عنده .

٨- وَإِنْ عَرَاكَ الشَّكُّ فِي نَفْسِهِ بِحَالِهِ فَانْظُرْ إِلَى جِنْسِهِ

[٣١١ - ا] يقول : إن عرض لك شكٌّ فى أمره بحسْن حاله ، فلا تغترّ بتلك ، وانظر إلى جنسه من العبيد فإن خلُقه كأخلاقهم ، والشىء إذا التبس حاله بغيره ، يردّ إلى جنْسه[3] .

٩- فَقَلَّمَا يَلْؤُمُ فِي ثَوْبِهِ إِلَّا الَّذِي يَلْؤُمُ فِي غِرْسِهِ

الغِرْس : جلْدةٌ رقيقةٌ تخرج على رأس المولود .

يقول : قلّما يلؤم فى ثوبِه إلا الذى يولد وهو لئيم ، فكل شىء ينزع إلى أصله .

---

(١) يريد أنه يجر إلى فعل الخير بقوة وصعوبة . كما تجر السفينة من الانحدار إلى الإصعاد . وهو ضد عادتها . لأنها تطلب جريان الماء لتنحدر معه سريعة وإذا جذبت إلى الإصعاد أتعبت الجاذب لها .

(٢) النخاس : فى العرف هو الذى يبيع الدواب والعبيد . وفى غيرهم : السمسار والدلال . التبيان .

(٣) ع : « هذا شرح للبيت رقم ٨ وضع للذى يليه البيت رقم ٩ ووضع شرح البيت الذى هذا البيت . وقد أشير إلى ذلك فى النسخة .

١٠- مَنْ وجَدَ الْمَذْهَبَ عَنْ قَدْرِهِ لَمْ يَجِدِ الْمَذْهَبَ عَنْ قَنْسِهِ

القَنْس : الأصْل .

يقول : من وجد طريقًا إلى أن يتجاوز قدر نفسه ويباين أشكاله ، فإنه لا يجد طريقًا يتجاوز أصله وينحرف به عن لؤم نفسه .

(٢٥٢)

واتّصل قومٌ من الغلمان بالصّبى[١] مولى الأسْوَد ، فأنْكَر ذلك عليهم وطالبه بتسليمهم إليه ، فجرت بينهما وحشة أيامًا ، ثم سلّمهم إليه فقتلهم[٢] واصطلحا ، فطولب أبو الطيب[٣] بأن يذكر الصُّلْح فقال فى ذلك[٤] :

١- حَسَمَ الصُّلْحُ مَا اشْتَهَتْهُ الْأَعَادِى وَأَذَاعَتْـهُ أَلْسُـنُ الْحُسَّـادِ

« وأذاعته » : أى وما أذاعته .

يقول : قطع الصُّلْح ما كانت تشتهيه الأعادى من الخلاف بينكما ، وما أفشاه الحسّاد من الوحْشة الواقعة بينكما .

---

(١) وذلك حين شعر أنوحور مولى كافور أنه جاوز سنّ الرشد . وبأن من حقه أن يقبض على أزمة الحكم . وزين له بعض المتصلين به أن ينكر لكافور وقالوا له : « قد احتوى كافور على الأحوال . وانفرد بتدبير الجيوش . وأخذ أملاك أبيك . وأنت معه مقهور » . النجوم الزاهرة ٣ /٢٩٢ .

(٢) ع : « فقاتلهم » . مقدمة الديوان : « فأتلفهم » . وقال شارح العرف الطيب ٤٩٨ : « فألقاهم فى النيل » .

(٣) وجاء فى إحدى نسخ الديوان الهامشية أن ذلك كان فى شعبان سنة سبع وأربعين وثلاث مئة .

(٤) الواحدى ٦٥٦ : « واتصل قوم من الغلمان بابن الإخشيدى : مولى كافور . طلبا للفساد بينهما . وجرت وحشة أياما . ثم ردهم إليه واصطلحا فقال أبو الطيب فى ذلك » . التبيان ٢ /٣١ : « واتصل قوم من الغلمان بابن الإخشيد مولى كافور ، وأرادوا أن يفسدوا الأمر على الأسود . فطالبه بتسليمهم إليه . فسلمهم واصطلحا . فقال » الديوان ٤٦١ . العرف الطيب ٤٩٨ .

٢- وَأَرَادَتْهُ أَنْفُسٌ حَالَ تَدْبِيـ ـرُكَ مَا بَيْنَهَا[١] وَبَيْنَ الْمُرَادِ

أى : وما أرادته . والهاء راجعة إلى « ما » فى قوله : « ما اشتهته »[٢] .

يقول : أراد قوم أن يوقعوا بينكما الخلاف ، فحال تدبيرك بينهم وبين مرادهم .

٣- صَارَ مَا أَوْضَعَ الْمُخِبُّونَ فِيهِ مِنْ عِتَابٍ ، زِيَادَةً فِى الْوِدَادِ

أوضع إيضاعًا : إذا أسْرع المشْى . والْمُخِبُّون : الذين يَحملون دوابهم على الخَبَب ، وهو السّير السريع ، وأراد هاهنا السّعى بالنميمة .

يقول : صار فعْل من يسعى بينكما بالنّميمة والفساد ، زيادة فى إصلاح الوداد ، فرجع الوشاة بالخيبة .

٤- وَكَلَامُ الْوُشَاةِ لَيْسَ عَلَى الْأَحْبَا بِ سُلْطَانُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ

سلطانُه : يُرْوَى بالرفع فيكون مبتدأ ، و « عَلَى الأَضْدَادِ » خبره ، واسم « لَيْسَ » : ضمير الكلام ، و « على الأحباب » خبره .

يقول : إنّ كلام الوشاة إنما يُوقع الفساد إذا كان بين الأضْداد ، فأما بيْن الأحباب المتصافين فلا يوقع الفساد .

وروى : « سلطانَه » بالنصب[٣] يعنى ليس يتسلّط على الأحباب ، سلطانَه على الأضْداد .

٥- إِنَّمَا تَنْجَحُ الْمَقَالَةُ فِى الْمَرْ ءِ إِذَا وَافَقَتْ هَوًى فِى الْفُؤَادِ

يقول : إن مقالة الوشاة ، إنما تعمل فى المرء إذا وافقت[٤] منه مرادًا لها ، وأَصْغى إليها . وهذا تأكيد للمعنى الأول[٥] .

---

(١) ق : « مابينه » .
(٢) ع : « ما تشتهيه الأعادى » .
(٣) ق : « بالنصب » مهملة .
(٤) ع : « صادفت » .
(٥) ينْى عن الإخشيد موافقة قلبه كلام الوشاة .

٦- وَلَعَمْرِى لَقَدْ هُزِرْتُ بِمَا قِيـ ـلَ فَأُلْفِيتَ أَوْثَقَ الأَطْوَادِ

الأطواد : الجبال .

يقول : إن الوشاة بالغوا فى السّعاية بينكما ، وحرّكوك بالوشاية فلم تسمع قولهم ، فصادفوك فى الحلم والوقار مثل الجبل .

٧- وَأَشَارَتْ بِمَا أَبَيْتَ رِجَالٌ كُنْتَ أَهْدَى مِنْهَا[1] إِلَى الإِرْشَادِ

يقول : أشار قوم عليك بالخصومة ، فأبيت ما أشاروا به ، فكنت أرشد منهم وأهدى إلى الصواب [٣١١ - ب] فيما[2] فعلت من الصّلح .

٨- قَدْ يُصِيبُ الْفَتَى الْمُشِيرُ وَلَمْ يَجْـ ـهَدْ وَيُشْوِى الصَّوَابَ بَعْدَ اجْتِهَادِ

يُشْوى : أى يخطئ . يقال : رماه فأشواه : إذا أخطأ المقتل وأصاب الشّوى ، وهى الأطراف .

يقول : قد يصيب الإنسان الصّواب وإن لم يجتهد[3] ، وقد يخطئ الصّواب بعد الاجتهاد .

يعنى : أنك أصبت الرأى فى الصّلح ، وأخطأ مَنِ اجتهد فى السعاية .

٩- نِلْتَ مَا لاَ يُنَالُ بِالْبِيضِ والسُّمْـ ـرِ وَصُنْتَ الأَرْوَاحَ فِى الأَجْسَادِ

يقول : أدركتَ بصواب رأيك من مرادك ، ما لا ينال بالقتال ، وحفظت الدماء حتى بقيت الأرواح فى الأجساد ، ولم يُقتل أحد ولم يُرق دم .

١٠- وَقَنَا الْخَطِّ فِى مَرَاكِزِهَا حَوْ لَكَ وَالْمُرْهَفَاتُ فِى الأَغْمَادِ

---

(١) ق ، شو : « منهم » .

(٢) ق : « بما » .

(٣) ع : « يجهد » .

يقول : وصلْت إلى مرادك من غير أن حركت الرماح من مراكزها ، وأخرجت السيوف من أغمادها . والمرهفات : السيوف المحدودة .

١١-مَا دَرَوْا ، إِذْ رَأَوْا فُؤَادَكَ فِيهِمْ سَاكِنًا ، أَنَّ رَأْيَهُ فِي الطِّرَادِ

الطراد : المطاردة ، وهى المحاربة . والهاء فى « رأيه » للفؤاد .

يقول : لمّا رأوْك ساكنَ القلْب ، توهّموا بأن ذلك عن غفْلةٍ وقلة فكر فيه ، ولم يعلموا أنّك معْمل رأيك فى فؤادك لاستنباط الصّواب ، فكان قلْبك ساكنًا ، ورأيك فى محاربةٍ[1] .

١٢-فَفَدَى رَأْيَكَ الَّذِى لَمْ تُفَدْهُ كُلُّ رَأْيٍ مُعَلَّمٍ مُسْتَفَادِ

لم تفده : أى لم تستفده .

يقول : كل رأى مستفاد معلم مكتسَب بالتعلّم ، فِدَاء رأيك الذى طبعت عليه ، ولم تستفده أنت من أحد .

١٣-وَإِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِى طِبَاعٍ لَمْ يُحَلِّمْ تَقَدُّمُ الْمِيلَادِ

يقول : إذا لم يكن الرّجل مطبوعًا على الحلْم ، فمرور الأيّام وتقدّم الولادة ، لا تجعله حليمًا .

يعنى : لااعتبار بالسّن ، وإنما الاعتبار بالطبع .

١٤-فَبِهَذَا وَمِثْلِهِ سُدْتَ يَاكَا فُورُ وَاقْتَدْتَ كُلَّ صَعْبِ الْقِيَادِ

يقول : بهذا الرّأى الحصيف وبمثله من الآراء ، صرت سيّدًا ، وقدت [كلَّ] صعْبِ المقادة ، حتى انقاد لك ، ودخل فى طاعتك .

١٥-وَأَطَاعَ الَّذِى أَطَاعَكَ وَالطَّا عَةُ لَيْسَتْ خَلَائِقَ الْآسَادِ

يقول : بمثل هذا الرأى أطاعك رجالٌ مثل الأسود التى لم تُطَع لأحد قبلك ،

(١) ع : « محاربًا » .

إذ ليست الطّاعة من عادة الأسود .

١٦-إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ ، وَالأَبُ الْقَا طِعُ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الأَوْلاَدِ

يقول : أنت له بمنزلة الوالد ، والأبُ على كلّ حالٍ أشفق على ولده من الولد الواصل .

قال ابن جنى : معناه أنك ياكافور أقرب إلى ابن مولاك ، وأحنى عليه من وَلَده الواصل له : أى لو كان له وَلَدٌ لكنت أحْنَى عليه من وَلَده .

١٧-لاَ عَدَا الشَّرُّ مَنْ بَغَى لَكُمَا الشَّرَّ وَخَصَّ الْفَسَادُ أَهْلَ الْفَسَادِ

يقول : من طلب لكما الشرَّ ، فلا تَجَاوزَ عنه الشرُّ [٣١٢ - ا] ولا فارقه ، وجعل الله أهْلَ الفساد ، مخصوصًا به دونكما .

١٨-أَنْتُمَا - مَا اتَّفَقْتُمَا - الْجِسْمُ والرُّو حُ فَلاَ احْتَجْتُمَا إِلَى الْعُوَّادِ

يقول : أنتما - ما دام بينكما اتّفاق وصلح - كالجسم والروح ، فلا وقع بينكما اختلاف حتّى تحتاجا إلى السّفر فى الصلح بينكما .

لما جعلها الروح[١] والجسم ، جعل الاختلاف بينهما مرضها ، وجعل[٢] سعى الناس فى الصلح بينهما ، عيادة لها .

١٩-وَإِذَا كان فى الأَنَابِيب خُلْفٌ وَقَعَ الطَّيْشُ فِى صُدُورِ الصِّعَادِ

يقول : إذا وقع الخلف[٣] بين أهل المملكة ، وهم الامراء والجيوش والقوّاد ، اضطرب مَلِكهُم الذى هو صدرهم ، كما أن أنابيب الرمح إذا اختلفت لم يعمل صدره[٤] وزلّ عن الطعن ، واضطرب فى يديْه[٥] .

(١) ع : « الرماح » تحريف .
(٢) ع : « جعل » مهملة .
(٣) ع : « الاختلاف » .
(٤) ق ، شو : « صدره » مهملة .
(٥) ق : « بديه » بياض . وع : « بديها » .

وقيل : أراد أنكما إذا اختلفتما اضطرب أمركما ، كما أن الرمح إذا اختلفت أنابيبه طاشت أعاليه .

٢٠-أَشْمَتَ الْخُلْفُ بِالشُّرَاةِ عِدَاهَا وَشَفَى رَبَّ فَارِسٍ مِنْ إِيَادِ

فاعل « شَفَى » ضمير « الخُلْف » والشّراة : الخوارج[١] ، سَمّوا أنفسهم شراة . يعنى : شَرَوْا - بجزم - أنفسهم من الله تعالى : أى باعوها .

يقول : الاختلاف بين القوم يشمت الأعداء بهم ، كما أن الخوارج لما اختلفت كلمتهم فى خلافة أمير المؤمنين على كرم الله وجهه[٢] ، ظفر بهم أمير المؤمنين وأفناهم وأشمت بهم أعداءهُم[٣] ، وكذلك تمكن كسْرى (صاحب فارس) من قبيلة إياد[٤] ، شِفَى صدره ، حين اختلفت كلمتهم .

٢١-وَتَوَلَّى بَنِى الْبَرِيدِىِّ فِى الْبَصْـ ـرَةِ حَتَّى تَمَزَّقُوا فِى الْبِلَادِ

يقول : إن الخُلْف أوْقع[٥] بِبَنِى البريدىّ[٦] وهم ثلاثة[٧] إخوة كانوا قد

(١) هم الذين خرجوا على علىّ وصحبه رافضين التحكيم ، وقد تحصنوا فى بعض مناطق العراق والجزيرة العربية وقاوموا الدولة مقاومة عنيفة وانقسموا إلى عدة فرق منهم الشراة الذين ذكرهم .

(٢) وذلك لأنهم يرون أن الخلافة لابد أن تتم عن اختيار حر ، وليس لمن اختير أن يتنازل أو يحكّم . لذلك أقروا خلافة الشيخين وخلافة عثمان فى سنيه الأولى ، وخلافة علىّ إلى أن قبل التحكيم .

(٣) ذكر الواحدى أن الذى ظفر بهم : المهلب بن أبى صفرة حين تولى حربهم ، وذلك أنه احتال على صانع نصال لهم كان يتخذ لهم نصالا مسمومة حتى أوقع الفرقة بينهم فقل عددهم فظفر بهم .

(٤) إياد : قبيلة عربية تنتمى إلى بنى معد ، سكنت تهامة إلى حدود نجران وفى القرن الثالث هاجرت منها طوائف إلى شرق العراق ومنها إلى الجزيرة ، ويقال إنهم أول من أدخل هناك الحروف العربية ، ومنهم أبو دؤاد الشاعر وقس ابن ساعدة . انظر المعارف ٦٤ . ويذكر الواحدى أن الذى تمكّن منهم : سابور ذو الأكتاف ملك فارس .

(٥) ع : « إن الخلفاء وقعوا » .

(٦) البريدى : بالباء الموحدة والراء المهملة ، منسوب إلى البريد ، هكذا ذكره ابن الأثير ٦ /١٩٤ عن ابن ماكولا وقال : وقد ذكره ابن مسكويه بالياء المعجمة المثناة من تحت والزاى ، وقال : كان جده يخدم يزيد بن منصور الحميرى فنسب إليه والأول أصح . انظر ابن الأثير ٦ /١٩٤ .

(٧) هم : أبو عبد الله البريدى وأبو يوسف وأبو الحسين وقد ضمنوا الأهواز . ابن الأثير ٦ /٢٠٩ . وقال ابن تغربردى ٣ /٣٢٦ وكانوا كتابا على البريد .

ملكوا البَصْرة[١] فى أيام المقتدر[٢] فلم يقدر عليهم ، حتى وقع الخلاف بينهم ، ومات أحدهم ، فتمكن منهم السلطان وشتَّتَ شملَهم واستأصَلَهم .

٢٢- وَمُلْوكًا كَأَمْسِ بِالْقُرْبِ[٣] مِنَّا وَكَطَسْمٍ وَأُخْتِهَا فِى الْبِعَادِ

« وملوكًا » عطف على ما قبله . أى وتولى الخُلْف ملوكًا . « وأختها » : أى أخت طسْم : وهى جديس .

يقول : أهلك الخلف ملوكًا قربوا منا ، حتى أن مدّة قربهم منا كمدَّة أمس إلى يومنا ، وأهلك الاختلاف أيضًا ملوكًا فى قديم الزمان[٤] : مثل طسم وجديس ، وكانوا ملوك حِمْيَر[٥] .

٢٣- بِكُمَا بِتُّ عَائِذًا فِيكُمَا مِنْـ ـهُ وَمِنْ كُلِّ بَاغٍ وَعَادِ

الباغى : من البغْى . والعادِى : من العدْوان . والهاء فى « منه » تعود إلى الخُلْف .

يقول : أعوذ بكما أن يقع الخلف بينكما ، وأن يقع بينكما كيد البُغَاة والعداوة .

٢٤- وَبِلُبَّيْكُمَا الْأَصِيلَيْنِ أَنْ تَفْـ ـرُقَ صُمُّ الرِّمَاحِ بَيْنَ الْجِيَادِ

---

(١) انظر حوادث سنة ٣٢٥ فى ابن الأثير . وفى سنة ٣٣٢ قتل أبو عبد الله البريدى أخاه أبا يوسف وذلك أن عبد الله نفذ ما عنده من المال فى محاربة بنى حمدان فأخذ من أخيه المرة تلو المرة واستوحش كل منهما من صاحبه .

(٢) هو المقتدر العباسى جعفر بن أحمد بن طلحة . بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المكتفى وعمره ثلاث عشرة سنة ٢٩٥ واستصغره الناس فخلعوه سنة ٢٩٦ ونصبوا عبد الله بن المعتز ثم قتلوا ابن المعتز وأعيد المقتدر بعد يومين فطالت أيامه وكانت مدة خلافته ٢٥ سنة وكثر فيها الفتن . انظر ابن الأثير ٨ /٣ - ٧٥ والنجوم الزاهرة ٣ /٢٣٣ وطرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب ٨٥ .

(٣) فى الواحدى والتبيان والديوان : « فى القرب » .

(٤) ع : « فى قديم من الدهور والزمان » .

(٥) طسم وجديس : قبيلتان قديمتان من العالقة من بنى إرم أقامتا فى البحرين واليمامة . أذل ملك طسم نساء جديس . فقاتلوه وأفنوا قبيلته إلا واحدا منهم استغاث بقحطان فقاتلوا جديسًا حتى أبادهم . المعارف ٢٧ .

كان الوجْه : ألبابكما . كقوله تعالى : (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)[١] ، والتثنية[٢] أيضًا جائزة .

يقول : أعوذ به بعقلكما[٣] الثابت أن تتحاربا ، فتفْرَقَ الرماحُ بين خيولكما ، فيصير معك حزْب ومعه حزب[٤] .

٢٥-أَوْ يَكُونَ الْوَلِيُّ أَشْقَى عَدُوٍّ بِالَّذِي تَذْخُرَانِهِ مِنْ عَتَادِ

يقول : أعوذ بعقْلكما من أن تقْتَلاَ الوليّ[٥] ، وأن [٣١٢ - ب] تجعلاه لسلاحكما[٦] - الذى هو عدتكما وذخيرتكما للأعداء - أشقى[٧] عدو ، إذِ السِّلاح يعدّ للأعداء لاَ لِلأَوْلِيَاء .

٢٦-هَلْ يَسُرَّنَّ بَاقِيًا بَعْدَ مَاضٍ مَا تَقُولُ الْعُدَاةُ فِي كُلِّ نَادِ

النَّادِى : المجْلس .

يقول : إذا تقاتلتما[٨] ، فيقتل أحدُكمَا صاحبَه ، هل يسُرّ الباقى منكما ما تقول الأعداء فى المجالس :إنه قتل صاحبه وهتك حرمتَه ؟ !

٢٧-مَنَعَ الْوُدُّ والرِّعَايَةُ والسُّؤْ دُد أَنْ تَبْلُغَا إِلَى الْأَحْقَادِ

يقول : هذه الخِصال التى فيكما منعتكما أن تبلغا إلى أن يحقد أحدكما على

---

(١) سورة التحريم ٦٦/ ٤ .

(٢) أى لُبَيْكما : تثنية لُبّ : القلب أو العقل .

(٣) ق : « بقلبكما » .

(٤) كان أنوجور يريد الخروج إلى الرملة لمناوأة كافور وصرفه عن تدبير الأمور وانقسم الجند إلى طائفتين : الكافورية ، يناصرون كافورًا ، والإخشيدية : ويناصرون أنوجور . انظر الإخشيديين للدكتورة سيدة الكاشف ١٢٥ .

(٥) المراد بالوليّ هنا : المحبّ الموالى أو الصديق .

(٦) ع : « سلاحكما » .

(٧) ق : « للأعداء عدوا » .

(٨) فى النسخ « أو تقاتلتما فيقتل » .

صاحبه ؛ فلهذا عدَلْنا إلى الصلح ، لتأكد[١] هذه المعانى .

٢٨–وَحُقُوقٌ تُرَقِّقُ الْقَلْبَ لِلْقَلْـ ـبِ وَلَوْ ضُمِّنَتْ قُلُوبَ الْجَمَادِ

يقول : ومنع أيضًا حقوقٌ متأكّدة ، حتى لو كانت للجماد قلوبٌ ، فضمّنت هذه الحقوق تلك القلوب ، لرقّ بعضها لبعض[٢] .

٢٩–فَغَدَا الْمُلْكُ بَاهِرًا مَنْ رَآهُ شَاكِرًا مَا أَتَيْتُمَا مِنْ سَدَادِ

يقول : لمّا اصْطلحتُمَا أصبحَ المُلْك منيرًا ، أبهرَ مَنْ رآه ، وغلبه بنوره ، وشكر[٣] لكما على ما رأيتما من الصّواب والسداد .

٣٠–فِيهِ أَيْدِكُمَا عَلَى الظَّفَرِ الْحُلْـ ـوِ وَأَيْدِى قَوْمٍ عَلَى الْأَكْبَادِ

الهاء فى « فيه » للمُلْك .

يقول : ظفرتما من المُلْك بما أردتما ، وأصبح حسَّادُكما واضعين أيديهم على أكبادهم ؛ لما نالهم من الألم بالصّلح الذى صار[٤] بينكما .

٣١–هَذِهِ دَوْلَةُ الْمَكَارِمِ وَالرَّأْ فَةِ وَالْمَجْدِ وَالنَّدَى وَالْأَيَادِى

يقول : دولتكما دولةُ هذه الأشياء ، فإذا وقع فى هذه الدولة خلَلٌ ، اختلّت هذه الأشياء ، وإذا سَلِمت سَلِمت هذه الأمور .

٣٢–كَسَفَتْ سَاعَةً كَمَا تَكْسِفُ الشَّمْـ ـسُ وَعَادَتْ وَنُورُهَا فِى ازْدِيَادِ

يقول : هذه الدولة كسفت ساعة لمخالفتكما ، كما تكسف الشمس ، ثم زال

---

(١) ع : « لتشاكل » .

(٢) يعنى : حقوق التربية والقيام بأمره وهو طفل صغير ، وتلك الحقوق لو كانت بين الجماد لرق بعضه لبعض .

(٣) فى سائر النسخ : « ويغلبه . . . ويشكر » . والمذكور عن : « ق » .

(٤) ع : « الذى صار » مهملة .

الكسوف عنها فعاد نُورها ، وزاد على ماكان من قبل .

٣٣- يَزْحَمُ الدَّهْرَ رُكْنُهَا عَنْ أَذَاهَا بِفَتًى مَارِدٍ عَلَى المُرَّادِ

المُرّاد : جمع مارِد ، وهو الشّرّير الخبيث .

يقول : ركن هذه الدولة يزحم الدهْرَ عن أذاها[١] . أى : إذا أراد الدّهرُ أن يؤذى هذه الدولة ، زاحمه ركنُها ومانعه ، بفتًى مارِدٍ على المُراد : أى عادٍ على المعْتدين ، ومقابل للخبثاء بخبثهم[٢] . وعنى به كافور الأسود .

٣٤- مُتْلِفٍ ، مُخْلِفٍ ، وَفِيٍّ ، أَبِيٍّ ، عَالِمٍ ، حَازِمٍ ، شُجَاعٍ ، جَوَادِ

أى يتلف مالَه فى الجود ، ويخلفُ مَنْ تلَف ماله[٣] ، ويعوضه على ما ذهب منه . وأراد : أن هذا الفتى جامع لهذه الأوصاف .

٣٥- أَجْفَلَ النَّاسُ عَنْ طَرِيقِ أَبِى الْمِسْـ ـكِ وَذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْعِبَادِ

أجفل : أى تفرق[٤] .

يقول : خلّى الناسُ له طريق المجْد والعلا ، وذلّت له رقاب الناس ، وانقادوا له[٥] .

---

(١) فى النسخ : « عنه أذاها » .

(٢) مما لا ريب فيه أن ارتفاع كافور من مجرّد عبد حقير لا شأن له إلى منصب الإمارة فى مصر ثم اتصال المتنبى به ومدحه ثم هجائه بغرر قصائده . كل ذلك أثار إعجاب المؤرخين المسلمين حتى عدوه من « أعاجيب الدنيا وسيرته من أغرب السير » وحفزهم إلى أن ينسجوا حول نشأته قصصًا مختلفة . انظر المغرب لابن سعيد ٤٦ .

(٣) ق : « ويخلف من مما تلف ماله » . تحريف وذكر الواحدى وصاحب التبيان أن معنى مخلف : أن الأموال إذا ذهبت اكتسبها بسيفه .

(٤) ع : « أجفل الناس : أى تفرقوا » .

(٥) والدة أنوجور كانت لا تثق باستطاعته التغلب على كافور . وكانت تخشى عليه من بطشه ، فكتبت إلى ابنها تخوفه من عاقبة الفتنة ، وأعلمت كافورا أن ابنها ينوى الرحيل عن مصر إلى الرملة فكتب كافور إلى أنوجور وصالحه . ودام الأمر فى شئون الدولة على حاله وظل كافور يدير أمورها =

٣٦-كَيْفَ لاَ يُتْرِكُ الطَّرِيقُ لِسَيْلٍ ضَيِّقٍ عَنْ أَتِيِّهِ كُلُّ وَادِ

الأتىّ : السيل الذى يأتى من بلدٍ إلى بلد . والوادى : [٣١٣-ا] مجرى السيل ، شبّهه بالسيل فى إقدامه وكثرة جيوشه ، ومن حيث أن السيل يحمل كلَّ شىء يأتى عليه .

يقول : كيف لا يترك النَّاسُ الطريقَ لسيْلٍ يضيق عنْه كلُّ وادٍ ؛ لكثرته وكل موضع أتى عليه غرّقه[١] .

(٢٥٣)

وكان كافور يتقدّم إلى أصحاب الأخبار ، يرجفون بأنه ولاّه موضعًا فى الصَّعيد ، وينفذ إليه قومًا يعرِّفونه ذلك ، فلمّا كثر هذا وعلم أن أبا الطيب لا يثق بكلامٍ يسمعه ، حمل إليه ست مئة دينار ذهبًا ، فقال يمدحه وأنشدها يوم الخميس لليلتين خلتا من شوال ، سنة سبع وأربعين وثلاث مئة[٢] :

١- أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ

يخاطب حبيبه يقول : أنا أحاول أن أغلب شوْق إليك ، وهو يغلبنى لا محالة ، لأنّه أغلب منى : أى أقْدَر على الغَلَبة ، وأعجبُ من هجْرك لِى ، ووصلك أولى بأن أعجب منه ؛ لأن عادتك الهجْر ، فليس هو بعجيب ، وإنما العجب من الوصل .

= لأنوجور حتى مات ٣٤٩ ويقال إن كافور دس له السم فمات بعد أن ولى حكم مصر نحو أربع عشرة سنة . انظر : الإخشيديون للدكتورة سيدة الكاشف ١٢٦ .

(١) ع : « عرفه » .

(٢) الواحدى ٦٦٠ : « وقال يمدحه فى شوال سنة ٣٤٧ وقد حمل إليه ستّ مئة دينار » . التبيان ١ /١٧٦ : « وقال يمدحه وكان قد حمل إليه ستّ مئة دينار » . الديوان ٤٦٤ : وكان الأسود يتقدم إلى البوابين وأصحاب الأخبار ، فكانوا كل يوم يرجفون بأنه قد ولاه موضعًا من الصعيد وغيره . . . . إلخ المذكور تقريبًا . العرف الطيب ٥٠٢ .

٢- أَمَا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى بَغِيضًا تُنَائِى ، أَوْ حَبِيبًا تُقَرَّبُ

يقول : من عادة الأيام أنها تقرّب البغيض ، وتبعد الحبيب ، فلم لاَ تغلط مرّةً فتقرّب الحبيب وتبعد البغيض ؟

٣- وَلِلّهِ سَيْرِى مَا أَقَلَّ تَثَيُّهً عَشِيَّةَ شَرْقِيَّ الْحَدَالِىَ وغُرَّبُ[١]

التَّثَيُّه : التّثبّت والتلبّث . والحَدَالِىَ : موضع بالشام[٢] : وغُرّب : جبل[٣] .

ولله سَيْرى[٤] ! تعجّب . وتثيُّهً : نصب على التمييز .

يقول : للهِ سَيْرِى[٥] ! حين جعلتُ الحَدَالِىَ[٦] وغُرّبُ عن يميني وقصدت مصر فما كان[٧] أسرعه ، وأقل تمكثى فيه !

وقيل : أراد جعلت هذين المكانين فى جانب المشرق ، وسرت إلى جانب المغرب . وهو مصر .

٤- عَشِيَّةَ أَحْفَى[٨] النَّاسِ بِى مَنْ جَفَوْتُهُ
وَأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الَّذِى أَتَجَنَّبُ

أحْفَى[٨] الناسِ بِى : أى أشدّهم[٩] اهتمامًا فى البِرِّ بى . وعشيَّةَ : بدل من « العشيّة » الأولى .

يقول : لله مسيرى ، عشيّة جفوت من هو ألطف الناس بى ، وأشدهم اهتمامًا

(١) ع : « وتغرب » .
(٢) قرب بادية كلب ، المعروفة بالسماوة . ياقوت .
(٣) جبل فى ديار كلب . مراصد الاطلاع .
(٤) ق : « ولله سيرى » مكانها بياض .
(٥) ق : « . . . سيرى » بياض قبل « سيرى » . ع : « ولله سرت » .
(٦) ع : « الهلالى » تحريف .
(٧) ق : « فما » مكانها بياض .
(٨) ق ، ع : « أخفى » رواية . انظر آخر شرح البيت .
(٩) يريد أن « أحفى » تفضيل من حفى .

بأمرى : يعنى سيف الدولة ، يظهر الندم على فراقه ، وأصْوب الأمرين : الأمر الذى تركته لما قصدْت كافورًا وجفوت سيف الدولة ، مع اهتمامه بأمرى .

وعن ابن جنى : أنه كان ترك الجادة وتعسّف ، ليخْفى أثَره ، خوفًا على نفسه ، فترك أقصر[١] الطريقين .

٥- وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيلِ عِنْدِى مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

المانويّة : قوم من المجوس[٢] ينتسبون إلى رجل اسمه : مانى[٣] . وهم يقولون : إن النور مطبوع على الخير والصلاح ، والظلمة مطبوعة على الشر والفساد . فهو يقول : إنهم كذبوا[٤] فى قولهم ، فكم من نعمة لليل عندى ، تدلّ على كذبهم فى أن الظلمة لا تفعل الخير .

٦- وَقَاكَ رَدَى الأَعْدَاءِ تَسْرِى إِلَيْهِمُ[٥]
وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ الْمُحَجَّبِ

هذا تفسير للبيت الأول يقول : كم مرة سترنى الليل عن الأعداء عند سيرى فيما بينهم ! وتمكنى فيه من زيارتى الحبيب المحجوب ! وهذا كله خيْر حصل لى من الظلمة .

٧- وَيَوْمٍ كَلَيْلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ أُرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ

كمَنْتُه : أى كمنْتُ فيه .

يقول ردًّا على المانويّة فى قولهم : « إنّ النّور لا يفْعَل الشّر » .

---

(١) ق : « قصد » وفى الواحدى ، وقال ابن جنى : كان يترك القصد ويتعسف خوفًا على نفسه .

(٢) مجوس : كلمة إيرانية الأصل منها « المجوسية » وردت فى القرآن غير مرة وتطلق على أتباع الديانة الزرادشتية التى تأثر بها مانى والمانوية .

(٣) مانى : مصلح إيرانى ظهر فى القرن الثالث الميلادى وأعلن النبوة ، عام ٢٤٢م وأجبر على الفرار تحت ضغط الحكام ولما عاد حكم عليه بالموت . انتشر مذهبه المانوية فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية وآسيا .

(٤) ع : « فسدوا » . (٥) ق : « بينهم » . التبيان والديوان : « عليهم » .

رُبَّ يوْمٍ كمنتُ [٣١٣ - ب] فيه خوْفًا من أعدائى وطال علىّ ، كما يطول اللَّيل على العاشقين ، وكنت أنتظر فيه الشّمس حتّى تغْرب ، ليظلم اللّيل فأسرى فيه وأنجو من أعدائى . وهذا شرٌّ حصل من النّور ، فبطل قولهم : « إنّه مطبوعٌ على الخيْر ، لا يقدِرُ على الشرّ » .

قال ابن جنى : حدّثنى المتنبى قال : لما أنشدتُه قال[1] : غيرك يستطيل الليل ، فقبحًا له ! كيف عرف معناه ؟ !

٨- وَعَيْنِى إِلَى أُذْنَىْ أَغَرَّ كَأَنَّهُ مِنَ اللَّيلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ

يقول : كنتُ أنظر إلى أذنَىْ[2] الفرس الأغر ، فإن توجّس بهما علمتُ أنه أحسّ بشىء ، فتأهّبْتُ فى أمرى[3] فكأنّ أذُنَى الفرس قائمان[4] : مقام عينىّ ، وقوله : « كأنّه من اللّيْلِ باقٍ » : أى كأنه قطعةٌ باقيةٌ من اللّيل .

شبّه فرسه بقطعة من الليل ؛ لأنه أدهم ، وغرّته بكوكبٍ فى ظلْمةِ[5] .

٩- لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِى إِهَابِهِ تَجِىءُ عَلَى صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ

الرحيب : الواسع ، ويستحب فى الفرس سِعةُ الصّدر . وإهابه : جلْده .

يقول : لهذا الفرس فضْلة من جِلْده تضطرب[6] على صدره الواسع[7] ، فتجىء وتذهب . ويستحب فى الفرس أن يكون جلْد صدره واسعًا فاضِلاً عنه . وقيل : أراد بالفضلة ذكاءه ، ثم قال : هذه الفضلة تجىء على صدره الواسع :

---

(١) ق : « لما أنشدته هذا قال » .

(٢) ق : « أذنى » ساقطة .

(٣) لأن الفرس حاد البصر وإذا أحس بشخص من بعيد نصب أذنيه فيعلم فارسه أنه قد رأى شيئًا .

(٤) ق : « فكأن أذن الفرس قائمًا مقام » . ع : « فكأ أذن . . . قائمًا مقام » .

(٥) ع : « فى ليلة ظلماء » .

(٦) ق ، شو : « تضطرب » مهملة .

(٧) وصف فرسه بعرض الصدر وسعة الجلد عليه وكلاهما يقتضى سعة الخطو وسرعة العدو . وليس للحمار عدْوٌ لضيق إهابه عن مد يده

يعنى لا يسع هذا الذكاء إلا صدْرُه[١] ؛ لسعته ، ولا يسع إهابه .

١٠-شَقَقْتُ بِهِ الظَّلْمَاءَ أُذْنِى عِنَانَهُ فَيَطْغَى وَأُرْخِيهِ مِرَارًا فَيَلْعَبُ

يقول : شققت بهذا الفرس ظلمةَ اللّيل ، فسرت فيها ، فكنت إذا جذبْت عنانه طَغَى برأسه : أى رفعه ، لطماحه[٢] وعزّة نفسه ، وإذا أرخيْته : لعب برأسه ، لنشاطه .

١١-وَأَصْرَعُ أَىَّ الْوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ

يقول : إذا تبعتُ به أىّ وحش[٣] كان ، لحقْته وصرعته ، ونزلت عنه وهو على القوّة التى ركبته عليها ، لم يلحقه تعب وعياء .

١٢-وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ وَإِنْ كَثُرَتْ فِى عَيْنِ مَنْ لَا يُجَرِّبُ

يقول : الخيل وإن كانت كثيرة فى عين من لا يعرفها ، فالعتيق منها قليل ، فهى مثْل الأصدقاء يكثرون فى العدد ويقلون عند التجربة[٤] .

١٣-إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ

الشّية : العلامة كالغرّة والتحجيل ، وكل لون يخالف لون الجلد .

يقول : إن كنت لا تعرف حسن الخيل إلا فى شياتها وأعضائها فالحسن غائب عنك .

١٤-لَحَا اللهُ[٥] ذِى الدُّنْيَا مُنَاخًا لِرَاكِبٍ
فَكُلُّ بَعِيدِ الْهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ

---

(١) ع : « إلا فى صدره » . (٢) ق : « لطاحته » .
(٣) ع : « وحشا أىّ وحش » . (٤) ق ، شو : « فى التجربة » .
(٥) لحا الله : دعاء عليها وأصله من لحوت العود : إذا قشرته . ولحوت العصا ألحوها لحْوا وكذلك العصا ألحى لحيا . وقولهم : لحاه الله أى لعنه .

« مناخًا » نصب على التمييز ، وقيل : على الحال .

يقول : لعن الله هذه الدنيا التى لا يُنَال فيها المراد ، فكل صاحب همّة شريفة فيها معذّب بإجدابها عليه[١] .

١٥- أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى : هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلاَ [٢]أَشْتَكِى فِيهَا وَلاَ أَتَعَتَّبُ

ليت شعرى : أى ليتنى أشعر[٣] . وتقديره : ليت شعرى كائن ، فحذف خبر « لَيْتَ » .

يقول : هَلْ[٤] أقول قصيدة وأنا راضٍ عن الزّمان ؟ لا أشكو صروفه ولا أتعتّب عليه[٥] !

١٦- وَبِى مَا يَذُودُ الشِّعْرَ عَنِّى[٦] أَقَلُّهُ وَلَكِنَّ قَلْبِى يَاابْنَةَ الْقَوْمِ[٧] قُلَّبُ

[٣١٤ - ا] قوله : « يَاابْنَةَ الْقَوْم » : كناية عن قوله : يابنْتَ أَبٍ[٨] جيّد التصرف فى الأمور .

يقول : بى من الهمّ ما يمنع أقلُّه الشّعرَ . كما يقال : « حَالَ الجريضُ دون

---

(١) ع : « معذب بأحداثها » .

(٢) ع : « ولا » .

(٣) عند الواحدى وكتب اللغة ليت شعرى : أى ليت علمى . والمعنى متقارب .

(٤) فى النسخ « أن أقول » .

(٥) ع : « لا أشكو حزونها . . . . عليها » .

(٦) ق ، شو : « عنه » .

(٧) يابنة القوم : على عادة العرب فإنها جرت بمشابّة النساء ومخاطبتها . وإنما قال : يابنة القوم إشارة إلى كثرة أهلها . انظر الواحدى وقال ابن جنى : « هو كناية عن قولهم : « يابنة الكرام » ويرى الواحدى أن القول الأول أولى .

(٨) ع : « أى » مكان « أب » .

القريض »[١] ولكنّ قلبى متقلّب فى الأمور . جلْدٌ صابرٌ على ما ينْويه ، ويستخرج المعنى ، مع ما فيه من الهموم .

١٧- وَأَخْلاَقُ كَافُورٍ ، إِذَا شِئْتُ مَدْحَهُ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُمْلِى عَلَىَّ وَأَكْتُبُ

يقول : إن كانت الهموم شغلتنى عن الشِّعر ، فإنى إذا شئتُ مدح كافور ، فإن أخلاقه تبعثنى على مدْحه ، فأكتبه وإن لم أتفكر فيه .

١٨- إِذَا تَرَكَ الإِنْسَانُ أَهْلاً وَرَاءَهُ وَيَمَّمَ كَافُوراً فَمَا يَتَغَرَّبُ

يقول : من حصَلَ عنْده فكأنّه فى أهله ، لما يرى من بِرّه ما يسرُّه . ومثْله لآخر :

فَمَازَالَ بِى إِكْرَامُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ وإلطافهم حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِى[٢]

١٩- فَتًى يَمْلأُ الأَفْعَالَ رَأْياً وَحِكْمَةً وَبَادِرَةً أَحْيَانَ يَرْضَى وَيَغْضَبُ

البادرة : البديهة[٣] .

يقول : ليس له فِعْلٌ إلا فيه حكْمة ورأى وبادرة ، فيملأ ذلك الفعل[٤] من هذه الثّلاثة .

وبالغ فى ذلك حيث جعل : البديهةَ كالرويّةِ من غيره ، فى امتلائِه من الحكمة ، ويفعل ذلك فى حالَتَى الرِّضا والغضب ، ولا يمنعه غضبُه من الحكمة ، ولا رضاه يُلْهِيه عنها .

---

(١) اللسان « جرض » والمثل يضرب لأمر يعوق دونه عائق .

(٢) نسب فى البيان والتبيين ٣ /٢٣٣ إلى بكير الأخنس وفى تأهيل الغريب ٢٥٣ إلى الأخينس الطائى وغير منسوب فى الوساطة ٣٢٦ وفيه : « ومازال » . والحماسة رقم ٩٤ وفيها : « واقتفاؤهم » . وفى وفيات الأعيان ترجمة المهلب بن أبى صفرة . وعيون الأخبار ١ /٣٤١ ولباب الآداب ٣٦٦ والتبيان وفيه : « وبرهم » وشرح البرقوق ١ /٢٠٦ والمثل السائر ٢ /١٧٨ .

(٣) ذكر الواحدى ، نادرة : أى فعلة غريبة لا توجد إلا منه . وروى ابن جنى ، بادرة : بديهة والنون أجود .

(٤) ق ، شو : « فيملأ ذلك عليه الفعل » .

وقيل : البادرة : ما يبدر عند الغضب[١] .

والمعنى : إذا رضى ملأ أفعاله رأياً وحكمة ، وإذا غضب ملأها بادرة وسطوةً ، فيبالغ فى كلا الحالين .

٢٠-إِذَا ضَرَبَتْ فِي الْحَرْبِ بالسَّيْفِ كَفُّهُ
تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ

يقول : إذا ضربَ بالسّيف ، عمل فى يده أكثر مما يعمل فى يد غيره ، فإذا رأيتَ ذلك علمتَ أن السّيف عمل على قدر قوّة الكفّ[٢] .

٢١-تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى اللُّبْثِ كَثْرَةً وَتَلْبَثُ أَمْوَاهُ السَّحَابِ فَتَنْضُبُ

تنضب : أى تجفّ .

يقول : كلّما بقيت عطاياه ازدادتْ ونمتْ ؛ لأنه يهب فرسًا فتنتج ، أو ضيعةً فتغلّ ، فعطاياه أبداً تزداد وتبقى ، لا كَعَطَاء السّحاب ، فإنه إذا أقام بمكانٍ أيّامًا جفّ وذهب .

وقيل : معناه أنه إذا أمسك العطاء ، فإنما يؤخّره لتكثيره ، والماء إذَا مُنِع من السّيلان ، غار ونضب .

وقيل : أراد أن عطاياه متّصلة دائمة ، فهى أكثر وأثبت من ماء السّحاب[٣] ، لأنها تجىء أحياناً وتقلع أخرى .

٢٢-أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ ؟
فَإِنِّيَ أُغَنِّي مُنْذُ حِينٍ وَتَشْرَبُ

يقول : أنا أغنّيك بمدحك ، وأُطْرِبك ، وأنت تشرب كأس السرور بما أنظمه

---

(١) ع : « ما يبدر عنه غضبه » .

(٢) يريد أن الضربة الشديدة إنما تحصل بقوة الكف ، لا بجودة السيف ، لأن السيف الماضى فى يد الضعيف لا يعمل شيئًا .

(٣) ع : « أمواه السحاب » .

من أوصافك ، فاسقنى من فضْلةِ هذا الكأس : أى اجعل لى فى سرورك نصيبا بإنجاز ما وعدْت[١] .

وقيل : أراد أن مديحى يطربُ ، كما يطرِب الغناءُ الشاربَ .

٢٣-وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفَّىْ زَمَانِنَا وَنَفْسِى عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْكَ تَطْلُبُ

يقول : أنتَ إنّما وهبتَ من المالِ على قدر همّةِ الزّمان[٢] ، وأنا أطلب منك على قدر همّتِك ومبلغ جودك .

وحكى ابن جنى عنه أنه قال : كنت إذا خلوْتُ أنشدت[٣] [٣١٤ - ب] .

وهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْكَ عَسْجَدًا وَنَفْسِى عَلَى مِقْدَارِ كَفَّىَّ تَطْلُبُ

٢٤-إِذَا لَمْ تَنُطْ بِى ضَيْعَةً أَوْ وِلاَيَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِى وشُغْلُكَ يَسْلُبُ

يقول : إذا لَمْ تُقْطعنى ضيعةً[٤] ، أو تولينى ولايةً تفضل عن مؤْنَتى ، فإنه وإن كسانى جودُك ، فإنّ اشتغالك بتدبير الملك عنّى ، يسلبنى ما يكسونى إياه[٥] جودُك .

٢٥-يُضَاحِكُ فى ذَا الْعِيدِ كُلُّ حَبِيبَهُ حِذَائِى وأَبْكِى مَنْ أُحِبُّ وأَنْدُبُ

يقول : كل أحد فى هذا العيد يسرُّ بأهله[٦] فى وطنه ، وأنا بعيدٌ عمَّنْ أُحِب ، أبكى على فراقه ، وأشتاق إلى لقائه .

٢٦-أَحِنُّ إِلَى أَهْلِى وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأَيْنَ مِنَ الْمُشْتَاقِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ ؟

---

(١) هذا كله تعريض بإبطاء العطاء .

(٢) ع : « على قدر همة الزمان وأهل الزمان » .

(٣) جاء فى إحدى نسخ الديوان الهامشية قال ابن جنى : « كنت قلت :

وهبت على مقدار كفك عسجدا ونفسى على مقدار كى تطلب

(٤) الضيعة : القرية أو البلد أو الأرض المغلة وقيل : هى العقار .

(٥) ع : « إياه » مهملة .

(٦) ع : « يسرح أهله فى وطنه » .

يقال : (عنقاءُ مُغْرِبٍ) وصْفًا وإضافة[١] . وهو جعله وصْفًا . و « مُغْرِب » : أى بعيد ، يقال : أغْرَب فى البلاد وغرّب : إذا خرج منها .

يقول : أنا أشتاق إلى أهلى ، وأشتهى لقاءهم ، ولكن بيْنى وبيْنَهم بُعْد العنقاء ، فهل أصل إليهم ؟ ! فاشتياقى إليهم كاشْتِياق المُشْتاق إلى عنقاء مُغْرِب ! فكما لا يصل إليه كذلك وصولى إلى أهلى .

وقيل : معناه أرى الناس يضْربون المثل فى البُعْد بالعنقاء ، ولو عقلوا لضربوا بالمُغْرِب عن الوصل ؛ لأنه أبْعد من العنقاء .

٢٧- فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ أَبُو الْمِسْكِ أَوْ هُمُ
فَإِنَّكَ أَحْلَى فِى فُؤَادِى وَأَعْذَبُ

يقول : متى لم يكن لِى إلا أنت ، أو أهلى ، فإن الّذِى أختاره ، هو الكوْن عندك ، والمُقَام فى خدمتك ، دون الأهل الذين أشتاقهم .

٢٨- وَكُلُّ امْرِئٍ يُولِى الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وَكُلَّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبُ

يقول : أنت تفيض علىّ نعمَك[٢] ، وأكتسب العزّ عندك ، فقلبى يحبّك ، والمقام يطيب لى بقرْبك .

٢٩- يُرِيد بِكَ الحُسَّادُ مَا اللهُ دَافِعٌ وَسُمْرُ الْعَوَالِى وَالْحَدِيدُ الْمُذَرَّبُ

المذرّب : المحدّد .

يقول : يريد بك الحسّاد السّوء ، والله تعالى يدفع عنك ، وكذلك تدفعه رماحُك وسيوفك الحداد .

---

(١) فى الأمثال : « حلقت به عنقاء مغرب » يضرب لمن يئس منه . الدميرى : والعنقاء : طائر متوهم لا وجود له .

(٢) فى ، شو : « نعمتك » .

٣٠- وَدُونَ الَّذِى يَبْغُونَ مَا لَوْ تَخَلَّصُوا
إِلَى الشَّيْبِ مِنْهُ عِشْتَ وَالطِّفْلُ أَشْيَبُ

يقول : دون ما يَرُومون من كيْدك حُروبٌ[١] ، لوْ سلموا من أهْوالها إلى الشّيْب ، لشيّب رءوسَ أطفالهم ، ولكنّك متى أرادوا بك سوءًا ، قصدتهم بمكْرٍ ، أو ضرْبٍ ، يأتى على أنفسهم ويفنى حياتهم ، وقوله : « عشت » دعاء للممدوح[٢] .

٣١- إِذَا طَلَبُوا جَدْوَاكَ أُعْطُوا وَحُكِّمُوا
وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الَّذِى فِيكَ خُيِّبُوا

يقول : إذا طلبوا عطاءك أعطيْتهم وحكّمتهم فيه ، وإن طلبوا فضْلَك خيّبْتهم وحرمْتهم[٣] .

٣٢- وَلَوْ جَازَ أَنْ يَحْوُوا عُلَاكَ وَهَبْتَهَا وَلَكِنْ مِنَ الأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ

يقول : من الأشياء ما لا يجوز هبته[٤] ، وعُلَاكَ من جمْلة ذلك ؛ لأنه لا يمكن لأحد أنْ يحويها ، فلست تمنعهم ذلك للبخل .

٣٣- وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِدًا
لِمَنْ بَاتَ فِى نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ

---

(١) يقول الواحدى : دون الذى يطلب الحساد من زوال ملكك وفساد أمرك الموت ، وهو قوله : « ما لو تخلصوا منه » أى الموت .

(٢) ويرى أيضا أن المعنى : أنهم يموتون قبل أن يروا فيك ما يطلبونه . ولو لم يموتوا عشت أنت وشاب طفلهم لشدة ما يرونه .

(٣) قال ابن فورجة : كيف يقدر الإنسان أن يمنع آخر من أن يكون فى مثل فضله . وإنما الله القادر على ذلك . وقد أثنى به المتنبى على ما لم يسم فاعله . فأحسن . الواحدى .

(٤) فى . شو : « وهبته » .

يقول : أظْلَمُ الظّالمين ، مَنْ يحسد الّذِى يُنْعِمُ عليه ، فهو يتقلّب فى نعم المحسود ، فحسّادك يتقلبون فى نعمك ، ومع ذلك يحسدونك !

٣٤-وَأَنْتَ الَّذِى رَبَّيْتَ ذَا الْمُلْكِ مُرْضَعًا
وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِوَاكَ وَلاَ أَبُ

[٣١٥ - ا] يقول : ربيّتَ هذا المَلِك وهو ضعيف حتّى شدَدْته وقهرت أعداءه ، فليس له كافِلٌ سواك ، وأنت أولى به ممَّن عجز عن تدبيره وسياسته .

ويروى[1] « ذا المَلِك » بفتح الميم . أى أنت الذى ربّيْتَ هذا المَلِك ، وأراد به : ابن مولى كافور[2] . أى أنك كفلْتَه وهو طفل صغير ، لا يعرف أبًا ولا أمًّا ، فليس له أب ولا أمّ غيرك .

٣٥-وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ الْعَرِين لِشِبْلِهِ وَمَا لَكَ إِلاَّ الهُنْدُوَانِىُّ مِخْلَبُ

يقول : كنت كالأسد لشبْله ، تذُبّ عنه كما يذبّ الأسد عن شبْله ، وسيْفك لك كالمخْلب للأسد . والهاء فى « له » لِلْمُلْك أو لِلْمَلِك .

٣٦-لَقِيتَ الْقَنَا عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ
إِلَى الْمَوْتِ فِى الْهَيْجَا مِنَ الْعَارِ تَهْرُبُ

يقول : باشرتَ القتال عنه بنفسك الكريمة التى تهرب إلى الموت خوفاً من العار ، ولا تهرب من الموت .

٣٧-وَقَدْ يَتْرُكُ النَّفْسَ الَّتِى لاَ تَهَابُهُ وَيخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِى تَتَهَيَّبُ

فاعل « يترك » و « يخْترم » : ضمير الموت .

يقول : قد ينجو من الموتِ من لا يخاف منه ، وقد يصيب الموتُ من يحذر منه ، فيخترمه[3] .

---

(١) ع : « وروى » .
(٢) أى ابن الإخشيد وهو أنوجور .
(٣) يخترمه : يأخذه . اللسان .

٣٨-وَمَا عَدِمَ اللاَّقُوكَ بَأْسًا وشِدَّةً[١] وَلَكِنَّ مَنْ لاَقَوْا أَشَدُّ وَأَنْجَبُ

يقول : الذين لَقُوكَ[٢] فى الحربْ لم يكونوا ضِعَافًا جبناء ، ولكنهم لقَوْا من هو أشدّ منهم وأقدر عَلَى قهْرِهم[٣] .

٣٩-ثَنَاهُمْ ، وَبَرْقُ الْبِيضِ فِى الْبَيْضِ صَادِقٌ
عَلَيْهِمْ ، وَبَرْقُ الْبَيْضِ فِى الْبِيضِ[٤] خُلَّبُ

٤٠-سَلَلْتَ سُيُوفًا عَلَّمَتْ كُلَّ خَاطِبٍ
عَلَى كُلِّ عُودٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ

يقول : هزمهم لمّا لقيهم ، وكانت سيوفه إذا برقت [صدق برقها وعملت السيوف فى] البَيْضَ ، وأوعدته أنها تقطعه[٥] وتقطع الرءوس التى فيه ، وإذا برق البَيْضُ للسيوف كذب برقها أنها تمنع لا بسها ، فبرق سيوفك[٦] المسلولة علّمت الخطباء فى جميع البلاد : أن الواجب عليهم أن يخطبوا فى جميع الناس ، فخطبوا على كل منبر باسمك .

٤١-وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَكْرُمَاتُ وَتُنْسَبُ

يقول : وإن لم يكن لك نسب فى العرب فأنْتَ أصل المكرمات وإليك نسبها ، فأنت أكبر مِنْ أن تنسب إلى أب أو جدّ ، وهذا كقول أبى طاهر[٧] :

---

(١) ق ، شو : « شدة » مكانها بياض . وع : « شرة » تحريف . والديوان : « نجدة » .
(٢) ق ، شو : « لاقوك » .
(٣) ع : « أشد منهم وأقدر . وقهرهم » .
(٤) البِيضُ : بالكسر السيوف وبالفتح : جمع بيضة وهى الخوذة من حديد .
(٥) « وأرعدته أنها تقلعه » . وانظر الواحدى والتبيان فيما بين المعقوفتين .
(٦) ق : « أنها تمنع لابسها كذب برقه فرق سيوفك » اضطراب وتحريفات .
(٧) أبو طاهر : هو أحمد بن طيفور المعروف بأبى طاهر الخراسانى . مؤرخ من الكتاب البلغاء =

خَلاَئِقُه لِلمكْرُمَاتِ مناسِبٌ إِلَيْهَا تَنَاهِي المكْرمَاتُ وتُنْسَبُ[1]

وروى : «إِلَيْهَا تَنَاها كُلّ مَجْدٍ مُؤَثَّلِ»[2] .

٤٢-وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحِقُّكَ قَدْرُهُ؟ مَعَدُّ بْنُ عَدْنَانٍ فَدَاكَ وَيَعْرُبُ

الهاء فى «قَدْرُهُ» للقبيل ، وقيل : تعود إلى «أىّ» .

يقول : أيّة قبيلة من العرب تستحقّ أنْ تُنْسب إليها،فأنت أفضل من معدّ بن عدْنان ، ويَعْرُبُ بن قحطان اللّذَيْن هما أصل العرب . وهما يفديانك .

وقيل : هذا هجو يريد : إنك عبد لا يعرف لك أصل وحسب[3] .

٤٣-وَمَا طَرَبِى لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدْعَةً لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ

يقول : ليس سرورى - الآن وقد رأيتك - ببدع ، فإنى كنتُ أرجو أن أراك فأطرب بمجرّد الرجاء فكيف الآن ؟ ! وقد رأيتك .

هذا وإن كان ظاهره مدحًا ، فإن باطنه إلى الهزؤ أقرب[4] [٣١٥ - ب] ورفع «فأطْرب» عطفًا على «أرْجو» ولم يعطفه على «أن أرى» .

= الرواة ، مولده ووفاته ببغداد وكان مؤدب أطفال ، له نحو خمسين كتابا منها «المنثور والمنظوم» وله شعر قليل . معجم الأدباء ٣ /٨٧ - ٩٨ ، وتاريخ بغداد ٤ /٢١١ .

(١) المذكور فى الشرح هكذا : «وهذا كقول أبى طاهر :

خلائقه للمكرمات مناسب إليها تناهى المكرمات وتنسب

وروى : «تناهى إليها كل مجد مؤثل» .

وقد نسب لأحمد بن أبى طاهر فى الوساطة ٣٢٣ والواحدى ٦٦٦ والتبيان ١ /١٨٦ بهذه الرواية .

خلائقكم للمكرمات مناسب تناهى إليها كل مجد مؤثل

ومثله فى محاضرات الأدباء ١ /٢٩٥ وشرح البرقوق ١ /٢٣ . ورواية الواحدى والتبيان : «خلائقه» .

(٢) قال الخطيب : ليس هذا مما يمدح به ولا سيما الملوك ، لأنه أشبه بنفى النسب عنه ، ثم أنى يقول لا يصح معناه ، يقول : أى قبيل يستحق أن تنسب إليه وأنت فوق كل أحد . التبيان .

(٣) ق ، ع : زادتا بعد ذلك : «يقول معدة بن عدنان فداك ويعرب» مكرر .

(٤) فى الواحدى قال ابن جنى : لما قرأت على أبى الطيب هذا البيت قلت له : أجعلت الرجل أيزنة «وهى كنية القرد» فضحك لذلك .

٤٤-وَتَعْذُلُنِى فِيكَ الْقَوَافِى وَهِمَّتِى كَأَنِّى بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ

يقول : لامتْنى القصائد على مدح غيرك ، فقالت : لم وضعتنى فى غير موضعى ؟ وكذلك لامتنى همتى وقالت : لِمَ اشتغلت بخدمة غيره ؟ حتى كأنّ مدحى لغيرك ذنب أذنبتُهُ . وهو كقول أبى تمام :

وَهَلْ كُنْتُ إلاَّ مُذْنِبًا يَوْمَ أَنْتَحِى سِوَاكَ بِآمَالِى فَأَصْبَحْتُ تَائِبًا[1]

والمصراع الأوّل لو لم يُضَمّ إليه المصراع الثانى لكان هجوًا ظاهرًا .

٤٥-وَلَكِنَّه حَالَ[2] الطَّرِيقُ وَلَمْ أَزَلْ أُفَتِّشُ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ وَيَنْهَبُ

يقول : إنما مدحت غيرَك ؛ لأن الطريق حال بينى وبينك ، وكنت أتخيّر لك هذا الكلام لأتعلّمه[3] مدحًا لك ، والملوك ينتهبونه منّى .

وقيل : أراد بالطريق طريق المدْح أى كان طريق مدحك بعيد التناول[4] ؛ لانتهاء أوصافك فى المكارم ، فكنتُ أتفكر فى مدحك ، وتنْهبه الملوك منّى ، فكان ذلك سبب تأخرى عنك .

٤٦-فَشَرَّقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ وَغَرَّبَ حَتَّى لَيْسَ لِلْغَرْبِ مَغْرِبُ

يقول : سار هذا الكلام (أى الشِّعر) فى الآفاق ، فشرّق حتى ليس مشرق لأهل الشرق[5] ؛ لأن مشارق أهل الشرق كثيرة ، فليس بعد الشَّرق شرق ،

---

(١) ديوانه ١ /١٤٥ وفيه « سواك بآمالى فأقبلت تائبا » والوساطة ٢٨٩ وفيها : « فجئتك تائبا » . ومثل هذه الرواية فى الواحدى ٦٦٧ والتبيان ١ /١٨٧ .

(٢) « حال » فى كل الأصول . وشرح البيت الأول يشير إلى ذلك ، ولكنه فى الواحدى والتبيان والديوان « طال » وشرح البيت يشير إليه كرواية ثانية .

(٣) ع : « فأنظمه » مكان « لأتعلمه » .

(٤) ق : « بعد التنازل » تحريف .

(٥) ع : « حتى صار مشرق أهل الشرق » والمراد : بلغ أقصاه . ومثله لأبى تمام :

فغرّبْتُ حتى لم أجِدْ ذكرَ مَشْرِق وشرّقتُ حتى نسيتُ المغاربا

ولا بعد الغَرْب غرْب ، ولو كان وراءهنا موضع لسار إليه[١] .

٤٧- إِذَا قُلْتُهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُصُولِهِ جِدَارٌ مُعَلًّى أَوْ خِبَاءٌ مُطَنَّبُ

يعنى : إذا قلتُ شعرًا سار فى البدْو والحضر ، ووَصل إلى سكان المدر والوبر[٢] فالجدار المعلّى لأهل الحضر ، والخباء المطنّب لأهل الوبر[٣] .

(٢٥٤)

واتّصل بأبى الطّيب أن قومًا نعوه فى مجلِس سيْفِ الدّولة بحلب ، فقال فى ذلك ولم ينشدها كافورًا الأسْوَدَ[٤] :

١- بِمَ التَّعَلُّلُ ؟ لاَ أَهْلٌ وَلاَ وَطَنٌ وَلاَ نَدِيمٌ ، وَلاَ كَأْسٌ ، وَلاَ سكَنُه

التعلّل : تَطَيُّبِ النفس . والسكن : ما يُسْكن إليه[٥] .

يقول : بأىّ شىء أتعلل ؟ وقد عدمت هذه الأشياء التى يتسلى الإنسان بها .

٢- أُرِيدُ مِنْ زَمَنِى ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِى مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ فِى نَفْسِهِ الزَّمَنُ

يقول : أريد من الزّمان أن يدوم عَلَى حالٍ ، فلا يسْلُب منّى الشّباب ، ولا يكدّر علىّ السُّرور ، وهذه حالة لو أرادها الزمانُ لنفسه لم يقدر عليها ؛ لأنه لو اختار أن يكون نهارًا دائمًا ، أو ربيعًا[٦] أبدًا لما أمكنه ذلك ، فكيف يبلّغنى

(١) ع : « لمشى إليه » .

(٢) ق : « سكان المدن والوبر » .

(٣) ق : « فالجدار المعلّى لأهل الحضر ، والخباء المطنب لأهل الوبر » ساقط .

(٤) الواحدى ٦٦٧ « وبلغ أبا الطيب أن قومًا نعوه فى مجلس سيف الدولة بحلب فقال سنة ٣٤٨ » .
التبيان ٤ /٢٣٣ : « وقال : وبلغ أبا الطيب أن قوما نعوه فى مجلس سيف الدولة بحلب وهو بمصر » .
الديوان ٤٦٨ : ليس بينه وبين الرواية المذكورة خلاف يستحق الذكر . العرف الطيب ٥٠٨ .

(٥) المراد : الخليل الذى تسكن إليه . أى بأى شىء أعلل نفسى؟! وأنا بعيد عن أهلى ووطنى وليس لى شىء ألهو به ولا أحد أسكن إليه .

(٦) ع : « وربيعًا » .

ما لا يقدر عليه لنفسه ؟!

٣- لاَ تَلْقَ دَهْرَكَ إلاَّ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ

يقول : ما دام روحك فى الجسد ، فلا تبال بحوادث الدّهر ، فإنها لا تدوم .

وقيل : أراد لا تبال بأهل الدهر ما دمت حيًّا .

٤- فَمَا يُدِيمُ سُرُورٌ[1] مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلاَ يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ

فاعل « يديم » : سرورٌ[2] .

يقول : سرورك بمواتاة الدهر لا يديم ذلك لك ، وإن حرصت على دوامه . وجزعك على ما يفوتكَ منه[3] لا يردّه عليك ، فلا تفْرح بلذَّةٍ إن وصلتْ إليك ، ولا تحزن عليها [٣١٦ - ا] إن فاتتْك .

٥- مِمَّا أَضَرَّ[4] بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمُ هَوُوا وَمَا عَرِفُوا الدُّنْيَا وَلاَ فَطِنُوا

يقول : إن أهل العشق اغترُّوا بظواهر الدّنيا ، فاغترّوا بحسن الخَلْق[5] ، وأحبوا من هو حَسَن الوجْه ، ولم يعتبروا قُبْح أفعاله ، ولم ينظروا إلى حوادث الزّمان وأحوال الدّهر ، فأخَّر ذكرهم . وقد بيّن ذلك فيما يليه .

٦- تَفْنَى عُيُونُهُمُ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ فِى إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ

« دَمْعًا » نصب على التمييز[6] .

يقول : عشقوا بلا تجربة ورويّةٍ ؛ فعيونهم تذوب عبْرةً ، وأنفسهم تسيل حزنًا

---

(١) ق ، ع : « سرورًا » .

(٢) ق : « سرور به » .

(٣) فى النسخ : « ما يفوته منك » .

(٤) فى النسخ : « فما أضر » .

(٥) ق : « فاعتبروا أحسن الخلق » .

(٦) قال صاحب العرف الطيب ٥٠٩ : « دمعا » مصدر مفعول لأجله ، ولعل الأصوب ماذكره الشارح .

على كل قبيح الفعْل حسن الوجْه .

٧- تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكُمُ كُلُّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ

« النّاجية » : النّاقة السّريعة . « وتحمّلوا » أمر ، « وحملتكم » دعاء .

يقول لأحبابه : متى شئتم الرّحيل فارحلوا ، فلست أبالى بفراقِ مَنْ بان عنّى بعد أن عرفت قبح أفعالكم وخبْث هذا الزمان ، ولا أخاف الآنَ من الفراق ، فكل فراق مأمون فى حقّى .

٨- مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عِوَضٌ
إِنْ مِتُّ شَوْقًا وَلاَ فِيهَا لَهَا ثَمَنُ[1]

يقول : نفسى أحبّ إلى من النساء اللّاتى فى هوادجكُمْ ، فكيف أفْنيها شوقًا إليهنّ ولا عوض لى فيهن ؟! وليس فى الهوادج ثمن لمهجتى[2] .

٩- يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلٌّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ

يخاطب سيف الدولة يقول : كل منّا مرهون بالموت فلا شماتة فيه لأحد[3] ومثْله للفرزدق قوله :

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا[4]

١٠- كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْمُتُّ عِنْدَكُمُ؟ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَزَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ

(١) ع : هذا البيت والبيت الذى قبله رقم (٧) وضعا خلف بعضهما مباشرة وشرح البيت الثانى منهما فقط ، وبعد ذلك وضع شرح البيت رقم (٩) للبيت رقم (٨) وهكذا استمر الاضطراب فى هذا إلى البيت رقم (٢٠) وسنشير إليه فى مكانه .

(٢) ق : « ثمن مهجتى » .

(٣) يرى الأستاذ شاكر فى هذه الأبيات (١ - ١٠) أدلة كثيرة على ما ذكره وذكرناه قبل ذلك من حب « خولة » أخت سيف الدولة للمتنبى . انظر المتنبى ١ /٢٤٧ .

(٤) الحماسة رقم ٤٥٢ وعيون الأخبار ٣ /١١٤ ومحاضرات الأدباء ٢ /٥٠٠ وغير منسوب فى زهر الآداب ٢ /١٥٤ والمحاسن والمساوئ ٢ /٣٥ .

يقول : كم مرّة أُخبِرتَ بموتى وقتلى وأنا حيٌّ ، فبطل ما تمناه المرجفون وزالت أراجيفهم .

١١- قَدْ كَانَ شَاهِدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمِ جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا

يقول : قد كان جماعة قبل مَنْ[1] أخبرك الآن بموتى ، زعموا أنهم شاهدوا دفنى ، ثم ماتوا وأنا حيّ ، فكذلك يموت هؤلاء وأبقى أنا حيًّا .

١٢- مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِى الرِّيَاحُ بِمَا لاَ تَشْتَهِى السُّفُنُ

يقول : ليس كل ما يشتهيه الإنسان يصل إليه ، فإن الأقدار لا تجْرى على وِفْق الإرادات ، كما أن الرّياح إنما تهبّ على طبْعها لا على ما يختاره أصحاب السفن ، وهذا تعريض بسيف الدولة .

[يقول] : إن الأمر ليس كما تحبّه من موْتى ، فإنى ربّما عشت بعدَكَ .

ويجوز فى « كُلّ » النصب بإضمار الفعل يفسّره[2] الظاهر ، وهو « يدركه » أى : ما يدرك المرء كلَّ ما يتمنّاه وهذا هو الاختيار[3] لأجل النفى ، كالاستفهام .

ويجوز فى « كُلّ » الرفع بالابتداء وما بعدها خبرها . هذا فى لغة تميم ، وفى لغة أهل الحجاز رفع لأنه اسم « ما » وما بعدها خبرها .

١٣- رَأَيْتُكُمْ لاَ يَصُونُ الْعِرْضَ جَارُكُمُ وَلاَ يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمُ اللَّبَنُ

يقول : مَنْ جَاوَرَكم[4] لا يصون عِرْضه عن الذلّ والأذى ، وليس عندكم مرعًى خصيب يُدِرّ عليه اللّبن .

يعنى : لا خير عندكم نصبر لأجله على الأذى .

١٤- جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمُ مَلَلٌ وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمُ ضَغَنُ

---

(١) ق : « ممن » والضمير فى « قولهم » يعود إلى الناعين .

(٢) ق : « يفسره » مكانها بياض . (٣) أى اختيار النصب فى « كلّ » .

(٤) ق : « من جواركم » . ع : « حاولكم » تحريفات .

يقول : مَنْ قرب منكم مَلَلْتُمُوهُ ، فجزاء قربه منكم الملل ، ومن أحبكم جازيتموه بالحقد عليه .

١٥- وَتَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِنَنُ

يقول : إذا أحسنتم إلى إنسان نغّصتم إليه نعمكم[1] حتى يصير التّنغّص والمَنّ عقوبةً عليه .

١٦- فَغَادَرَ الْهَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ بَهْمَاءَ تَكْذِبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ

« البَهْماء » : الأرض البعيدة التى لا يُهْتَدَى فيها .

يقول : لما جربت أحوالكم هجرْتكم وبعدتُ عنكم ، وجعلت بيْنى وبيْنكم فلاةً بعيدةً تكذب [فيها] العينُ فترى خيالاتٍ لا حقيقة لها ، وتسمع [فيها] الأذن أصواتًا لا حقيقة لها أيضًا .

١٧- تَحْبُو الرَّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ عَنْ أَخْفَافِهَا الثُّفِنُ

« الرّواسِم » : النوق التى تسير الرّسيم ، وهو ضرب من السير ، الواحدة راسمة « والثفن » : جمع ثفنة وهو ما غلظ من جلد البعير[2] إذا لاقى الأرض من اليَدَيْن والرّكبتين .

يقول : إذا سارت الإبل فى هذه اليَهْماء[3] حفيت أخفافها لشدّة السير فيها ، فتحبوا على ثفناتها وتجرى عليها ، حتى تسأل الثّفنات الأرضَ فتقول : ما فعلت أخفاف هذه الإبل التى كانت تكفينا ملاقاتك ؟ !

١٨- إِنِّي أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي كَرَمٌ وَلَا أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي جُبُنُ

---

(١) ع : « إليه نعمكم بالبغض » .

(٢) ق : « ثفن » ثم بياض وفيها : « وهو ما غلظ جلد البعير » . شو : « ما غلظ ما جلد » .

(٣) ع : « اليهماء » .

يقول : أحلم ما دام الحلْم منِّى منسوبًا إلى الكرم ، فأما إذا كان منسوبًا إلى الذلّ والجُبْن لم أصبر عليه .

١٩-وَلاَ أُقِيمُ عَلَى مَالٍ أُذَلُّ بِهِ وَلاَ أَلَذُّ بِمَا عِرْضِى بِهِ دَرِنُ

يقول : لا أختار المال مع الذلّ ، ولا أستلذ بما يورّثنى العيب ويؤدّى إلى دناءة الطبع ولؤم العِرْض[١] .

٢٠-سَهَرْتِ بَعْدَ رَحِيلِى وَحْشَةً لَكُمُ
ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِى وارْعَوَى الْوَسَنُ[٢]

« المرير » جمع المريرة وهى القوة من الحَبْل[٣] . يقال : استمر فلان على مريرِه : أى جرى على عادته التى أمرّ عليها[٤] .

يقول : لما فارقتكم سهرْتُ[٥] وحشةً لفراقكم ، فلما طالت الأيام نسيتكم وتسلّيت عنكم وعاد النوم إلى عينى .

٢١-وَإِنْ يُلِيتُ بِوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُمُ فَإِنَّنِى بِفِرَاقٍ مِثْلِهِ قَمِنُ

يقول : إن عاملنى كافور بمثْل ما عاملتمونى به ، وجرى على عادتكم فى الأذى ، فارقته كما[٦] فارقتكم . ومثله :

وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلِ[٧]

---

(١) ع : إلى هنا ينتهى اضطراب الشرح .

(٢) ع : « الأسن » تحريف .

(٣) فى النسخ : « وهى القوية من الخيل » تحريف . وفى اللسان . المرير : ما لطف وطال واشتد فتله من الحبال وجمعه : مرائر .

(٤) أى التى أحكمها . انظر اللسان .

(٥) ق : « سهوت » تحريف .

(٦) ع : « مثل » .

(٧) هذا عجز بيت نسب إلى عبد قيس بن خفاف النميمى وصدره :

احْذَرْ مَحلّ السُّوء لا تَحْلُلْ بِهِ

انظر حماسة البحترى ١٧٩ وحماسة ابن الشجرى ٣٦ وفيه : « فإذا نبا » وحماسة أبى تمام رقم ١٠ .

٢٢-أَبْلَى الأَجِلَّةَ مُهْرِى عِنْدَ غَيْرِكُمُ وَبُدِّلَ الْعُذْرُ بِالْفُسْطَاطِ والرَّسَنُ

« الأجلّة » : جمع الجِلال . و « العُذْر » جمع العذار[١] .

يقول : طال مقامى عند غيركم لإكرامه إيّاى ، حتى أبلى مهرى الأجِلَّةَ جَلاًّ بعد جَلٍّ ، وبدّل[٢] عليه عذار بعد عذار ، فلم يملّنى كما مللتم أنتم مقامى عندكم .

٢٣-عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِى الْمِسْكِ الَّذِى غَرِقَتْ
فِى جُودِهِ مُضَرُ الْحَمْرَاءُ وَالْيَمَنُ

يقول : أقمتُ عند كافور الّذى عم جوده جميع [٣١٧ - ا] العرب مضريّهم ويمنيهم . وإنما سميت مضر الحمراء ؛ لأنّ نزار[٣] لما مات وتحاكم أولاده وهم : ربيعة[٤] ، ومضر[٥] ، وإياد[٦] ، وأنمار[٧] ، إلى جُرْهم فى قسم ميراثه[٨] ، فأعطى ربيعة الخيلَ ؛ فسمى أولادَه : ربيعة الفرس . وأعطى مُضَرَ الإبل الحُمر ، وقيل أعطاه الذهب ؛ فسمى أولاده مضر الحمراء[٩] .

٢٤-وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنِّى بَعْضُ مَوْعِدِهِ فَمَا تَأَخَّرَ آمَالِى وَلاَ تَهِنُ

---

(١) والمراد به : ما سال على خد الفرس من اللجام .

(٢) ق ، ع : « وبذل » .

(٣) نزار : أبو العرب وهو - فيما يقال - نزار بن معد بن عدنان بن إسماعيل .

(٤) ومنهم بنو حمدان .

(٥) ومنهم قريش .

(٦) منهم قس بن ساعدة حكيم العرب وكعب بن مامة . ويقال إن قبائل إياد دخلت على الفرس وجهلت أنسابهم .

(٧) أما نسب أنمار بن نزار بن معد بن عدنان فقيل : إنه لم ينسل ، وقيل : إنه درج فى قحطان . انظر فيما تقدم طرفة الأصحاب ٤٠ و ٥٧ .

(٨) ق ، ع : « إلى الجرهمى من قسم ميراثه » .

(٩) وأعطى إياد الإبل ؛ فسمى إياد النَّعَم . وما فضل من سلاح وأثاث أعطى أنمارا ، فسمى أنمار الفضل . الواحدى . واليَمَن : ليسوا من أولاد مضر فلذلك أفردهم

يقول : إن تأخر عنّى بعضُ ما وعدنى به[١] من الولاية وغيرها ، فإنّ أملى فيه فى غاية القوة . وهذا استبطاء وعتاب .

٢٥- هُوَ الْوَفِيُّ وَلَكِنِّى ذَكَرْتُ لَهُ مَوَدَّةً فَهْوَ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ

يقول : هو يفى بما وعدنى ، ولكنّى ذكرت إظهارَ المودّة التى يُختبر بها ويمتحن[٢] .

يعنى : كنت أظهر له المودّة فأذكرها ، فهو يمتحن ما ذكرته من المودّة فيؤخّر موْعِدِى تجربة لمودّتى له[٣] .

ويروى : بدل « ذكرت » « بذلت » .

(٢٥٥)

ومما قاله بمصر [فى الحِكَم] ولم ينشده الأسودَ ولم يذكرهُ فيه[٤] .

١- صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا

يقول : صحب النّاس قبلنا هذا الزّمان ، وأهمّهم من أمر هذا الزمان ما أهمّنا منْه .

٢- وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْـ ـهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَانَا

يقول : كل من مضى قبْلنا ، مضى وفى قلبه غُصّة [من] الزّمان[٥] ، وإن سرَّ

(١) ع : « بعض موعده مما وعدنى به » .

(٢) ق : « التى تختبر بها ويمتحن بها » . ع : « ويمتحنها » .

(٣) ع : « فيؤخر موعودى تجربة مودتى له وروى » .

(٤) ع : « ومما قال بمصر أيضا . . . . » . الواحدى ٦٧١ : « ومما قال بمصر ولم ينشدها الأسود ولم يذكره فيها » . « التبيان ٤ /٢٣٩ : « وقال بمصر ولم ينشدها كافوراً » . الديوان ٤٧٠ : « ومما قالها بمصر ولم ينشدها الأسود ولم يذكره فيها » . العرف الطيب ٥١١ .

(٥) الغصة : المراد بها ما يتجرعه الإنسان من مرارات الزمان وهى فى الأصل ما اعترض فى الحلق من طعام أو شراب . انظر اللسان .

بعضًا فى وقت . ومثله للآخر قوله :

كُلُّ بَيتُ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى غَصَصِ[١]

٣- رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لَيَالِيـ ـهِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الإِحْسَانَا

الهاء فى « لياليه » تعود إلى الزمان. يعنى : تحسن ليالى الزمان الصنيعَ[٢] .

يقول : إن الزّمان يمزج الإحسان بالإساءة والتكدير .

يعنى : أن الزمان إذا أحسن [أوّلا كدر وأساء آخرًا ، هذه عادته ، يعطى ثم يرجع وإذا أحسن لا يتم الإحسان][٣]

٤- وَكَأَنَّا لَمْ نَرْضَ فِينَا بِرَيْبِ الدْ دَهْرِ حَتَّى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا

يقول : لم يكْفنا ما نقاسيه من حوادث الزّمان ، حتى أعانه عليها حسَّادُنا وأعداؤنا ، فصاروا أعوانًا للزمان على الإساءة إلينا[٤] .

٥- كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً رَكَّبَ الْمَرْءُ فِى القَنَاةِ سِنَانَا

يقول : إذا أنْبت الزَّمان قناةً : أى كيْدًا أوْ شرًّا يطلب به هلاكنا ، ركَّب الإنسان فى تلك القناة السِّنان[٥] فيصيّرها رمحًا .

يعنى : أنّ الإنسان يُتِمّ أمْرَ الدَّهْر فى الإيقَاع بِنَا .

٦- وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى[٦]

يقول : ما يريد الإنسان من هذه الدنيا من المأكول والملبوس والنِّعم ، أحقر من

---

(١) الغصص بالفتح : مصدر غَصَّ . وبالضم جمع غُصَّةٍ .

(٢) ق ، ع ، مو : « يعنى تحسن ليالى الزمان الصنيع » هذه العبارة فى آخر شرح البيت .

(٣) ما بين المعقوفتين بياض فى ق ، شو والتكملة من التبيان .

(٤) ق : « علينا » .

(٥) ع : « السنان » مهملة . والمراد بالقناة : عود الرمح . والسنان : زج الرمح الذى يطعن به . فجعل القناة مثلا لنكاية الدهر ، والسنان مثلا لنكاية العدو .

(٦) الديوان والعرف الطيب : « تتعادى . . . تتفانى » رواية .

أن يقْتُل بعضنا بعضًا لأجله ؛ لأنه لا يدوم لأحد .

٧- غَيْرَ أَنَّ الْفَتَى يُلاَقِي الْمَنَايَا كَالِحَاتٍ وَلاَ يُلاَقِي الْهَوَانَا

« كَالِحَاتٍ » أى عابسات ، وقيل : شديدات ، وهى نصب على الحال .

يقول : إن الدنيا لا قَدْر لها ، ولكن احتمال [الهوان] أصعب من ملاقاة الموت .

٨- وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ لَعَدَدْنَا أَضَلَّنَا الشُّجْعَانَا

يقول : لو كانت الحياة تدوم ، لكان الشُّجعان الذين يتعرّضون للقتل أكثر الناس ضَلاَلاً وأغبنهم رأيًا .

٩- وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ فَمِنَ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا

يقول : فإذا كانت الحياة منقطعة بالموت ، والموت لا محيص عنه بحال ، والجُبْن لا يُنْجى[1] منه ، فاستعمال الجُبْن هو العجْز والذلّ .

١٠-كُلَّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الأَنْـ
ـفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا

« ما لم يكن » : أى ما لم يقع .

يقول : إن كل ما لم يقع مما يستصْعب فى النّفوس ، فهو سهل إذا وقع .

(٢٥٦)

وكان[2] الأستاذ أبو المسك اصطنع شبيبًا بْنَ جرير العقيلىّ[3] فقلّده عَمَّان

(١) ع : « لا ينجيه » .

(٢) ق : « وكان » ساقطة . واختلط شرح البيت رقم (١٠) بهذه المقدمة . وفى ع بعد شرح البيت « ودخل شيبان بن جرير العقيلى عَمَّان والبلقان وما بينهما . . . . » إلخ .

(٣) شبيب هذا من القرامطة الذين حصلوا على الأمان من سيف الدولة . فلما استأمن ولى معرة-

والبلقاء[١] وما بينهما من البَرّ والجبال ، فعَلتْ منزلته وزادت رتْبتُه واشتدّت شوكته وغزا العربَ فى منابتها ، من السماوة[٢] وغيرها ، واجتمعت العرب إليه وكثر مَنْ حوله وطمع فى الأسْود وأنف من طاعته ، فسوّلت له نفسه أخْذَ دمشْق والعصيانَ بها ، فسار إليها فى نحو عشرة آلاف ، وقاتله أهلُها وسلطانُها واستأمن إليه جمهور الجنْد[٣] الذين كانوا بها ، وغلّقتْ أبْوابَهَا واستعصموا[٤] بالحجارة والنُّشّاب ، فترك[٥] بعضَ أصحابه على الثلاثة الأبواب[٦] التى تلى المصلّى ليشْغلَهم بهم ، ودار هو حتى دخل على القوّات[٧] ، حتى انتهى إلى باب الجابية ، وحال بين الوالى وبين المدينة ليأخذها .

وكان يقْدُم أصحابَه ، فزعموا أن امرأة دلّتْ على رأسه صخرة[٨] . واختلف الناس فى أمره . فقال قوم : وقعت يدُ فرسه فى قناة ولم تخلص يدها فسقط ، وكان مكسور الكتف والترقوة بسقطةٍ سقطها عن الفرس فى الميدان بعمّان قبل ذلك بقليل ، وسار إلى دمشق قبل تمام الانجبار[٩] وذكَروا أنه سار من سقْطته فمشى ميلين ، ثم غُلِب فجلس وضرب بيده ألمًا[١٠] إلى قائم سيفه وجعل يَذُبّ

النعمان دهرا طويلا ، ثم سار إلى مصر فاصطنعه كافور وكان منه ما ذكر فى هذه المقدمة . انظر ابن جنى فى إحدى نسخ الديوان الحاشية ٤٧١ والواحدى فى شرحه للبيت رقم (١٢) والتبيان فى شرح البيت (٥) من القصيدة .

(١) البلقاء : منطقة فيها قرى كثيرة ومزارع واسعة ، وهى من اعمال دمشق وقصبتها عمان . مراصد الاطلاع « بلقاء » .

(٢) بادية بين الكوفة والشام . وفى ع والديوان : « فى مشاتيها » مكان « فى منابتها » .

(٣) ع : « الحيل » تحريف . (٤) ع : « واستعضوا » .

(٥) ع : « فنزل » . (٦) ع : « الثلاثة الأبواب » .

(٧) ع : « القنوات » . وفى مقدمة الديوان « وماهو حتى دخل من الحميريين على القنوات » .

(٨) وقال الشارح فى شرحه للبيت رقم (٩) إنها رمت بحجرة ملآنة عذرة وفى شرحه للبيت رقم (١٠) يقول : يقال : إنها دلت ساقطة على رأسه حجرا من سور دمشق .

(٩) ع : « والانحبال » تحريف .

(١٠) ع : ومقدمة الديوان : « أنا » .

حوله ، وكان شرب وقت ركوبه سُويْقًا ، فزعم قومٌ أنه طُرِح له فيه شيء ، فلمّا سَارَ وحميَ عليه الحديد وازدحم النّاس حوله عمل فيه ، غير أنه سقط ولمْ ير أثر شيء من السّلاح ولا الحجارة التى[1] أصابته ، وكثر تعجب الناس منه ومن أمره ، حتى قال قوم : كان يتعهده صَرْع[2] فأصابه ذلك فى تلك الساعة .

وانْهزم أصحابُه لما رأوْا ذلك ، وخالفوا الموضع الذى دخلوا منه[3] ، وأرادوا الخروج منه معه[4] فقُتِل منهم أربع مئة فارس وبضعة عشر ، وأُخِذَ رأسُه ، ووردت الكتب إلى مصر بخبره يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة وطالب الأسود أبا الطّيب بذكره فقال ، وأنشدها يوم السبت لست[5] خلون منه[6] .

١- عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانِ وَلَوْ كَانَ[7] مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ

القمران : الشّمس والقمر[8] .

يقول : كل من عاداك فهو مذْمومٌ عند كلِّ أحد ، حتى أنّ الشمس والقمر لو عادَيَاك لذَمها جميعُ النّاس :

يعنى : أن الخلق أجمعوا على فضلك وإقبال دولتك ، حتى أن من عاداك لم يوجد فى جميع الأمم من يحمده .

---

(١) ع : ومقدمة الديوان : « التى » ساقطة وفيها « ومن السلاح والحجارة أصابه » .

(٢) الصَّرْع ، بتسكين الراء المهملة : علة فى الجهاز العصبى تصحبها غيبوبة وتشنج فى العضلات .

(٣) ق ، شو : « دخلوا » ساقطة . ع : « دخلوا فيه » .

(٤) « معه » عن ع ومكانها بياض فى ق ، شو .

(٥) ع : « فقام وأنشد فى يوم السبت لست خلون من جمادى الآخرة » .

(٦) الواحدى ٦٧٢ : « وقال يذكر خروج شبيب العقيلى سنة ٣٤٨ » . التبيان ٤ /٢٤٢ : « وقال يذكر شبيب ومحالفته كافورًا » . الديوان ٤٧١ - ٤٧٢ مثل هذه المقدمة مع اختلاف يسير أشرنا إلى بعضه . العرف الطيب ٥١٢ .

(٧) فى النسخ « وإن كان » والمذكور عن الواحدى والديوان والتبيان .

(٨) يقال القمران : تغليبًا لأحدهما على الآخر كقولهم : العُمَران : أبو بكر وعمر بن الخطاب .

وقد صُرِف هذا المعنى إلى الذمّ كأنه قال : أنت رذل ساقط ، ومن كان كذلك [٣١٨ - ا] لا يعاديه إلاّ مثله ، فإذا كان من يعاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان ، حتى لو عاداك القمران لكانا مذمومَيْن بمساجلتهما إياك[١] .

٢- وَللهِ سِرٌّ فِي عُلاَكَ وَإِنَّمَا كَلاَمُ الْعِدَى ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَيَانِ

يقول : للهِ تعالى سِرٌّ بِمَا أعْلى قدرك ، وإنما رفع قدرك[٢] لِمَا علم من فضلك ، فكلام العِدَى لا معنى له مع إرادة الله تعالى .

وقد صرف إلى الهجْو .

وقيل : أراد أن الله تعالى إنما بلغك هذه المنزلة ليغيظ[٣] بك الأحرار ، وليعلم النّاس أن الدنيا لا قَدْرَ لها عند الله تعالى ، إذ لو كان لها قدْر لما مكّنك[٤] منها مع حقارتك ومهانة قدرك .

٣- أَتَلْتَمِسُ الأَعْدَاءُ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ قِيَامَ دَلِيلٍ أَوْ وُضُوحَ بَيَانِ ؟!

يقول : قد ظهر للأعداء دليلٌ على ما قلت :«إن للهِ تعالى سرٌّ فى علاك»بموْت شبيب حين غَدَرَ بك ، فهل يطلبون[٥] دليلاً أوضح من هذا ؟!

٤- رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِى لَكَ الْغَدرَ يُبْتَلَى بِغَدْرِ حَيَاةٍ أَوْ بِغَدْرِ زَمَانِ

يقول : رأتِ الأَعْدَاء كُلَّ من يغدر بك مغدورًا به ، إما من جهة الحياة [بالموت] أو من جهة الزمان بالذلّ .

٥- بِرَغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ وَكَانَا عَلَى الْعِلاَّتِ يَصْطَحِبَانِ

علاّت الدّهر : حوادثه .

---

(١) ع : « بمشاحنتها إياك » .

(٢) ع : « وإنما رفع قدرك » ساقطة انتقال نظر .

(٣) ع : « ليغبط » تحريف .

(٤) ع : « أمكنك » .

(٥) فى النسخ « فهم يطلبون » إلخ .

يقول : إن السيف فارق شبيبًا على رغمٍ منه ، بعد أن كان لا يفارقه فقُتِل بسيفه على ما يقال .

٦- كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ : رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِي

قَيْسٌ : من عدنان . واليمن : من قحطان . وبينهما عداوة قديمة وتارات وكيدة وهذا الرجل كان من قيس عيْلان ، والسيوف [الجيدة] تنسب إلى اليمن .

يقول : كأنّ رقاب النّاس لما تبرّمت بقطع شبيب لها ، أغْرت بينه وبين سيفه ليقتله حتى تسلم الرقاب من شره فقالت له : لِمَ تصحبه ؟ ! وأنت يمانى وهو قيسى ، وبين قيس واليمن تلك الحروب والتارات ، فبان من يده وضرب عنقه وأخذ منه ثأر اليمن عند قيس .

وأراد أن يذْكر سبَبَ قتله بسيفه[1] فعبر عنه بأحسن عبارة .

٧- فَإِنْ يَكُ إِنْسَانًا[2] مَضَى لِسَبِيلِهِ فَإِنَّ الْمَنَايَا غَايَةُ الْحَيَوَانِ

اسم«كان»مضمر : أى إن كان شبيب إنسانًا مات ، فالموت غاية كلّ حىّ ، فضلاً عن كل إنسان .

فهذا كالمرثية له .

٨- وَمَا كَانَ إِلاَّ النَّارَ فِى كُلِّ مَوْضِعٍ يُثِيرُ غُبَارًا فِى مَكَانِ دُخَانِ

يقول : كان فى أيّام حياته نارًا فى المواقع ، وكان يثير الغبار بدل الدُّخان . جعله نارًا وغبارَ المعركة دُخانًا .

٩- فَنَالَ حَيَاةً يَشْتَهِيهَا عَدُوُّهُ وَمَوْتًا يُشَهِّى الْمَوْتَ كُلَّ جَبَانِ

يقول : عاش فى حياةٍ نكِدَة منغّصة يشتهيها كلّ عدوّ له ، ومات موتةً قبيحةً تمنى الجبان أن يموت قبل أن يصير[3] إلى مثل حاله .

---

(١) فى النسخ : « سبب قتل سيفه » .

(٢) فى النسخ : « إنسان » .

(٣) ع : « أن يضمر » تحريف .

قيل : قنطر به[١] فرسُه . وقيل : إن امرأة رمته بحجّة ملآنة عذرة .

وقيل : إن هذا البيت مرثية له .

يقول : إنه عاش فى عزٍّ وعلاءٍ يتمناه العدوّ لنفسه ، ومات [٣١٨ - ب] موْتًا يشجع الجبان[٢] ؛ لأنه إذا علم أن الموت لا محيص عنه ، وأن تحرزه لا ينجيه منه ، اشتهى الموتَ فى القتال .

١٠- نَفَى وَقْعَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ بِرُمْحِهِ وَلَم يَخْشَ وَقْعَ النَّجْمِ والدَّبَرَانِ

يقول : دفع رماح الأبطال عن نفْسه برمْحه ، لمّا خَشِىَ أن يصل إليه من جهتهم قتل أو جرح ، ولم يخْش أن ينزل إليه الموت من السماء .

يعنى : استبعد الموت من الجهة التى أتاه منها ، كما يستبعد وقع النجوم من السماء[٣] . وذلك أن امرأة دلّت على رأسه حجرًا من سور دمشق ، وقيل : سقطت به فرسه . يعنى لم يكن يخشى ذلك .

١١- وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ مُعَارَ جَنَاحَىْ[٤] ، مُحْسِنَ الطَّيَرَانِ

شَوَاته : أى جلدة رأسه .

يقول : لم يعلم أن الموت نجمٌ أعير جناحًا[٥] طائِر ، وأنه يَعْلَمُ الطّيران فيهتدى[٦] إليه .

---

(١) ع : « فضربه » .

(٢) يذكر الواحدى والتبيان والعرف الطيب السبب فيقولون: ذلك لأن الموت كان من غير علة ولا ألم .

(٣) تذكر المصادر السابقة . المعنى أنه لم يجر فى حسابه مناحس الفلك . والنجم ، والدبران من مناحس النجوم فى حساب المنجمين وزعمهم . وأراد بالنجم : الثريا . والدبران : خمسة كواكب من الثور يقال إنها سنامه وهو من منازل القمر ، وقيل : نجم كبير فى عين الثور .

(٤) الواحدى والتبيان والديوان : « جناحِ » وفى شرح التبيان : ويروى جناحى وجناحِ .

(٥) النسخ « جناحى » .

(٦) النسخ « يهتدى » وقالت المصادر السابقة : وهذا معنى ما قيل : إن امرأة ألقت عليه من فوق رأسه رحًا من سور دمشق .

١٢-وَقَدْ قَتَلَ الأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِأَضْعَفِ قِرْنٍ ، فِي أَذَلِّ مَكَانِ

يقول : لم يزل يقتل الأبطال حتى قتلته الأقران بأضعف قِرْنٍ[١] فى أخسّ مكان[٢] وأذله . يعنى : المرأة التى دلّت عليه الرّحى[٣] .

١٣-أَتَتْهُ الْمَنَايَا فِي طَرِيقٍ خَفِيَّةٍ عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعِيَانِ

يقول : أتاه الموت من حيث لا يشعر به هو ولا أصحابه[٤] فكأنّه جاء فى طريق خفىّ على كلّ أحد ممّن حوله .

١٤-وَلَوْ سَلَكَتْ طُرْقَ السِّلَاحِ لَرَدَّهَا بِطُولِ يَمِينٍ وَاتِّسَاعِ جَنَانِ

الجنان : القلب . والهاء فى « ردّها » للمنايا .

يقول : لو جاءته المنايا من طريق الحرْب لردّها عن نفسه بطول يمينه وسعة قلبه .

١٥-تَقَصَّدَهُ الْمِقْدَارُ بَيْنَ صِحَابِهِ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانِ

« تَقَصَّدَهُ » : قيل : قصده ، وقيل : قتله .

يقول : قصد موتَه أو أجلَه القدَرُ[٥] . وهو بين أصحابه ، واثق من دهره آمن من صروفه[٥] .

١٦-وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشُ الْكَثِيرُ الْتِفَافُه
عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانِ ؟

---

(١) القرن « بالكسر » : الكفء فى الحرب .

(٢) قال الواحدى قوله : « بأضعف قرن » يعنى السم . « فى أذل مكان » : فى غير الحرب ومعركة القتال . (٣) ع : « الرمى » تحريف .

(٤) ق ، شو : « من حيث لم يشعر به أصحابه هؤلاء » .

(٥) ع : « رواحله المقدر » تحريف . . . « من حزونه » .

« التفافه » : أى اجتماعه .

يقول : إذا لم يكن الإنسان منصورًا من جهة الله تعالى ، فلا ينفعه كثرة جيشه واجتماعه[١] .

١٧- وَدَى مَا جَنَى قَبْلَ الْمَبِيتِ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَدِهِ بِالْجَامِلِ الْعَكَنَانِ

« وَدَى » : أى أعطى الدّية . وفاعله : ضمير شبيب . و « مَا جَنَى » مفعوله .
و « الجامل » : اسم موْضع لجماعة الجمال . مثل الباقر : لجماعة البقر .
و « العَكَنان » : الكثير .

يقول : أعطى دية من قَتَله من الأقران [قبل دخول الليل] بنفسه[٢] ولم يعط ديتهم بالإبل الكثيرة[٣] .

١٨- أَتُمْسِكُ مَا أَوْلَيْتَهُ يَدُ عَاقِلٍ وَتُمْسِكُ فِي كُفْرَانِهِ بِعِنَانِ ؟

يقول : كيف تمسك يد العاقل إحسانَك ثم يكفره ؟ ! وتمسكُ يدُه العِنان لمحاربتك[٤] ! يعنى لا يفعل هذا عاقل ، وإن رامه خذلته يدُه .

وعطف « تُمْسِكُ » على « تُمْسِكُ » ولو نصب الثانى لجاز . كقولك : أتأكُلُ السَّمَكَ وتشربَ اللَّبن[٥] .

١٩- وَيَرْكَبُ مَا أَرْكَبْتَهُ مِنْ كَرَامَةٍ وَيَرْكَبُ لِلْعِصْيَانِ ظَهْرَ حِصَانِ !

---

(١) ضربه مثلا لكثرة جيش شبيب وأنه لم ينتفع بكثرته وإنما الانتفاع بنصر الله .

(٢) ع : « من الأقران إن جاد بنفسه » وما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها المقام .

(٣) المراد : صار بهلاك نفسه ، كأنه أدّاها دية إلى من قتله .

(٤) ع : « ويمسك يدَه العنان لمحاربته » .

(٥) فى النسخ « لا تأكل السمك » إلخ والمذكور عن التبيان والبيت استفهام « وأتمسك » . وذلك على اعتبار أن الواو للمعية أو المصاحبة ، والمضارع ينصب بعدها إذا سبقها نفى أو استفهام وهى هنا مسبوقة باستفهام فمن هذا جاز الرفع على القطع كما فى بيت المتنبى وتكون للعطف والنصب على المعية لتوفر شرط النصب . انظر شرح ابن عقيل ٤ /١٧ عند الكلام على نواصب الفعل المضارع .

طريقة الإعراب فى يركب الثانى مثل ما ذكر فى جواز الرفع والنصب[١] .

يقول : كيف يجمع عاقل بين ركوب كرامتك وركوب فرسه لمحاربتك ؟!

[٣١٩ - ١]

٢٠- ثَنَى يَدَهُ الإِحْسَانُ حَتَّى كَأَنَّهَا وَقَدْ قَبَضَتْ[٢] كَانَتْ بِغَيْرِ بَنَانِ

يقول : إحسانُك قبض يده عن معصيتك ، فكأنها وقد قَبَضت السّيف والعِنان ليس لها أصابع وبنان .

٢١- وَعِنْدَ مَنِ الْيَوْمَ الْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ ؟ شَبِيبٌ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخَوَانِ

يقول : مَنْ يفى اليوم لصاحبه ؟[٣] فأوفى الناس مثْل شبيب فى غدره[٤] . وهذا معنى قوله : « شَبِيبٌ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخَوَان »[٥] يعنى أوفى الناس أخو شبيب : أى مثله ، وأراد أنهما ميِّتان . وقيل : « أخوان » : أى متشابهان فى العلّة متشاكلان فى الطّبْع كالأخوَيْن .

٢٢- قَضَى اللهُ يَا كَافُورُ أَنَّكَ أَوَّلٌ وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِي

يقول : إن الله تعالى قد حكم بأنّك الأوّل فى الفضل والسابق إليه ، ولم يحكم بأن يكون لك نظير فى الفضْل .

٢٣- فَمَالَكَ تَخْتَارُ الْقِسِيَّ وَإِنَّمَا عَنِ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقَلَانِ ؟

يقول : لِمَ تختار القِسِيّ وتستعدها ، فأنت لا تحتاج إليها ؛ لأن سعادة جَدّك تَرْمى الجنَّ والإنسَ .

---

(١) فى قوله : « تمسك » الثانية فى البيت السابق « ويركب » معطوفة على « تمسك » .

(٢) الواحدى « قُبضت » بضم القاف ومعناه أن إحسانك رد إليه يده عما امتدت فيه .

(٣) استفهام يدل على النفى . أى ما عند أحد وفاء لصاحبه .

(٤) ع : « فى غروره » .

(٥) « شبيب » : مبتدأ و« أوفى » : معطوف عليه « وأخوان » خبره . يريد لا وفاء اليوم عند أحد . فإن أوفى الناس غادر مثل شبيب فهما فى ذلك أخوان .

٢٤- وَمَالَكَ تُعْنَى بِالأَسِنَّةِ وَالْقَنَا وَجَدُّكَ طَعَّانٌ بِغَيْرِ سِنَانِ ؟

« تُعْنَى » من العناية .

يقول : أىَّ حاجة لك إلى الإعناء[١] بالأسنّة والقنا ، وإقبال دولتك يطعن عنك أعداءك بغير سنان[٢] .

٢٥- وَلِم تَحْمِلِ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نِجَادُهُ وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحَدَثَانِ ؟

يقول : لِمَ تحمل السيف وحوادث الدهر قد أغنتك عنه[٣] ؟ وقيل : أراد بالحَدَثان ؛ قضاء الله تعالى [وقدره] .

٢٦- أَرِدْ لِى جَمِيلاً : جُدْتَ[٤] أَوْ لَمْ تَجُدْ بِهِ فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِىَّ أَتَانِى

يقول : أرِدْ لى[٥] الجميلَ ، فعلته أو لم تفعله ، فإنّ الأيام تبلّغنى إليه[٦] ؛ لأنها لا تفعل إلا ما تريده .

٢٧- لَوِ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ لَعَوَّقَهُ شَىْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ

يقول : لوكرهْتَ دوران الفَلَك ، لعَرَض له ما يمنعه من الدّوران ، وحبَسَه على وفق إرادتك .

وروى هذا البيت برفع « الفَلَك » و « الدَّوَّار » : صفة له ، فيكون مرفوعًا بفعل مضْمَر ، وهذا الظّاهر تفسير[٧] له . كأنه قال : لو خالفك الفَلَكُ لعوّقه .

(١) فى النسخ « تعنى من العناية » . عُنِىَ بالأمر عنًا وعناية : اهتم وشغل به فهو معنى به . تاج العروس .

(٢) ع : « يطعن عنك بغير سنان » .

(٣) هذا إشارة إلى قتل شبيب بغير سلاح فهلك بحوادث الدهر .

(٤) قوله : « جُدْت » أى إن جدت . والجملة حال من ضمير « أرد » . يريد أن القدر يجرى على اقتراحه فإذا أراد له خيرًا أتاه وإن لم يجد به عليه .

(٥) فى النسخ : « أتولى » . (٦) فى النسخ : « إليها » .

(٧) ق . شو : « تغير » تحريف .

وصار « أبْغضْتَ » تفسيرًا له . ولا يجوز رفعه بالابتداء ؛ لأن « لَوْ » لا يقع بعدها إلا الفعل .

ولو نصب « الفلَك » لكان أظهر فى الإعراب ؛ لأنك كنت تضمر فعلاً ، ويكون[١] « أبغضْتَ » تفسيرًا له وتقديره : لو أبغضت سعْى الفلك أبغضت سعيه[٢] فأضمرت الأول لدلالة الثانى عليه .

(٢٥٧)

ونالتْ أبا الطيّب بمصْر حمّى ، كانت تغْشاه إذا أقْبل اللّيل ، وتنصرف عنه[٣] إذا أقْبل النهار بعَرَق ، فقال يصف الحمىّ ويذمّ الأسوَد ، ويعرِّض بالرّحيل ، فشغف الناسُ بها[٤] بمصر ، وأنشدوها الأسْودَ فساءته .

وذلك فى يوم الاثنين لأربع ليالٍ بقين من ذى الحجّة سنة ثمانٍ وأربعين وثلاث مئة[٥] .

١- مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ وَوَقْعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ

المَلُوم : الرّجل الذى يلام .

يقول لصاحبيه[٦] : الرّجل الذى تلومانه (يعنى نفسه) يَجِلُّ عن لَوْمكما

---

(١) ع : « أو يكون » .

(٢) المراد أن « لو » تقتضى الفعل بعدها فوجب أن تضمر فعلا ينصبه . ويكون الفعل الذى نصب « سَعْىَ » المضاف إلى الضمير وهو « أبْغَض » تفسيرًا للمضمر كقولك : لو جارَك أكرمْت ابنه لجازاك عنه .

(٣) ع : « إذا أقبل الليل وتنصرف عنه » مكررة .

(٤) « بها » أى بالقصيدة .

(٥) الواحدى ٦٠٥ : « وقال بمصر يذكر حمى كانت تناله فى ذى الحجة سنة ٣٤٨ » . التبيان ٤ /١٤٢ « وقال يذكر حمّاه التى كانت تغشاه بمصر » . الديوان ٤٧٥ نص المذكور . غير أنه ذكر « وأنشدت » بالبناء للمجهول . بدل : « وأنشدوها » العرف الطيب ٥٢٠ .

(٦) فى النسخ : « لصاحبه » ولكنه يخاطب به اللذين يلومانه على ركوب الأسفار والأخطار فى طلب المجد .

[٣١٩ – ب] فلا تؤذياهُ بملامكما . وكذلك وقْع فعْلِ هذا الرجل الملوم فوق الكلام الذى توجّهانه إليه على سبيل الملام . يعنى : أن فعله أجل أيضًا من أن يُلام عليه .

وقيل : أراد فعل هذا الرجل أجلّ من أن يلحقه الوصف بالكلام ، ويبلغه البيان بالعبارة والمقال .

وقيل : الهاء فى « فَعَالِهِ » تعود إلى « الملام » أى وقع فعل الملام وتأثيره فوق تأثير الكلام .

يعنى : أن الملام يفعل فىَّ فعْلَ السِّهام لا فعل الكلام . وعلى الأول الهاء تعود إلى الملام .

٢– ذَرَانِى وَالْفَلاَةَ بِلاَ دَلِيلٍ وَوَجْهِى وَالْهَجِيرَ بِلاَ لِثَامِ

نصب « الفلاةَ » و « الهجيرَ » لأنّها مفعول « والهجير » : شدّة الحر ، واللّثام : ما يشد على الفم من طرف العمامة .

يقول لصاحبيه : ذرانى مع الفلاة أقطعها بلا دليل ، فإنى دليلٌ لنفسى ، وذَرَا وجهى مع الهجير بلا لثام ، فإن جلدة وجهى تنوب لى مناب اللّثام .

٣– فإنى أَسْتَرِيحُ بِذَا وَهَذَا وَأَتْعَبُ بِالإِنَاخَةِ وَالْمُقَامِ

« بِذَا » إشارة إلى الفلاة ، وذكّره على معنى المكان وروى : « بذى » أى بهذه ، وهو إشارة إلى الفلاة لفظا . « وهذا » : إشارة إلى الهجير .

يقول : أنا أستريح بقطع الفلوات وملاقات الحرّ[1] وأتعب بإناخة المطيّة والإقامة .

٤– عُيُونُ رَوَاحِلِى إِنْ حِرْتُ عَيْنِى وَكُلُّ بُغَامِ رَازِحَةٍ بُغَامِى

(١) ع : « الحر والبرد » .

« البغام » : صوت النّاقة عند التّعب . والرازحة : المُعْيِيَة التى كلّت . وقامت[١] . وله معنيان :

أحدهما ما ذكره[٢] ابنُ جنّى عن أبى الطيب أنه قال : إن حارت عينى فعيون رواحلى عينى ، وبغامهنّ بغامى ، يعنى به طريقَةَ الدّعاء ، فكأنه قال : أنا بَهيمةٌ مثلهنّ إن تحيّرت . كما إذا قال القائل : إنْ فعلتَ كذا فأنت حمار .

والثانى يقول : أنا أقْتدى بعيون رواحلى إن حارت عينى ، فعينها تقوم مقام عينى[٣] .

وقوله : « كُلُّ بُغَام رَازحة بُغَامِى » يعنى : أنى أهتدى بالبُغَام : الذى هو صوت الرازحة ، وأستدِلُّ بصوتها على جادَّةِ الطّريق[٤] ، لأن الروازح لا تَئِنّ إلا على جَوَاد الطريق ، فيكون بغامهنّ بمنزلة بغامى الذى أهتدى به ، ودليل على الطريق .

وقيل : معناه أن صوتها ينوب عن صوتى فى شكوى التّعب .

٥- فَقَدْ أَرِدِ الْمِيَاهَ بِغَيْرِ هَادٍ سِوَى عَدِّى لَهَا بَرْقَ الْغَمَامِ

قيل : إن العرب إذا عدّت للسحاب مئة[٥] برقة ، لم تشك أنها ماطرة فتنتجعها[٦] . وقيل سبعين[٧] برقة .

(١) ق : « رازخة » « والرازخة » بالخاء المعجمة تحريف . ع : « الرازحة : المعيبة » . والرازح من الإبل : الهالك هزالا . « وقامت » هنا بمعنى وقفت مكانها لا تمضى . انظر القاموس « قوم » .

(٢) ع : « ما حكاه » .

(٣) قال المعرى فى تفسير أبيات المعانى فى كلمة « حِرْتُ » : الناس يروون بالتاء . والنون أشبه ، لأنه وصف نفسه فيما تقدم أنه لا يحتاج إلى دليل فوجب أن يقول : إن حارت عينى رواحلى . فعينى نائبة عن عيونها ، لأنها تهديها السبيل والنعام أكثر ما يستعمل فى الظباء وربما استعمل فى النوق . . . . . ومن روى : « حرتْ » بالتاء فله معنى صحيح إلا أنه ينافى قوله : « ذرانى والفلاة بلا دليل » ويكون المعنى معنى الدعاء والقسم . . . . فكأنه أقام ذلك مقام اليمين أو الدعاء على نفسه .

(٤) جادّة الطريق : وسطه وجمعها : جَوادّ .

(٥) فى النسخ : « وإذا عدت فى السحاب مائتى » والتصويب عن رواية ابن السكيت فى الواحدى والتبيان .

(٦) ع : « فتنتجعها من غير دليل » .

(٧) فى النسخ : « أربعين » والتصويب من رواية المعرى عن ابن الأعرابى فى نوادره . ذكر ذلك تفسير المعانى ، وكذلك رواه الخطيب التبريزى فى التبيان ٤ /١٤٣ .

يقول : أنا أعدّ البرقَ وأنتجع مواقع غيثه فيكون عدّى البرق دليلاً على الماء ، فلا أحتاج إى دليل آخر من الناس يدلّنى إليه .

٦- يُذِمُّ لِمُهْجَتِي رَبِّي وَسَيْفِي إِذَا احْتَاجَ الْوَحِيدُ إِلَى الذِّمَامِ

« يُذِمُّ » أى يجعلنى فى ذمّته ، والذّمة هنا : العَزْر[١] .

يقول : إذا سرت فإنّما أسير فى ذمة الله تعالى . وذمّة سيفى ، ولا أحتاج إلى خفير يُجيرُنى إذا احتاج إليه غيرى .

وحكى أنه لما رجع من عند عضد الدولة[٢] وبلغ الأهواز[٣] أحضر خفيرَ العرب وقاطعهم على الخفارة فوقع [٣٢٠-ا] النزاع بينه وبينهم فى نصف دينار ، سألوه زيادة[٤] على مابذل لهم فلم يجبهم إليه ، وضرب فرسه وهو ينشد هذا البيت .

يُذِمُّ لِمُهْجَتِي رَبِّي وَسَيْفِي . . . البيت

فقتل عند دير العاقول[٥] :

٧- وَلاَ أُمْسِي لِأَهْلِ الْبُخْلِ ضَيْفًا وَلَيْسَ قِرًى سِوَى مُخِّ النَّعَامِ

يقول : لا أُمْسى ضيْفَ البخيل ، ولو لم أجد شيئًا البتّةَ . وجعل مخّ النعام كناية عن ذلك ؛ إذ النعام لا مخ لها[٦] .

(١) العَزْر : الإعانة والتقوية والنصر . اللسان « عزر » .

(٢) ستأتى ترجمة له فى أول العضديات .

(٣) الأهواز : إقليم من أقاليم الدولة العباسية يسمى اليوم : بلاد خوزستان وهذا هو الاسم الفارسى القديم له يقع فى شمال غرب إيران يعنى مجاور للعراق وفيه مدينة عبدان . وهذا الإقليم غنى بالبترول ويشتهر بتجارة السكر والأرز والحرير . دائرة المعارف الإسلامية وياقوت .

(٤) ع : « زيادة » مهملة .

(٥) بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخًا وكان على شاطئ دجلة ، أما الآن فقد بعدت دجلة عنه وخرب وبالقرب منه ديرقنى . وسيأتى ذكرهما والحديث عنهما عند مقتل المتنبى انظر معجم البلدان .

(٦) ذكر الدميرى عن ابن خالوية أن النعامة لا مخ لها . حياة الحيوان . فكأنه قال : وليس قِرًى إلا قِرًى معدوما .

٨- وَلَمَّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبًّا جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامِ

« الخِب » : الخديعة .

يقول : لما نافقنى النّاس بالْوِدَاد ، عاشرتهم كما عاشرونى ، وجازيتهم[1] ابتسامًا على ابتسامهم .

٩- وَصِرْتُ أَشُكُّ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الأَنَامِ

يقول : لمّا رأيت النّاس مطبوعين على الغدْر ! صرت أشك فيمن أصطفيه وأثق به من أَهْلٍ أو ولَدٍ ، لمعرفتى أنه[2] بعض الناس ، والغدر قد عمّهم[3] .

وقيل : أراد بمن أصطفيه نفسه ، وهذا بعيد لأن الإنسان لايشك فى نفسه .

١٠-يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ

الوسَام ، والوَسامة ، والميسم : حسن الوجه .

يقول : العاقل يحب من يصطفيه فى الوداد . والجاهل يحب من حَسُن وجْهُهُ .

١١-وَآنَفُ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ

يقول : إن أخى من الأمّ والأب إذا لم يكن كريمًا لجانبْتُهُ وأنفْتُ أن يكون لى أخًا مع لؤمه .

يعنى : لا أصحب إلا كرام الناس وخيارهم .

١٢-أَرَى الأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيرًا عَلَى الأَوْلَادِ ، أَخْلَاقُ اللِّئَامِ

« كثيرًا » : نصب على الظرف ، أى كثيرًا من الأزمنة ، ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف .

---

(١) ع : « وجازيتموني » .

(٢) ع : « بأنه » .

(٣) جاء فى العرف الطيب ٥٣٢ : حكى عن أبى الطيب أنه قال : كنت إذا دخلت على كافور وأنشده يضحك إلىّ ويبش فى وجهى حتى أنشدته هذين البيتين فما ضحك بعدها فى وجهى إلى أن تفرقنا . فعجبت من فطنته وذكائه . ومثل هذا جاء فى إحدى نسخ الديوان الهامشية ٤٧٦ .

يقول : إذا كان الولد لئيمًا حال لؤم الوَلَد بين الوَلد والجدّ ، فينسب إلى اللؤم ، ويعرف به دون الجد ، فيكون كأنّه ولد من اللؤم لا من الأب[١] .

١٣-وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بِأَنْ أُعْزَى إِلَى جَدٍّ هُمَامِ

يقول : لا أرضى من الفضْل والشرف بمجرّد كرم النّسب ، حتى أكتسب لنفسى مفاخر أتشرف بذكرها .

١٤-عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ وَيَنْبُو نَبْوَةَ الْقَضِمِ الْكَهَامِ

« القدّ » : القامة . و « الحدّ » يجوز أن يريد به أن يكون قد بلغ حدّ الرجال ، وأن يريد به الحدّة فى الأمر . و « القضم » : المتكسر . و « الكهام » : الكليل .

يقول : عجبت ممَّن له صورة الرجل الكامل ، وآلة[٢] تبلغه إلى معالى الأمور فلم يبلغ إليها ، وينبو كالسيف الكليل .

١٥-وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِى فَلاَ يَذَرُ الْمَطِىَّ بِلاَ سَنَامِ

« مَنْ » فى موضع جر عطفًا على قوله : « عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ » وقيل : استفهام .

يقول : عجبت مِمَّنْ يجد الطريق إلى المعالى فلا يسير إليها حتى يهزل المطىَّ بسيره ويذيب أسْنِمَتَهَا تحته ، فتبقى بغير سَنَام[٣] ،

١٦-وَلَمْ أَرَ فِى عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا[٤] كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

---

(١) يعنى إذا لؤمت الأخلاق غلبت الأصل الكريم حتى يكون الولد لئيما وإن كان أجداده كرام وذلك كقول الآخر :

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وأُمُّكَ حُرَّةٌ وقدْ تلِدُ الحُرَّان غَيْرَ نَجِيبِ

(٢) ع : « وآلة » مكانها بياض فى ق .

(٣) يشير بهذين البيتين إلى نفسه ويعرض بالرحيل عن مصر .

(٤) فى الواحدى والتبيان والديوان والعرف الطيب : « شيئا » مكان : « عيبا » .

[٣٢٠ - ب] يقول : ليس فى الإنسان عيْب أقبح من أن يكون ناقصًا مع قدرته على الكمال .

وقيل : معناه ليس عيْب أقبح من الكسل .

١٧- أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَلاَ وَرَائِى تَخُبُّ بِىَ الرِّكَابُ وَلاَ أَمَامِى

يقول : بقيت بمصر متبرِّمًا بها فلا أسير عنها متقدّمًا ولا متأخرًا .

١٨- وَمَلَّنِىَ الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنْبِى يَمَلُّ لِقَاءَهُ فِى كُلِّ عَامِ

يقول : طال نومى على الفراش حتى ملَّ الفراشُ منِّى ، وكان جنْبى إذا لقِى الفراشَ فى عامٍ مرّةً واحدة ملّ منه .

١٩- قَلِيلٌ عَائِدِى ، سَقِمٌ فُؤَادِى كَثِيرٌ حَاسِدِى ، صَعْبٌ مَرَامِى[1]

رفع هذا كلّه ليُخْبر أنه على هذه الأوصاف فى الحال دون ما مضى ، إذ لو أراد الماضى لنصب على الحال من « يَملّ لقاءه » .

٢٠- عَلِيلُ الْجِسْمِ مُمْتَنِعُ الْقِيَامِ شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ

« المُدَام » : الخمر . والسُّكر من غير مُدام عبارة عن الشدّة وعظم المحنة . وهذا من قوله تعالى : (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَاهُمْ بِسُكَارَى[2]) .

٢١- وَزَائِرَتِى كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً فَلَيْسَ تَزُور إِلاَّ فِى الظَّلاَمِ

عنى بالزائرة : الحُمَّى ، كأنّها تستحى من أن تزور بالنّهار ، فتأتينى فى الظّلام ؛ لفرط حيائها .

---

(١) العائد : زائر المريض . والمرام : المطلب . يقول : أنا غريب بها لا يعودنى إلا القليل من الناس ، وفؤادى سقيم لتراكم الهموم عليه ، وحسادى كثير لوفور فضلى ، ومرامى صعب لأنى أطلب الملك .

(٢) سورة الحج ٢٢ /٢ .

٢٢-بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَافَتْهَا ، وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي

« المطارف » : أردية من الخزّ ، معلّمة الأطراف ، الواحد مُطرف ، بضم الميم[١] . و « الحشايا » : جمع حشيّة[٢] .

يقول : فرشت لهذه الزائرة الفُرُش الحسنة فكَرِهَتْ أن تبيت عليها ، ولم تقنع بها ، فوصلتْ إلى عظامي وباتتْ فيها .

٢٣-يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ

« عنها » : أي عن الزائرة .

يقول : جلدي يضيق عن احتمال نَفَسي واحتمال الحمىّ ، فوسّعت الحمىّ جلدي ؛ بأنْ أذابته وأكلتْ لحمي ليتسع لها !

٢٤-إِذَا مَا فَارَقَتْنِي غَسَّلَتْنِي كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ

يعني : أنه كان يعرق عرقًا شديدًا إذا أقلعت عنه الحمىّ .

يقول : إن هذه الزائرة إذا فارقتني غسّلتْني بالعرق ، فكأنّا كنّا مقيمين على حرام ، فغسلت له .

وخصّ الحرام لأن الزائرة تكون أجنبية[٣] دون زوجته .

٢٥-كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةٍ سِجَامِ

يقول : إذا جاء الصّبح فارقتني هذه الزائرة ، فكأن الصّبح يطردها عنّي بعد ما ألِفتْني ، فتدمع عينُها جزعًا من ألم الفراق .

جعل عرَقَه دمْعًا يسيل من أجفانها . وقوله : « بِأَرْبَعَةٍ سِجَام » يعني : أن الدمع كان يجرى من طرفي العيْن الذى يلي الأنف والأصداغ ، وكذلك من العين

---

(١) ويجوز كسرها . انظر تاج العروس « طرف » .

(٢) الفراش المحشوة .

(٣) ق ، شو : « حبيبته » .

الأخرى ، فهذه أربعة مجارٍ . و« سجام » : أى جارية .

٢٦-أُرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ مُرَاقَبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ

يقول : أنا أنتظر وقت زيارتها ، كما ينتظر العاشقُ وقتَ زيارة حبيبه ، وليس ذلك من شوقٍ منى إليها [٣٢١-ا] .

٢٧-وَيَصْدُقُ[١] وَعْدُهَا وَالصِّدْقُ شَرٌّ إِذَا أَلْقَاكَ فِى الْكُرَبِ الْعِظَامِ

وروى : « تصدق » يعنى : أن الزائرة تصدق وعْدها . والأوّل أوْلى .

يقول : هى صادقة الوعد ، وليْتها تخلف وعدها[٢] فإن الصدق إذا كان يؤدى إلى المحن العظام فهو مذموم .

٢٨-أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدِى كُلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحَامِ ؟!

بِنْت الدّهر : هى الدّاهية .

يقول للحمّى : يا بِنْتَ الدّهر ، كيف وصلْتِ إلىَّ مع ازدحام حوادث الدهر علىّ وتراكم الدّواهى ؟ !

٢٩-جَرَحْتِ مُجَرَّحًا[٣] لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَكَانٌ لِلسُّيُوفِ وَلا السِّهَامِ[٤]

يقول للحمى : جرحْتِ منّى بدنًا مجرّحًا ، قدعمته الجراحات ، فليس فيه موضع صحيح تجرحه السيوف والسهام .

٣٠-أَلاَ يَا لَيْتَ شِعْرَ يَدِى أَتُمْسِى تَصَرَّفُ فِى عِنَانٍ أَوْ زِمَامِ

يقول : ليت[٥] يَدِى عرفت ، هل تتمكّن من التصرف فى عنان فرسى ، أو

---

(١) ع : « وتصدق » . (٢) ق : « أخلفت وعداً لها » .

(٣) ع : « مخرجًا » . (٤) ق : « مكان للسيوف وللسهام » . ع : « للسيوف ولا للسهام » .

(٥) يقال : « ليت شِعْرِى ما صَنَع فلانٌ » أى ليتنى أشعر . وخبر ليت محذوف أى ليت شعرى واقع . ونحوه .

زمام ناقتى بَعْدها ؟ عند رحيلى من مصر ومفارقتى الأسود .

٣١-وَهَلْ أَرْمِى هَوَاىَ[١] بِرَاقِصَاتٍ مُحَلاَّةِ الْمَقَاوِدِ بِاللُّغَامِ

« اللغام » : الزَّبَد الذى يخرج من فَمِ البعير . و « الراقصات » : الإبل السريعة .

يقول : ليتنى علمت : هلْ أرتحل من مصر وأقصد إلى ما أهواه بإبلٍ راقصاتٍ قد سال لعابها على مقاودها فصار عليها كالحلْية .

٣٢-فَرُبَّتَمَا شَفَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِى بِسَيْرٍ أَوْ قَنَاةٍ أَوْ حُسَامِ

يقول ربَّما[٢] شفيت نَفْسى[٣] ووصلت إلى مرادى إمَّا بِسيرٍ إليه[٤] وإما بسيفٍ أو رمحٍ .

٣٣-وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا خَلاَصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسْجِ الْفِدَامِ

« نسْج الفِدام »[٥] : خرقة من الإبريسم[٦] تشد على فم الإبريق لتصفى الشراب .

يقول : ربما ضاقت علىّ حالةٌ فتخلّصتُ منها بألطف وجه ، فزدْتُ عند ذلك شرفًا ، وزادت أخلاقى تهذيبًا ، وجوهرى صفاء ورونقًا ، كما أن الخمر إذا خلصت من الفدام ازدادت صفاءً ورونقًا[٧] وقريب منه قول الآخر :

---

(١) ق النسخ : « هواه » والمذكور عن الواحدى والتبيان والديوان والعرف الطيب .

(٢) ق : « ربّما » وربّما أى ربما .

(٣) ق : « نفسى » بياض . وشو : « صدرى ونفسى » .

(٤) ق . شو : « إليه » مهملة .

(٥) الفدام : ما يشد على فم الإبريق ونحوه لتصفية ما فيه . « تاج العروس » .

(٦) ع : « ابريسم » والإبريسم : أحسن أنواع الحرير . معربه . « اللسان » .

(٧) ق : من « ورونقا . . . ورونقا » ساقط انتقال نظر .

مَا تَعْتَرِينِى[١] مِنْ خُطُوبِ مُلِمَّةٍ إِلاَّ تُشَرِّفُنِى وَتُعْظِمُ شَانِى[٢]

وفى ذِكر الفدام قول المطرِّز البغدادى[٣] :

وقُبَّلَةٌ هِىَ الخَمْرُ إِلاَّ أَنَّهَا بِفِدَامِ[٤]

٣٤- وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلاَ وَدَاعٍ وَوَدَّعْتُ الْبِلاَدَ بِلاَ سَلاَمِ

يقول : ربّما فارقتُ حبيبى من غير وداع[٥] ، وربّما خرجتُ من البلاد ولم أسلّم على أهلها سلام الوداع . يعنى : أنه هرب من أشياء[٦] كرهها وتخلص من أمور عافها[٧] مرات كثيرة ، فكذلك مفارقته مصر لا يتعذّر عليه .

٣٥- يَقُولُ لِىَ الطَّبِيبُ : أَكَلْتَ شَيْئًا وَدَاؤُكَ فِى شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ

يقول : إذا رآنى الطبيب متغيّر الحال قال : قد أكلتَ شيئًا ضرَّكَ ، فاحْتَمِ[٨] فإن ذلك من الطعام[٩] والشراب .

٣٦- وَمَا فِى طِبِّهِ أَنِّى جَوَادٌ أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الْجَمَامِ

---

(١) ع : « فقال لى ما تعرتنى . . . . » البيت .

(٢) وقد نسب البيت فى الحماسة رقم ٥٤ إلى الأحوص بن محمد . شاعر إسلامى أموى . والشعر والشعراء ٥٠٣ نسب له بهذه الرواية :

ما من مصيبة نكبة أمنى بها إلا تشرفنى وتعظم شانى

وكذلك فى مختار الأغانى ٤ /٥٢٦ .

(٣) هو : عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب أبو القاسم المعروف بالمطرز : شاعر بغداد كثير الشعر سائر القول فى المديح والهجاء والغزل قرأ عليه الخطيب البغدادى أكثر شعره وتوفى سنة ٤٣٩ . انظر تاريخ بغداد ١١ /١٦ .

(٤) ق : مكان البيت بياض . شو : « قبلة » ساقطة .

(٥) فى النسخ : « من غير الوداع » .

(٦) ق : « من شىء كرهها » .

(٧) ع : « عاقته » .

(٨) يقال : احتمى المريض يحتمى : إذا امتنع عما يضره . فاحتم : بمعنى امتنع. انظر اللسان .

(٩) « الطعام » مكانها بياض فى ق . وفى شو « العظام » تحريف .

« الجَمَام » : الرّاحة .

يقول : إن الطبيب لا يعلم أنّ مرضى من طول مُقَامى بمصر ، وتركى لما هو عادتى من السفر ، كما أن الفرس إذا تعوّد السير عليه ، وتحمل الكدّ والنصب[١] ، ثم طال مُقامه على الجَمَام ، أضرّ به ذلك .

٣٧- تَعَوَّدَ أَنْ يُغَبَّرَ فِي السَّرَايَا وَيَدْخُلَ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامِ

يغبّر : أى يثير الغبار . [٣٢١ - ب] .

يقول : مثلى مثل فرس يدخل من غبار إلى غبار .

٣٨- فَأَمْسِكَ لاَ يُطَالُ لَهُ فَيَرْعَى وَلاَ هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلاَ اللِّجَامِ

العَلِيق : ما يعلّق على الفرس .

يقول : أنا مثل فرسٍ جوادٍ تعوّد القتال ، ثم حُبِس[٢] فى مكانٍ فلا يُرْخى له الحبل حتى يرعى بنفسه ، ولا يعلّق عليه ما يأكله ، ولا عليه لجام ! فكذلك أنا عند كافور : لا يأذن لى فى الرحيل ، ولا يكْفينى مؤنة المقام[٣] .

٣٩- فَإِنْ أَمْرَضْ فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِى وَإِنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعْتِزَامِى

يقول : إن أمْرض فصبرى صحيح لم يمرض ، وعزمى لم يتغيّر عما عهدته ، فهذا المرض يزول ، ويعود إلى الصحة جسمى[٤] .

٤٠- وَإِنْ أَسْلَمْ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ

يقول : إن سلِمتُ الآن من مرضى فلا خلود فى الدّنيا ، ولكن آخر أمرى الموت ، فكأنّى نجوت من موْت معجّل إلى موت مؤجّل .

---

(١) ع : « والتعب ثم طال مقامه على الأرى وجم لضرّ به ذلك » .

(٢) ق : « ثم جلس » .

(٣) ع : « مؤنتى فى المقام » .

(٤) ق : « جسمى » مهملة .

٤١-تَمَتَّعْ مِنْ سُهَادٍ أوْ رُقَادٍ وَلاَ تَأْمُلْ كَرًى تَحْتَ الرِّجَامِ

الرِّجام : القبور ، واحدها رجْم .

يقول : تمتّع فى هذه الدنيا من النوم واليقظة ، ولا تطمع فى النّوم ولذّته إذا صرت إلى القبر .

٤٢-فَإِنَّ لِثَالِثِ الْحَالَيْنِ مَعْنًى سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْمَنَامِ

يقول : إن الموْت حالة ثالثة سوى النّوم والانتباه ، وليس فيه شىء من اللذة التى ترجى فى اليقظة والمنام ، ولكنه الفناء والفساد ، ولا تُرجى فيه اللّذة بحال من الأحوال .

(٢٥٨)

وكان كافور يتطلّع إلىَ مدْحه[١] ، ويقْتضيه إيّاه ، ولم يكن له بدٌّ من مداراته فقال فيه ، وأنشدها إيّاه [٢] فى شوّال سنة تسع وأربعين وثلاث مئة .

وهى آخر ما أنْشده ولم يلْقَه بعدها[٣] :

١- مُنًى كُنَّ لى أنّ الْبَيَاضَ خِضَابُ فَيَخْفِى بِتَبْيِيضِ الْقُرُونِ شَبَابُ

القرون : الذّوائب . وقوله : « أنّ البَيَاض » فى موضع الرّفع بدلا من « مُنًى »[٤] .

---

(١) ع ، ق : « على مدحه » .

(٢) ع : « ولم يكن له بد من صدارته » تحريف ، « وأنشدها الأسود » .

(٣) الواحدى ٦٨٠ « وقال يمدح كافوراً الإخشيدى وأنشده إياها فى شوال سنة ٣٤٧ ولم يلقه بعدها » . التبيان ١ /١٨٨ : « وقال يمدحه ولم يلقه بعدها . الديوان ٤٧٨ : « وكان الأسود مع قبح فعله يتطلع إلى مدحه ويقتضى أبا الطيب ، ولم يكن لأبى الطيب بد من مداراته مع غرضه بذلك ، فقال وأنشدها الأسود ولم يلقه بعدها فقال » . العرف الطيب ٥١٥ .

(٤) مُنًى : جمع منية وهى الأمنية . وإنما جمع المنى بناء على تكرر ذلك منه مرة بعد أخرى فصارت كل مرة منية . ويجوز أن يكون « منى » خبر مقدم على المصدر المتأول من أنّ وخبرها . « وكنّ » نعت منى .

يقول : كنتُ فى حال شبابى أتمنّى أن أخضّب شبابى بالبياض ، فيكون البياض خضابا للسَّواد ، كما يخضّب البياض بالسّواد ، فيُنْظر إلىّ بعين الجلالة والوقار والحلم .

٢- لَيَالِيَ عِنْدَ الْبِيضِ فَوْدَايَ فِتْنَةٌ وَفَخْرٌ وَذَاكَ الْفَخْرُ عِنْدِيَ عَابُ

« الفودان » : جانبا الرأس و « ليالِيَ » نصب بفعل مضمر ، يعنى كنت أتمنى ذلك ليالىَ كان فوداى فتنة للنساء البيض لِسَواد شعرى ، فكنّ يُفْتنّ به ويعدُدْنه فخرًا ، وأنا أعدّه عيبًا لأنه يدلّ على الجهل والنَّزق[1] .

٣ - فَكَيْفَ أَذُمُّ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أُجَابُ؟!

يقول : كنت أشتهى المشِيب أيّام الشباب ، فكيف أذمّه لما بلغت إليه ؟ ! وكنت أدعو الله تعالى أن يهب لى المشيب ، فلا يحسن بى الآن أن أشكوه حين أجابنى إليه .

وقيل : قوله : « أدعو[2] بما أشكوه » من قولك : دعوت بفلان إذا دعوته إليك .

والمعنى : كيف أدعو بشىء ، إذا أجبت إليه شكوته ؟ ! وهو المشيب ، أى كنت أدعو المشيب إلى نفسى . فكيف أشكوه الآن . [٣٢٢ - ا] .

٤- جَلاَ اللَّوْنُ عَنْ لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسْلَكٍ
كَمَا انْجَابَ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابُ

« جَلاَ » : أى زال

يقول : زال السّواد عن لون هدى كلَّ مسلك : يعنى البياض[3] لأنه حليف

(١) ع : « والترف » .

(٢) ع : من « أدعو . . . أدعو » ساقط .

(٣) يقول : كأن بياض الشيب كان مستورًا تحت السواد فلما زال السواد عنه انكشف فأهدى صاحبه فى كل مسلك من الرشد .

الهداية والمانع من الغواية . وشبّه زوال السّواد وطلوع البياض[١] بانكشاف الضباب عن ضوء النهار والضّباب : ماتراه على وجه الأرض فى الربيع[٢] .

٥- وَفِى الْجِسْمِ نَفْسٌ لاَ تَشِيبُ بِشَيْبِهِ وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الْوَجْهِ مِنْهُ حِرَابُ

« الحراب » : جمع حربة .

يقول : إنْ كان جسمى أثّر فيه الشيب ، فإن نفسى التى فى جسمى لم تضعف[٣] بضعفه ولو أن بدل كل شعرة بيضاء حربة فى الوجه مغروزة .

٦- لَهَا ظُفُرٌ إِنْ كَلَّ ظُفْرٌ أُعِدُّهُ وَنَابٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ فى الْفَمِّ نَابُ

يقول : لنفسى ظُفْر أجعله عُدّةً لى ، إنْ كلَّ ظُفر الجسْم : أى إن ذهبت قوّته . فقوة النفس باقية ، وكذلك إن لم يبق نابٌ فى الجسم فللنفس ناب .

٧- يُغَيِّرُ مِنِّى الدَّهْرُ مَاشَاءَ غَيْرَهَا وَأَبْلُغُ أَقْصَى الْعُمْرِ وَهْىَ كَعَابُ

الكَعَاب : الجارية التى كعب ثديها .

يقول : إن الدهر يغيّر من جسمى كلَّ شىء ، ولا يقدْر أن يغيّر نفْسى ، فإنها أبدًا تبقى فى قوّتها ، وإن بلغت أقصى العمر .

٨- وَإِنِّى لَنَجْمٌ يَهْتَدِى[٤] صُحْبَتِى بِهِ إِذا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابُ

الصُّحْبَة : الأصْحاب .

يقول : إن صحبتى يهتدون برأيى ودلالتى ، فإذا نَالَهُم خطْب رَجَعُوا إلى رأيى[٥] ، وإذا حال سحاب دون النّجوم اهتدوا بدلالتى ، لمعرفتى بالفلوات ،

---

(١) ق : « وطلوع الضباب » .

(٢) وهو سحاب يغشى الأرض كالدخان . ويكون فى الغداة الباردة . « اللسان » .

(٣) كنى بشيب النفس عن الضعف الذى هو من لوازم المشيب أى أن همته لا تشيب ولا يلحقها الضعف ولو كانت الشعر الأبيض فى وجهه حرابا .

(٤) فى التبيان : ويروى : تهتدى . وبها رواية الديوان والتبيان .

(٥) ق : « فإذا أنا لهم حطب رجوا إلى رأيى » تحريفات .

وهدايتى فى المفاوز ، فكأنه نظر إلى قول النبى ﷺ « أصحابى كالنجوم » .

٩- غَنِيٌّ عَنِ الأَوْطَانِ ؛ لاَ يَسْتَفِزُّنِى إِلَى بَلَدٍ سَافَرْتُ عَنْهُ إِيَابُ

« يستفزّنى » : أى يستخفّنى وقد روى أيضا .

يقول : أنا مستغنٍ عن الأوطان ، فإذا سافرت عن بلد[1] لا يستخفنى الرجوع إليه .

١٠- وَعَن ذَمَلانِ الْعِيسِ إِنْ سَامَحَتْ بِهِ وَإِلاَّ فَفِى أَكْوَارِهِنَّ عُقَابُ

الذّملان : ضرب من السَّير . وعنى بالعقاب : نفسه ، فالهاء فى « به » للذملان .[2]

يقول : إنّى غنّى عن سيْر الإبل ، فإن سمحت به سرْت عليها ، وإلا فما أبالى ، فإنّ الذى فى أكوارهن[3] عقاب : أى كما أن العقاب لا يحتاج إلى سير الإبل ، كذلك أنا أسير على قدمٍ كما يطير العقاب .

١١- وأصدَى فَلا[4] أُبْدِى إِلَى الْمَاءِ حَاجَةً
وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ الْيَعْمَلاَتِ لُعَابُ

« أصْدَى » : أى أعطش . و « اليَعْمَلات » : النُّوق التى يعمل عليها فى السير ، والواحدة يعملة ، ولا يوصف بها الذكر . ولعاب الشّمس : ما يتدلّى منها مثل الخيوط إذا اشتد الحر .

يقول : أعطش فى شدّة الحر وأصبر عليه ، ولا أظهر من نفسى الحاجة إلى الماء وأهل البادية يمْتدحُون[5] بذلك .

---

(١) ق : « إلى بلد » .

(٢) ق : « للزمان » تحريف .

(٣) ع : « أكوارها » والأكوار : جمع كور وهو الرَّحْل .

(٤) ق ، ع : « فما » .

(٥) ع : « يتمكرحون » تحريفات .

١٢- وَلِلسِّرِّ منّى مَوْضِعٌ لاَ يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلاَ يُفْضِى إِلَيْهِ شَرَابُ

« لا يُفْضِى إليْه » أى لا يصل إليه .

يقول : أنا أودع السِّرّ من قلبى موضعًا لا يطّلع عليه نديمى ، ولا يصل إليه الشّراب ، وذلك أن الرجل إذا سكر أذاعَ ما فى قلبه من السرّ . فيقول : أنا لا أسكر من [٣٢٢ - ب] الخمرْ على وجْه يزول عقلى ، حتى لا أبوح بما فى قلبى من السرّ صيانةً لعقلى ومروءتى .

وقيل : أراد أنّ الخمر لا تصل إلى السرّ ، مع أن[١] الخمر تجْرى من الإنسان مجرى الدم فتصل إلى كل موضع .

١٣- وَلِلْخَوْدِ مِنِّى سَاعَةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا فَلاَةٌ إِلَى غَيْرِ اللِّقَاءِ تُجَابُ

« الخَوْد » : المرأة النّاعمة .

يقول : إن اجتماعى مع المحبوبة ساعةٌ واحدةٌ ، ثم أفارقها وأقْطع الفلوات إلى غير لقائها ، ولا أبالى بها ، وإنما همّى[٢] السّعْى فى معالى الأمور .

وقيل : ذكر الفلاةَ مثلا . أى يكون بيننا فلوات ومفاوز . على معنى ما يقال : « بيْنى وبَيْن فَلان مسافَة بعيدة » فى امتناع الوصول إليه .

١٤- وَمَا الْعِشْقُ إِلاَّ غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَتُصَابُ[٣]

الغِرَّة : الاغترار ، والطَّمَاعة : الطمَع .

يقول : إن العشْق اغترار وطمع ، وهما[٤] مذمومان ، وقلب العاشق يعرض نفسه على الهلاك فتهلك .

١٥- وغَيْرُ فُؤَادِى لِلْغَوَانِى رَمِيَّةٌ وغَيْرُ بَنَانِى لِلزُّجَاجِ رِكَابُ

---

(١) ع : « مع أنها » .
(٢) ق : « وأنا همتى » .
(٣) ق : « فيصاب » .
(٤) ق : « فهما » .

يقول : كلّ قلب سوى قلبى فهو هدف[١] للنساء يصبنه للعشق . وكل بَنانٍ سوى بنانى رِكابٌ للزُّجاج الذى فيه الخمر ، فأما أنا فلا أشتغل باللذة[٢] واللهو ، فلا أعرِّض قلبى للعشق ولا أشتغل بشرب الخمر .

وروى « للرّخاخ »[٣] وهو الشّطرنج . يعنى لا أشتغل بالنّساء واللعب بالشطرنج وسائر الملاهى ، وما يذهب به العمر باطلاً .

١٦- تَرَكْنَا لأَطْرَافِ الْقَنَا كُلَّ شَهْوَةٍ فَلَيْسِ لَنَا إلاَّ بِهِنَّ لِعَابُ

اللِّعاب : الملاعبة .

يقول : تركنا كلّ شهوةٍ ، ولذّة لعابٍ ، إلا بالرِّماح والسيوف .

١٧- نُصَرِّفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَاذِرٍ قَدْ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِعَابُ

الهاء فى « نُصَرِّفُه » راجع إلى لفظ « القَنَا » وقوله : « فَوْقَ حواذِرٍ » أى خيل حواذر من الطّعن ، لأنها قد تعوّدته و « انقصَفَتْ » : أى انكسرت .

يقول : نصرِّف القنا فوق خيل قد تعوّدت الطّعان[٤] فهى تحذر منه ، فانكسرت فى الخيل كعوب الرماح مرة بعد أخرى[٥] .

١٨- أَعَزُّ مَكَانٍ فى الدُّنَى سَرْجُ سَابِحٍ وخَيْرُ جَلِيسٍ فِى الزَّمَانِ كِتَابُ

« الدُّنى » : جمع الدّنيا ، جعل كل مكان فيها دنيا ، ثمّ جمعه .

---

(١) ق : « هدب للنساء ويصبنه » .

(٢) ق : « فى اللذات » .

(٣) الرخاخ : جمع رخّ هذه رواية ابن جنى . وقد ردّ عليه ابن فرجة قائلا : البنان : ركاب القدح . وأما الرخ فالبنان راكبة له فى حال حمله . وأيضا فإنه كلمة أعجمية لم تستعملها العرب القدماء ولا الفصحاء . والتنزه عن شرب الخمر أليق بالتنزه عن الغزل . من اللعب بالشطرنج . الواحدى ٦٨٣ .

(٤) « الطعان » مكانها بياض فى ق وفى مو « العطان » تحريف سماع .

(٥) ع : « مرة بعد مرة » . والمذكور رواية ابن جنى وقد ضعفها صاحب التبيان وقد روى الواحدى « حوادر » أى غلاظ سمان وروى علىّ بن حمزة « خوادر » أى كأنها أصابها الخدر لما لحقها من التعب .

يقول : أعزّ مكانٍ فى الدّنيا سرج فرسٍ سابَحٍ [١] ، لأن الشجاع إذا ركبه امتنع ، وخير جليسٍ فى الزمان كتاب ؛ لأنك لا تخشى غوائله ويؤدّبك بآدابه ، ويؤنسك عند الوحشة بحِكَمِه .

١٩- وَبَحْرٌ أَبُو الْمِسْكِ الْخِضَمُّ الَّذِى لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُبَابُ

« الخضم » : الكثير العطاء ، الزّخْرة : تراكم الماء ، والعباب : مثله .
وروى : « بَحْرٍ » جرًّا على العطف على ما قبله . أى : وخير جليس فى الزمان كتابُ ، وخَيْرُ بَحْرٍ أبو المسْك . والتقدير : وخيْر البحُورِ ثم أقام الواحدَ مقام الجمعْ . وروى : « وبَحْرُ أبى المسْكِ » على الإضافة .

يقول : هو كثير العطاء ، له فضلٌ على كل سخىّ ، كالبحر الذى يزيد على البحار. شبَّهَهُ بالبحر ، ثم فضّله على سائِر البحار [٢] [٣٢٣ - ا] .

٢٠- تَجَاوَزَ قَدْرَ الْمَدْحِ حَتَّى كَأَنَّهُ بِأَحْسَنِ مَا يُثْنَى عَلَيْهِ يُعَابُ

يقول : قد تجاوز غاية المدح وكلّ ما وصفته [٣] وأثنيت به عليه فهو دونه ، وكأنى إذا مدحتُه أعيبه وأنقصه عن قدْره . وهو مأخوذٌ من قول البحترى :

جَلَّ عَنْ مَذْهَبِ الْمدِيحِ عُلا هُ فَكأنَّ الْمَدِيحَ فِيهِ هِجَاءُ [٤]

٢١- وَغَالَبَهُ الأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَوْا لَهُ كَمَا غَالَبَتْ بِيضَ السُّيُوفِ رِقَابُ

يقول : إن أعداءه طلبوا مغالَبَتَه فَقَهَرَهم وأذلّهم فخضعوا له . وكانوا له مثل رقابٍ غالبت السيوف فقطعتها .

(١) السابح من الخيل : السريع الجرى فكأنه يسبح فى جريه .
(٢) ع : « الصحابة » تحريف .
(٣) ع : « قد تجاوز غاية المدح فلا أحد يليق به وكل ما وصفته » إلخ .
(٤) ع : « كل عن مذهب المديح فيه هجاء » فقط . تحريفات ونقص .
روى فى ديوانه ١ /١٥ والوساطة ٢٦٣ والتبيان ١ /١٩٤ والواحدى ٦٨٣ ورواية البيت فيما ذكرنا :

جلّ عن مذهب المديح فقد كا دَ يكون المديح فيه هجاء

٢٢- وأَكْثَرُ مَا تَلْقَى أَبَا الْمِسْكِ[١] بِذْلَةً إِذَا لَمْ يَصُنْ إِلاَّ الْحَدِيدَ[١] ثِيَابُ

التاء فى « تَلْقَى » خطاب لنفسه أو صاحبه . و « أبا المسك » مفعول « تلقى » « وَبِذْلَةً » نصب على التّمييز .

والمعنى : أن أبا المسك فى أكثر أوقاته تلقاه لابسًا ثوب البذْلة ، فى وقتٍ لا يصون الأبطالَ الثيابُ ، من الرّماح والسّيوف ، وإنما يصونهم منها الحديد . فهو يباشر الحديد القتّال فى تلك الحال ، لابسًا ثوب البِذْلة[٢] حاسرًا بلا درع ومِغْفر ، وذلك لقوّة قلبه وثقته بنفسه ، وقلّة مبالاته بعدّوه . « والحديد » على هذا نصب مستثنى مقدّم[٣] . ومفعول « يَصُنْ » محذوف كأنه قال : إذا لم يصن الأبطال والأبدانَ ثيابُ ، ولكن الذى يصونها هو الحديد .

وقال ابن جنى معناه : إذا لبست الأبطالُ الثيابَ فوق الحديد خشية واستظهارًا فهو فى ذلك الوقت أشدّ ما يكون تبذّلا بنفسه[٤] . والحديد : هو الدروع وهو منصوب لأنه مفعول « يَصُنْ » .

٢٣- وَأَوْسَعُ مَا تَلْقَاهُ صَدْرًا وَخَلْفَهُ رِمَاءٌ وَطَعْنٌ وَالأَمَامَ ضِرَابُ

« الرِّمَاء » مصدر رامَيْته[٥] . و « الأَمَام » نصب على الظّرف ، فكأنه قال : وأمَامَه ، فجعل الألف واللام بدلاً من الإضافة .

يقول : أوسع مايكون صدْرًا إذا كان فى مضيق الحرْب ، وخلفه رمْىٌ وطعْنٌ من قِبَل الأعداء ، وأمَامه ضِراب .

(١) ق : « أبو المسك » و « إلا الحديث » .

(٢) البِذْلة : اسم من ابتذل الشىء إذا ترك صيانته .

(٣) كقول الكميت :

ومالى إلاَّ آلَ أحْمدَ شِيعةٌ ومالىَ إلاَّ مَذْهبَ الحقّ مذْهَبُ

(٤) فجعل الثياب تصون الحديد فرد عليه العروضى قائلا : أظن أبا الفتح يقول قبل أن يتدبر ! ! وإنما المعنى جعل الصون للحديد لا للثياب يريد إذا لم يصن الأبدان ثيابٌ إلا الحديد . يعنى الدروع . انظر الواحدى ٦٠٤ .

(٥) ق : « رميته » .

يعنى : أنه يتقدم على أصحابه يضرب بالسيف وجوه الأعداء وأمامه ضرب [١] وخلفه رمْى ، فيكون فى تلك الحال ثابت النَّفس ، لا يدخله رَوْع وقلق .

وروى : « وخلفه دماء » والمعنى : أنه لا يضيق صدره عنْد مضيق الحرْب ، بل يقتل ويخلّف دماءً سفكها ، ويضرب أمامه بالسيوف .

٢٤–وأنْفَذُ ما تَلْقَاهُ حُكْمًا إذَا قَضَى قَضَاءً مُلُوكُ الأرْضِ مِنْهُ غِضَابُ

يقول : إذا أراد أمرًا يغضب منه جميع ملوك الأرض ، فذلك [٢] الأمر أنفذ ما يكون من أوامره ، لأنهم لا يمكنهم أن يردُّوا عليْه أمره .

٢٥–يَقُودُ إلَيْهِ طَاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ وَلَوْ لَمْ يَقُدْهَا نائِلٌ وَعِقَابُ

يقول : لوْ لم يطعه النّاسُ رغبةً فى نائله ورهبة من عقابه ، لأطاعوه لفضْله . وهذا مثْل قوله :

رأَيْتُكَ لَوْ لَمْ تَقْتَضِ الطَّعْنَ فى الْوَغَى

٢٦–أيَا أَسَدًا فى جِسْمِهِ رُوحُ ضَيْغَمٍ وَكَمْ أُسُدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلاَبُ

يقول : أنت الأسد ، وروحك روح الأسد ، وغيرك من الملوك جسمه جسم الأسد ، وروحه روح كلب .

شبّههم بالأسود من حيث الجثّة [٣٢٣ – ب] وبالكلاب من حيث الهمّة .

وقوله : « أرْواحهُنّ كِلاَب » : أى أرواحهن أرواح كلاب فحذف [المضاف] .

٢٧–وَيَا آخِذًا مِنْ دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ وَمِثْلُكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيُهَابُ

يقول : هذا المُلْك حقٌّ لك ، أخذتَه من دهْرك قهرًا ، ولم يقتدر أن يمتنع من ذلك [٣] ، ومن كان مثْلك فى البأس والقوة : يُخَاف منه ويُعْطى حقّه .

---

(١) ق من : « يعنى . . . . ضرب » ساقط .

(٢) ع : « فلذلك » . أى أنفذ ما يكون حكمه . فيما خالف فيه الملوك .

(٣) ع : « ولم تقتدر أن تمتنع من ذلك » .

٢٨–لَنَا عِنْدَ هَذَا الدَّهْرِ حَقٌّ يَلُطُّهُ وَقَدْ قَلَّ إعْتَابٌ وَطَالَ عِتَابُ[١]

« يَلُطُّهُ » أى يمْطُلُه ويدفعه والإعتاب : الرّجوع إلى أن تجيب من يعاتبك[٢] .

يقول : لنا عندْ الدّهر حقٌّ يمطلنا به ، قد طال عتابنا له وهو لا يرجع إلى ما أحبه .

وقيل : هذا تعريض بالممدوح ، وأنه طال عتابه واستبطاؤه فيما كان يَعِدُه بِدِ[٣] من الولاية .

٢٩–وَقَدْ تُحْدِثُ الأَيَّامُ عِنْدَكَ شِيمَةً وَتَنْعَمِرُ الأَوْقَاتُ وَهِيَ يَبَابُ

الشِّيمة : العادة . واليَباب : الخراب ، وقيل : هو إتْبَاعٌ لخَراب[٤] .

يقول : إن الأيّام قد تترك عادتها عندك من قصد ذوى الفضل ، لحصولهم فى ذمّتك وجوارك ، وتعود أوقاتهم بك عامرة ، بأن يدركوا مطلوبَهم بعد أن كانت خرابًا[٥] .

وقيل : معناه أن الأيام تغيّر كل إنسان وتبدّل الأحوال ، فلا آمن أن تصل إليك فتحدث فى أخلاقك تغييرا ، كما تفعل فى نفسها ضدّ خلقها ، من عمارة بعد خراب .

وقيل : أراد إن عادة الأيام عندنا دفع[٦] حقنا ، وعندك إيصال حقك

---

(١) ع : « وقل عتاب » .

(٢) فى النسخ « إلى ما يجيب أن يعاتبك » .

(٣) ع : « وانتظاره » بدلا من : « واستبطاؤه » . و : « به » مهملة .

(٤) يعنى يقال من الإتباع : « خراب يباب » فيباب هنا إتباع الخراب . انظر اللسان والصحاح « يبب » .

(٥) يريد : أن الأيام قد تغير أخلاقها عندك . فترضى المعاتب وتسالم ذوى الفضل . لنزولهم فى كنفك وجوارك . والأوقات تصير عامرة لهم بأن يدركوا مطلوبهم .

والمعنى : إن قضت الأيام حتى وأظفرتنى بمطلوبى عندك فلا عجب فإنها تحدث شيمة غير شيمتها مهابة لك .

(٦) المراد بالدفع هنا التنحية والإزالة بقوة كما يقال : دفعته عنى ودفع عنه الأذى .

إليك[١] ، وأوقاتها عندنا خراب ، وعندك عامرة .

٣٠- وَلا مُلْكَ إلاَّ أنْتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ كَأَنَّكَ نَصْلٌ[٢] فِيهِ وَهْوَ قِرَابُ

يقول : قوام المُلْك سياستك ، فالمُلْك إنما هو أنت وما سواك فضلة ، كما أن العامل هو السيف والقراب فضله .

٣١- أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبِعَادِ يُشَابُ

يقول : إنّ قربى منك مشوب بالحجاب والبعد ، فتارةً أحجب عنك وأخرى يَنْحجِبُ الحجاب وأقرب ، فمتى قربْتُ منك قرّت عينى بالقرب الذى يتفق ، فكأنّ الحجاب لم يكن .

وقيل : أراد بالبعاد ، الوحْشة التى كانت بينه وبين[٣] كافور .

٣٢- وَهَلْ نَافِعِي[٤] أَنْ تُرْفَعَ الْحُجْبُ بَيْنَنَا
وَدُونَ الَّذِي أَمَّلْتُ مِنْكَ حِجَابُ

يقول : أىّ نفع فى رفْع الحجاب ؟ ! إذا كان ما أُؤمِّل منك حجاب[٥] .

يعنى : أنت لا تبْذُل لى ما أمّلْتُهُ منك من العطاء والوداد .

٣٣- أَقِلُّ سَلامِي حُبَّ مَا خَفَّ عَنْكُمُ وَأُسْكُتُ كَيْمَا لاَ يَكُونَ جَوَابُ

نصب « حُبّ » لأنه مفول له « وعنكم » فى موضع عليكم و « يكون » ها هنا فعل تام لا يحتاج إلى خبر .

---

(١) ق : « حقٌ إليك » .

(٢) يروى الواحدى « سيف فيه » .

(٣) ق ، شو : « بينه وبينه » . وذكر الواحدى ومن تابعه أن المراد بالبعاد : البعد عن الأحباب والأوطان

(٤) ع : « وهل نافع » .

(٥) ع : « دون أمامك حجاب » .

يقول : أقلّ[١] سلامى عليكم ، طلبًا للتخفيف عليك ، وأسكت عن إذْكارِكَ بحاجتى ؛ لئلا أكلّفك الجواب ، ولئلا يكون له جواب أكرهه .

٣٤- وَفِى النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سُكُوتِى بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَاب

الهاء فى « عنْدها » يعود إلى لفظ الفَطَانة .

يقول : [٣٢٤ - ا] فى نفسى حاجات ولك معرفة ، فسكوتى عند معرفتك يغنينى عن بيانها وإظهارها بالخطاب . ومثله لأبى تمام :

وَإذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِى عَلَى الْمَرْ ءِ تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِى[٢]

٣٥- وَمَا أَنَا بِالْبَاغِى عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً ضَعِيفٌ هَوًى يُبْغَى عَلَيْهِ ثَوَابُ

يقول : مَنْ أحب إنْسانًا لمنفعته فحبّه ضعيف ، وأنا أحبّك حبًّا خالصًا ، لا أطلب عليه رشوة[٣] .

وما طلبت منك إلا طلب الإدلال لمن[٤] عذلنى على قصدك . أنّى أصبت فى مخالفتى قوْلَه ، فإذا رأى منزلتى عندك عِلِمَ فساد قوله وصواب رأْيى[٥]

٣٦- وَمَا شِئْتُ إلاَّ أَنْ أَدُلَّ[٦] عَوَاذِلِى عَلَى أنَّ رأْيِى فِى هَوَاكَ صَوَابُ

يقول : لم أرد ما أطلبه إلا كى أدُلّ عواذلى اللاتى عذلْننى فى قصدك . أنى كنت مصيبا فى هواك ، وأنك تحسن إلىّ وتقضى حق زيارتى .

---

(١) ع : « قد أقل » .

(٢) ديوانه ٢ /٣١٦ وديوان المعانى ١ /١٦٨ وفيهما : « وإذا المجد » . والتبيان ١ /١٩٩ و ٤ /٣٣ والمثل السائر ٢ /٣٧٨ .

(٣) الرشوة « مثلثة الراء » : ما يعطى لقضاء مصلحة وتجمع على رِشًا بكسر الراء وضمها . والأصل الرشاء وهو الحبل لأنها سبب يُتعلق به . ويلتزم به عند الآخذ لها . اللسان والتبيان .

(٤) ع : « الإذلال ممن » .

(٥) وهذا ما ذكره فى البيت الآتى رقم (٣٦) .

(٦) ع : « إلا أن أرُدّ » . وفى الواحدى والتبيان « أُذِلّ » .

٣٧- وأُعْلِمَ قَوْمًا خَالَفُونِى فَشَرَّقُوا وَغَرَّبْتُ أَنِّى قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوا

يقول : أردت أن أعلِم من خالفنى ، وقصد ملكًا غيرك ، أنه قد خاب وأنى ظفرت . ومثله للبحترى :

وأَشْهَدُ أَنِّى فى اخْتِيَارِكَ دُونَهُمْ مُؤَدًّى إلى حَظِّى وَمُتَّبِعٌ رُشْدِى[١]

٣٨- جَرَى الْخُلْفُ إلاَّ فِيكَ أَنَّكَ وَاحِدٌ وأَنَّكَ لَيْثٌ وَالْمُلُوكُ ذِئَابُ

يقول : قد وقع الخلاف[٢] فى كلّ شىء إلا فيك ، فإنهم اتفقوا على أنّك واحد ولا نظير لك ، وأنّك أسد والملوك ذئاب بالنسبة إليك[٣] . فأنت أوْحدهم ، كما أن الأسد أوحد السباع ومثله لأبى تمام :

لَوْ أنَّ إجْمَاعَنا[٤] فى فَضْلِ سُؤْدُده فى الدِّينِ لَمْ يَخْتَلِفْ فى الأمَّةِ اثْنَانِ[٥]

٣٩- وَأَنَّكَ إنْ[٦] قُوِيسْتَ صَحَّفَ قارِئٌ ذِئَابًا وَلَمْ يُخْطِئْ فقَالَ : ذُبَابُ

يقول : لو صحف إنسانٌ قولَ : « إنك لَيْثٌ والْمُلُوكُ ذئاب » فجعل مكانه « ذُبَاب »[٧] لم يخطئ فى تصحيفه ؛ لأن الأمر كذلك على الحقيقة .

٤٠- وإنَّ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَمَدْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابُ

وهذا معْطوفٌ على ماقبْله : أى قد اتفقوا على أنّ مدح غيرك فيه حقّ وباطل ، وأنّ مدحك حقّ لا كذب فيه .

(١) ديوانه ٢ /٧٥١ وفيه : « فأشهد » والوساطة ٢٥٢ والواحدى ٦٨٧ والتبيان ١ /١٩٩ .

(٢) ع : « الخلف » .

(٣) ع : « فى جنبك ذئاب » .

(٤) فى النسخ « قد اجتمعنا » والمذكور عن سائر المصادر المذكورة .

(٥) ديوانه ٣ /٣١١ والوساطة ٣٠٣ وخاص الخاص ١٢١ والإبانة ١٢٨ ومحاضرات الأدباء ١ /١٥٨ والمستطرف ٢ /٢٥ والواحدى ٦٨٧ وفيه : « فى وصف سؤدده » والتبيان ١/١٩٩ وفيه : « فى الملة اثنان » .

(٦) ق ، ع : « لوقويست » .

(٧) ق ، شو : « ذبابا » على أنها المفعول الثانى لجعل . والرفع فى « ذباب » على الحكاية .

٤١-إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَالْمَالُ هَيِّنٌ وَكُلُّ الَّذِى فَوْقَ التُّرابِ تُرَابُ

يقول : إذا حصل لى وُدُّك فلا أبالى بعده بالمال ؛ لأن المال لا قَدْر له ، فهو تراب كأصله الذى تولّد منه .

٤٢-وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلاَّ مُهَاجِرًا لَهُ كُلَّ يَوْم بَلْدَةٌ وَصِحَابُ

يقول : لولا أنت وحبّى قربك ما كنت بمصْر ، بل كنْت كلّ يوم فى بلدٍ ومعى أصحاب[1] .

٤٣-وَلَكِنَّك الدُّنْيَا إِلَىَّ حَبِيبَةٌ فَمَا عَنْكَ لى إِلاَّ إِلَيْكَ ذَهَابُ

يقول : إنما أقمْتُ عندك لأنك دنياى ، فلا منصرف لى عنك ، إذ الدّنيا حبيبة إلى كل أحد ، فأنت محبوبٌ إلىّ فليس لى ذهاب إلا إليك .

« وحبيبة » خبر ابتداء محذوف : أى هى حبيبة إلىّ .

هذا آخر ما أنشده أبو الطيب فى الأسود .

(٢٥٩)

فلما خرج من عنده قال يهجوه[2] :

١- مِنْ أَيَةِ الطُّرُقِ يَأْتِى نَحْوَكَ[3] الْكَرَمُ
أَيْنَ الْمَحَاجِمُ يَا كَافُورُ وَالْجَلَمُ ؟

---

(١) ع زادت : « أصحاب جدد » .

(٢) ق . شو : « وقال أيضا يهجوه » . الواحدى ٦٨٩ : « وقال أيضا يهجوه » . التبيان ٤ / ١٥٠ : « وقال يهجو كافورا » . العرف الطيب ٥٤٤ . الديوان ٤٨٢ .

(٣) ع : « يأتى مثلك » .

[٣٢٤ – ب] « الجَلَم » المقصّ ، وأكثر ما يستعمل فى الذى يُجزُّ به الصوف من الغنم .

يقول : مِنْ أىّ طريق يصل إليك الكرم ؟ ! وأنت لئيم الأصل تصلح لآلات الحجّامين : من المحاجم[١] والمقص .

وقيل : أراد أنك تصلح أن تكون حجاما أو راعيًا يجزّ الصوف بالجَلَم . وإنما نسبه إلى الحجامة ؛ لأن الحجّامين بمصر لا يكونون إلا سودانًا[٢] ، وكذلك رعاة الغنم أكثرها العبيد السود[٣] .

٢– جَازَ الأُلَى مَلَكَتْ كَفَّاكَ قَدْرَهُمُ فَعَرِّفُوا بِكَ أَنَّ الْكَلْبَ فَوْقَهُمُ

« قدرهم » منصوب « بجاز » .

يقول : الذين ملكتْهم من أهل مصر كانوا قد بغوا وجاوزوا قدرهم ، فأذلّهم الله تعالى بك ، وأعلمهم أن الكلب خير منهم عنده .

وكأنّ هذا تفسير لقوله : « ولله سِرٌّ فى عُلَاك »[٤] .

٣– لاَ شَىْءَ أَقْبَحُ مِنْ فَحْلٍ لَهُ ذَكَرٌ تَقُودُهُ أَمَةٌ[٥] لَيْسَتْ لَهَا رَحِمُ

جعله أَمَةً لأنه خصىّ ، ثم حطّه عن منزلة الأَمَةِ . فيقول : هو أمة بلا رحم ! فالأَمَةُ مع تمام خلْقها أحسن حالا منه . فالفحل إذا رضى بحكْمه وانقاد لأمره فهو أذل من الكلب[٦] . وهذا تعريض بابن الإخشيد ، وتضريب[٧] بينه وبين كافور[٨]

(١) المحاجم : جمع محجم وهو أداة الحجم والقارورة التى يجمع فيها دم الحجامة . والحجامة : امتصاص الدم بالمحجم (اللسان) .

(٢) ويقال : إن الذى اشتراه قديمًا كان حجّاما . انظر العرف الطيب ٥٤٤ .

(٣) ق : « أكثرهم سودا » .

(٤) يريد قول المتنبى فى كافور راجع الديوان ٤٧٢ :

ولله سر فى علاك وإنما كلام العدا ضرب من الهذيان

(٥) ع : « أمة ما » . (٦) ق : « من الكلب » مهملة .

(٧) ق : « وتقريب » وابن الإخشيد هو أنوجور وقد مر بك ماكان بينهما .

(٨) ذكر الواحدى والتبيان أنه يريد بالفحل الذى له ذكر : رجال عسكره .

٤- سَادَاتُ كُلِّ أناسٍ مِنْ نُفُوسِهِمُ وَسَادَةُ الْمُسْلِمين الأَعْبُدُ الْقَزَمُ

« القَزَم »[١] : رُذَال النّاس والمال .

يقول : سيد كلّ أمةٍ منهم ومن أعزّهم ، إلا المسلمين فإنهم يرضون بسيادة العبيد[٢]

٥- أَغَايَةُ الدِّين أَنْ تُحْفُوا شَوَارِبَكُمْ
يا أُمَّةً ضَحِكَتْ مِنْ جَهْلِهَا الأُمَمُ ؟ !

مِنْ عادة أهل مِصْر إحفاء الشوارب[٣] .

يقول : اقتصرتم من الدين على ذلك ، وعطلتم سائِر أحكامه ! ورضيتم بولاية كافور عليكم مع خسته ، حتى ضحكت الأمم منكم واستهزءوا بكم وبقلّة عقلكم .

٦- ألا فَتًى يُورِدُ الْهِنْدِيَّ هَامَتَهُ
كَيْمَا تَزُولَ شكُوكُ النَّاسِ والتُّهَم ؟

يقول : سيادتُك تشكّكُ الناس فى حِكْمةِ الله تعالى[٤] فمن الذى يتعصب للدّين ؟ ! فيضْرب رأسَه[٥] بالسيف ويزيل هذا الشك عن قلوب الشّاكّين .

٧- فَإِنَّه[٦] حُجَّةٌ يُؤْذِى الْقُلُوبَ بِها مَنْ دِينُهُ الدَّهْرُ وَالتَّعْطِيلُ وَالْقِدَمُ

يقول : إن هؤلاء الكفّار إذا رأوا ما نالَه كافور مع خسّته ، جعلوا ذلك حجّة

---

(١) القَزَم : اللئيم من الرجال والنساء . وقيل القزمة من الشياة : الرديئة الصغيرة . وروى ابن جنى : القُزْم . بضمتين . الواحدى .

(٢) وهذا إغراء لأهل مملكته به . (ع) وقد سقط هذا البيت مع شرحه .

(٣) المراد بإحفاء الشوارب : استئصالها .

(٤) يريد أن تمليك مثله يشكك الناس فى حكمة الله تعالى . حتى يؤديه إلى أن يظن أن الناس معطلون عن صانع يدبرهم فيكفرون بذلك . الواحدى .

(٥) ق . شو . ع : « لرأسه » .

(٦) ق . شو . ع : « فإنها » .

لقولهم : إنّ العالم ليس له مدبِّر حكيم[١] . وآذوا بها قلوب المسلمين ، فَمَن الذى يقْتله ؟ حتى تزول هذه الأذيّة عن قلوب المسلمين .

٨- مَا أَقْدَرَ اللهَ أَنْ يُخْزَى خَلِيقَتَهُ وَلَا يُصَدِّقَ قَوْمًا فِى الَّذِى زَعَمُوا

يقول : إن الله تعالى قادرٌ على أن يُخْزِيه ويخْزى المعطِّلين ، بأن يبطل قولهم واحتجاجهم على نفى الصّانع .

يعنى : إن لم يقتله الناس . فإن الله تعالى يريح المسلمين ، ويزيل الشُّبهة عن قلوب المؤمنين[٢] .

(٢٦٠)

وقال أيضًا يهجوه[٣] :

١- أَمَا فِى هَذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمٌ تَزُولُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ الْهُمُومُ ؟

يقول : ليس فى هذه الدنيا كريم يُؤنَس إليه ، ويزيل الهموم عن قلوب مَنْ يجالسه[٤] .

٢- أَمَا فِى هَذِهِ الدُّنْيَا مَكانٌ[٥] يُسَرَّ بِأَهْلِهِ الْجَارُ الْمُقِيمُ ؟ !

---

(١) لأن الدهرى يرى فى مثل هذه الحالة أن لو كانت الأمور جارية على تدبير حكيم ما ملك هذا الأسود . وإنما حكم لأن الناس بغير مدبر !

(٢) يرى الواحدى أن المعنى : الله قادر على إخزاء خليقته بأن يملك عليهم لئيما سافطًا ومراده أن تأمير كافور خزى للناس . والله تعالى فعل ذلك عقوبة لهم . وما هو كما تقول الملاحدة . ولعل ما ذكره الشارح أقرب إلى مراد المتنبى .

(٣) الواحدى ٦٨٩ : « وقال أيضا يهجوه » . التبيان ٤ /١٥٠ : « وقال يهجو كافوراً » . الديوان ٤٨٣ « وله فيه أيضا » . العرف الطيب ٥٤٥ .

(٤) ع : « من يجالس إليه » .

(٥) ع : « كريم »

أى ليس فيها مكان ، يُسَر المقيم فى ذلك المكان بأهله[١] .

٣- تَشَابَهَتِ الْبَهائِمُ والْعِبدَّى عَلَيْنَا وَالْمَوَالِى وَالصَّمِيمُ

« العِبدّى » : العبيد . و « الصّميم » الصّريح الخالص [النسب][٢]

يقول : الناس كلّهم جهّال بمنزلة البهائم ، فأحرارهم وعبيدهم ومواليهم[٣] سواء فى اللؤم .

٤- وَمَا أَدْرِى أَذَا دَاءٌ حَدِيثٌ أَصَابَ النَّاسَ أَمْ دَاءٌ قَدِيمُ ؟ !

يقول : لست أدرى هل كان فى قديم الزّمان على ما نُشاهده الآن فى استواء الناس[٤] أمْ حدثت[٥] هذه الحالة الآن ؟

٥- حَصَلْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ عَلَى عَبِيدٍ كَأَنَّ الْحُرَّ بَيْنَهُمُ يَتِيمُ

٦- كَأَنَّ الأَسْوَدَ اللَّابِىَّ فِيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَخَمٌ وَبُومُ

يقال للأَسْوَدَ[٦] : لابِىّ[٧] ولُوبِىّ ونُوبِىّ . منسوب إلى اللاّبة[٨] ، وهى الحجارة السود شَبَّهَهُ بالغراب ، لسواده ، وشبه مَنْ حوله بالرَّخَم والبوم ، وكل هذه من شرار الطير .

---

(١) ع : « يسير المقيم فى ذلك بأهله » .

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها المقام ويريد بذلك الحُرّ الخالص الحرية .

(٣) يريد بالموالى : الذين كانوا عبيدًا .

(٤) أى ما أدرى هذا الذى أصاب الناس من تمليك العبيد واللئام عليهم حدث الآن . أم هو قديم ، كان قبلنا فيما تقدم .

(٥) ق : « أم حديث » .

(٦) ع : « بقول الأسود » .

(٧) ق : « للابى » .

(٨) وجاء فى اللسان : وقالوا أسود لوبى ، منسوب إلى اللوبة وهى الحرة . والنوب : جيل من السودان ، الواحد نوبى . وبلاد النوبة وطن ذلك الجيل ويقع الآن فى الجزء الجنوبى من بلاد مصر . وفى ياقوت : اللاب : من بلاد النوب يجلس منهم صنف من السودان منهم كافور .

٧- أَخَذْتُ بِمَدْحِهِ فَرَأَيْتُ لَهْوًا مَقَالِى لِلْأُحَيْمَقِ يَا حَلِيمُ

يقول : لم أجد من مداراته بدّ ، فلما أُخِذْتُ[١] بمدحه استهزأتُ به . وقلت له[٢] مع حُمْقه : إنّك حليم ، ومع لؤمه ، إنك كريم !

٨- وَلَمَّا أَنْ هَجَرْتُ رأَيْتُ عِيًّا مَقَالِى لابْنِ آوى يَالَئِيمُ

يقول : لما رأيت هجوه ، لم أجد لمقالى مجالاً ، فرأيت هجوى له عِيًّا ، فكنت بمنزلة من يقول لابن آوى : يالئيم وهو أخسّ[٣] من أن يقال له ذلك .

٩- فَهَلْ مِنْ عَاذِرٍ فِى ذَا وَهَذَا[٤] فَمَدْفُوعٌ إلى السُّقْمِ السَّقِيمِ

يقول : هل فى الناس من يعْذُرنى فى مدْحى وهجوى إياه ، فإنى مضْطَرٌّ إليهما ، كما أن المريض مضطرٌّ إلى المَرض غير مختارٍ له .

١٠- إِذَا أَتَتْ الإِسَاءَةُ مِنْ وَضِيعٍ
وَلَمْ أَلُمِ الْمُسِيءَ فَمَنْ أَلُومُ ؟!

يقول معتذراً لنفسه فى هجوه : إن الإساءة إذا وصلت لى من جهة لئيم اضطررت إلى لؤمه ، ولا معنى لِلَوْم غيره ولم يسئ إلىّ .

---

(١) أَخَذْتُ : بمعنى شرعت . وروى الواحدى « أُخِذْتُ » بالبناء للمجهول قال : أى أكرهت على مدحه .

(٢) ع : « له » مهملة .

(٣) المراد أن ابن آوى أخس من أن يقال له يالئيم . وابن آوى : من أخسّ السباع وهو دون الكلب فى الحجم ويجمع على بنات آوى ، وسمى ابن آوى لأنه يأوى إلى عواء أبناء جنسه . حياة الحيوان والتبيان .

(٤) فى الواحدى والتبيان والديوان : « فى ذا وفى ذا » .

(٢٦١)

وقال أيضاً [يهجوه] ولم ينشدها أحداً[١] :

١- لَوْ كَانَ ذَا الآكِلُ أَزْوَادَنَا ضَيْفًا لأَوْسَعْنَاهُ[٢] إِحْسَانَا

يقول : هذا الّذِى أكل أزْوادَنَا من غير أن يمدّنا بنعمته ، لوكان ضيفاً لنا لم نعامله مثْل ما عاملنا به ، بل كنا نوسعه إحساناً ، خلاف ما يفعله بنا . وأراد بأكل الأزواد : أن مُقامه عنده يفْنى نفقاته[٣] .

٢- لَكِنَّنَا فِى الْعَيْنِ أَضْيَافُهُ يُوسِعُنَا زُورًا وَبُهْتَانًا

يقول : ولكنّنى فى الظاهر ضيْفه ونازل عليه ، وقِرَايَ[٤] عنده هو أن يوسِعُنِى[٤] زورًا وبهتانا ، ويعدنى[٤] بالمواعيد الكاذبة .

٣- فَلَيْتَهُ خَلَّى لَنَا طُرْقَنَا أَعَانَهُ اللهُ وَإِيَّانَا

يقول : ليته إذا لم يحسن إلىّ خلّى سبيلى ولم يحبسنى ، فقد رضيتُ من صلته وبره بتْخلِيَةِ سبيلى . ومثْله لامرئ القيس :

وَقَدْ طَوَّفْتُ فِى الآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالإِيَابِ[٥]

---

(١) ع : « ونظر إلى الأسود فقال ولم ينشدها أحدًا » . الواحدى ٦٩٠ : « ونظر إلى الأسود يوما فقال » . التبيان ٤ /٢٤٨ : « ونظر يوما إلى كافور فقال » . الديوان ٤٨٤ : « ونظر إلى الأسود يوما فقال فيه » . العرف الطيب ٥٤٧ .

(٢) ع : « لأوليناه » .

(٣) قال الواحدى : فى الآكل أزوادنا وجهان : أحدهما أنه أتاه بهدايا ، فلم يكافئه عليها . والآخر أن أبا الطيب يأكل عنده من خاصة ماله وينفق على نفسه مما حصل معه وهو يمنعه الارتحال ، فكأنه يأكل زاده حين لم يبعث إليه شيئًا . ويمنعه من الطلب .

(٤) ع : « وقرانا . . . . يوسعنا . . . ويعدنا » .

(٥) شرح ديوانه ٤ وإعجاز القرآن للباقلانى ١٢ وشعراء النصرانية ١ /٦٩ . وقد ذكر أن البيت مثل يضرب عند القناعة بالسلامة . ومواسم الأدب ١ /٧ .

(٢٦٢)

[٣٢٥ – ب] وكتب إليه أبو الطيب يستأذنه فى المسير[١] إلى الرّملة لتنجُّز مالٍ له بها ، وإنّما أراد أن يعْرف ما عنده[٢] فى مسيره ولا يكاشفه .

فأجابه : لا والله[٣] – أطال الله بقاك – لا نكلّفك المسير لتنجز مالَكَ ، ولكنّا ننفذ رسولاً قاصداً يقْبضه[٤] ويأتيك به فى أسرع وقت[٥] ، ولا تؤخّر ذلك إنْ شَاء اللهُ تعالى ، فلما قرأ الجواب قال[٦] :

١ – أَتَحْلِفُ لاَ تُكَلِّفُنِى مَسِيرًا إِلَى بَلَدٍ أُحَاوِلُ فِيهِ[٧] مَالاَ
٢ – وأنت مكلفى أَنْبَى[٨] مَكَانًا وَأَبْعَدَ شُقَّةً وَأَشَدَّ حَالاَ

«أَنْبى مَكَانًا» : من نَبَا بك المنزل ، إذا لم يُمكِن[٩] المُقَام فيه ، ويدْفعك لارتفاعه . وروى : «أَنْأَى مَكَانًا» : أى أبعد مكانا .

يقول : أنت تحلف أنك لا تكلفنى تجشم الارتحال لاقتضاء الحال ، وأرَدْتَ التخفيف[١٠] علىّ ، وليس الأمر كذلك ، فإنّك كلّفتنى ما هو أشد وأبعد منه ،

---

(١) ق : « فى مسيره » .

(٢) مقدمة الديوان « ما عند الأسود » .

(٣) ق : « لا والله » مهملة .

(٤) ق : « يقتضيه » .

(٥) مقدمة الديوان « مدّة » .

(٦) الواحدى ٦٩١ : « وكتب إليه أبو الطيب فى المسير إلى الرملة لتنجزّ مال له بها وإنما أراد أن يعرف ما عند الأسود فأجابه : لا والله لانكلفك المسير ولكنا نبعث من يقبضه لك » . التبيان ٣ /٢٧٥ : « وقال أبو الطيب واستأذن كافورا فى المسير إلى الرملة ليخلص مالا فقال : نحن نبعث فى خلاصه ونكفيك » الديوان ٤٨٥ نص المذكور . العرف الطيب ٥٤٧ .

(٧) ع : « منه » .

(٨) ع : « أنأى » .

(٩) ق : « يكن » .

(١٠) ق : « أراد للتخفيف » .

وأراد حبسه إياه على وجه العمر[١] .

وقيل : أراد ما عزم عليه من الهرب والخروج من مصر ، والتقدير : أنْبِ منه مكانا وأبعد منه شقّة[٢] وأشد منه حالاً ، فحذف « منه » تخفيفاً ، والمحذوف يرجع إلى المسير .

٣ – إِذَا سِرْنَا عَنِ الْفُسْطَاطِ يَوْمًا فَلَقِّنِيَ الْفَوَارِسَ وَالرِّجَالاَ

يقول : إذا سرت عن الفسْطاط ، وصار بيْنى وبيْنه مسيرة يوم ، فأنفذ خلفى الخيل والرجال[٣] و « يَوْمًا » نصب على الظرف ، والعامل فيه « سرنا » أى قطعْنَا[٤] بالسير يوماً[٥] .

٤ – لِتَعْلَمَ قَدْرَمَا[٦] فَارَقْتُ مِنِّى وَأَنَّكَ رُمْتَ مِنْ ضَيْمِى مُحَالاَ

أى لقّنى الفوارسَ والرّجالَ ؛ لتعلم قدرى فى شجاعتى ، ودفعى عن نفسى ، وتعلم أنّك طلبت أمراً محالا .

وقيل : إن اللام من « لتَعْلَمَ » متعلقة بمحذوف أى رحلْتُ من أعْمالك لتعلم أنك لا تقدر على ضيْمى .

(٢٦٣)

وأقام أبو الطيب بعد أن أنشده قصيدته البائيّة[٧] سنةً لا يلقى الأسود ، إلا أن يركب فيسير معه فى الطريق لئلا يوحشه ، وقد عمل على مراغمته والرحيل

---

(١) ق : « العمر » ساقطة .

(٢) ق : « مشقة » .

(٣) ع : « والرجالة » والمراد خلاف الفارس أو الراكب .

(٤) ق : « قطعت » .

(٥) ويريد : ابعثهم إلىّ ليردونى إليك : أى أنه لا يقدر على ردّه .

(٦) فى التبيان والديوان « قدر مَنْ » .

(٧) ع : « القصيدة اليائية » .

عنه[١] ، فأعد الإبل وخفّفَ الرَّحْل .

وقال [يهجوه] فى يوم عرفة من سنة خمسين وثلاث مئة ، وذلك قبل مسيره من مصر بيوم واحد[٢] :

١ – عِيدٌ بِأَيةِ حَالٍ عُدْتَ ياعِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ لأَمْرٍ فيك[٣] تَجْدِيدُ

كأنّه قال : هذا عيدٌ[٤] ثم خاطب العيد فقال : ياعيد بأيةِ حالٍ عدْت ؟! هل عدت بما مضى من حالك ، أم فيك تجديد لأمرٍ آخر ؟

و« تجديد » مبتدأ ، و « لأمر » خبره ، و« فيك » صفة لأمر . وقيل : « تجديد » مبتدأ و « فيك » خبره و « لأمْر » مفعول له .

٢ – أَمَّا الأَحِبَّةُ فَالْبِيدَاءُ دُونَهُمُ فَلَيْتَ دُونَكَ بِيدًا دُونَهَا بِيدُ

« البِيدُ » : جمع البَيْداء والهاء فى « دونها » للبِيدِ قبلها .

يقول : بينى وبين أحبابى فلاة بعيدة فما أصنع بك مع البعد عنهم ! لأن الإنسان إنما يُسَرّ[٥] بالعيد إذا كان معه أحبَّته . فأما مع بُعْدهم ، فليتَ بينى وبينَك فَلَوات دونها فلوات .

٣ – لَوْلاَ العُلاَ لَمْ تَجُبْ بِى مَا أَجُوبُ بِهَا وَجْنَاءُ حَرْفٌ وَلاجَرْدَاءُ قَيْدُودُ

[٣٢٦ – ا] « لم تَجُب » أى تقطع . و « الوجْناء » النَّاقة العظيمة الوجنات ،

---

(١) ع : « وقد صد على مراغمته وعلى الرحيل عنه » .

(٢) الواحدى ٦٩١ : « وقال يوم عرفة وقد خرج من مصر سنة خمسين وثلاث مئة » . التبيان ٢ /٣٩ : « وقال يهجوه فى يوم عرفة ، قبل مسيره من مصر بيوم واحد سنة خمسين وثلاث مئة » . الديوان ٤٨٥ نص هذه المقدمة . العرف الطيب ٥٤٨ .

(٣) ع : والتبيان والواحدى « بأمْرٍ فيك » رواية .

(٤) أى « عيد » خبر لمبتدأ محذوف تقديره المذكور : هذا عيد .

(٥) فى النسخ : « إنما يسير » تحريف .

وقيل : هى العظيمة الخَلْق ، وقيل : الصُّلْبة . و« الحرف » القوية ، وهى مشبهة بحرف الجبل ، وهى الضامرة وقيل : التى انحرفت من الهزال إلى السمن ، وقيل : السريعة الحادة ، مشبهة بحرف السيف . و« الجرداء » من صفة الخيل ، وهى القصيرة الشعر ، وقيل : هى السابقة . و« القَيدود » : هى الطويلة . و« وجناء » فاعل « لم تجبْ بى » « وما » فى موضع نصب والهاء فى « بها » ضمير الوجناء قبل الذِّكْر .

يقول : لولا ما أطلبه من العُلاَ لم تقطع بى فلواتٍ ناقةٌ وجناء ولا فرس جرداء .

ولو ساعده الوزْن لقال : لولا العلا لم تجبْ بى الوجناء ما أجوب بها من الفلاة [١] .

٤ – وَكَانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْفَىْ مُضَاجَعَةً أَشْبَاهُ رَوْنَقِهِ الْغِيدُ الأَمَالِيدُ

« الغيد » : جمع أغيد وغيْداء وهى الحسنة الجيد [٢] الناعمة . و« الأماليد » : جمع الأمْلود ، وهى اللينة الأعطاف الرخص الناعمة . والهاء فى « رونقه » للسيف و« مضاجَعَة » نصب على التمييز .

يقول : لولا طلب العلا لكان أطيب من مضاجعتى سيفى مضاجعة النساء الحسان الغيد النواعم ، اللّواتى يشبهن رَوْنق السيف فى الصفاء والطلاوة [٣] .

ورونق السيف : ماؤه وجوهره .

٥ – لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِى وَلا كَبِدِى شَيْئًا يُتَيِّمُهُ [٤] عَيْنٌ وَلا جِيدُ

« يُتيِّمه » [٤] : يتعبَّده بالحب .

يقول : إن الدهر قد ملأ قلبى من المحن والشدائد ، ولم يترك بى موضعًا [٥]

---

(١) ع : « يعبوب » مكان « ما أجوب » ، « فلاة » مكان « الفلاة » .

(٢) ق : « الجيدة » وفى اللسان يقال : غيد الغلام وغيدت الفتاة فهو أغيد وهى غيداء . والأغيد : الوسنان المائل العنق .

(٣) ق : « والطراوة » .

(٤) فى الواحدى والديوان والتبيان والعرف الطيب « تتيمة » .

(٥) ق : « شيئًا » .

يشغله العشق ، إلى حُسْن عنق أو عين [١] .

٦ – يَاسَاقِيَىَّ أَخَمْرٌ فى كُئُوسِكُما أَمْ فى كُئُوسِكُمَا هَمٌّ وتَسْهِيدُ ؟

يقول : ياساقيىّ إن ما فى كئوسكما خمْر ، أو حزن ، منع [٢] من النوم ، فكلما شربت ازددت حزنًا وسهرًا بخلاف عادة سائر الخمور .

٧ – أَصَخْرَةٌ أَنَا ؟ مَا لِى لاَ تُغَيِّرُنى [٣] هَذِى الْمُدَامُ وَلا هَذِى الأَغَارِيدُ !

يقول : كأنّى صخرة لا يؤثر فىّ الشراب والغناء ! ولا يحدثان فىّ السرور .

و « الأغاريد » : الأغانى ، وأصلها تغْريد الطائِر ، إذا رجّع صوته .

٨ – إِذَا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللوْنِ صَافِيَةً وَجَدْتُهَا ، وحَبِيب النَّفْسِ مَفْقُودُ

يقول : إذا أردْت الشّراب واللهو ، وجدت الخمر ، ولكن الحبيب مفقود !

وقيل : أراد بالحبيب : الشّرف ، أى إذا تشاغلْتُ بالخمر فقدتُ العزّ والعُلاَ .

٩ – مَاذَا لَقِيتُ منَ الدُّنْيَا ؟ وَأَعْجَبُهَا أَنِّى بِمَا أَنَا بَاكٍ مِنه مَحسُود !

يقول : ما أعجب ما ألقاه من هذه الدنيا ! وأعجب ما لقيت [٤] : أنى أُحسد على ما أبكى منه ! يريد كونه عند الأسود وقربه منه .

١٠ – أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرٍ خَازِنًا وَيَدًا أَنَا الْغَنِىُّ وَأَمْوَالى الْمَوَاعِيدُ

يقول : أمسيْتُ ويدى فى راحة ، وكذلك أمْسىَ خازنى فى راحةٍ ، لأنه لاشىء

---

(١) ق : « جيد » .

(٢) ق : « أو حزن ومنع » .

(٣) الواحدى والتبيان والعرف الطيب : « لا تحركنى » .

(٤) ع : « بقيت » تحريف .

فى يدى أحتاج إلى حفظه ، ولا فى يد خازنى . وأنا الغنى من المواعيد الكاذبة[١] .
وأراد بالغنى : غنى النفس ، وأراد : إنى بغير مال كافور .
و « خازنًا » و « يدًا » [٣٢٦ - ب] نصبا على التمييز .

١١- إِنِّى نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيْفُهُمُ عَنِ القِرَى وَعَنِ التِّرْحَالِ مَحْدُود

يقول : إنى نزلت على قوم كذابين ، ضيفهم ممنوع من القِرى الذى يُعدّ للضيوف ، وكذلك ممنوع عن الرحيل ، فلا يضيفونه ولا يخلون سبيله .

١٢- جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الأَيْدِى وَجُودُهُمُ مِنَ اللِّسَانِ فَلاَ كَانُوا وَلاَ الْجُودُ

يقول : عطاء الناس من الأيدى ، وهو المال ، وعطاؤهم من الألسنة ، وهو الوعد ، ثم دعا عليهم فقال : لا كانوا ولا كان جودهم .

١٣- مَايَقْبِضُ الْمَوْتُ نَفْسًا مِنْ نُفوسِهِمُ إِلاَّ وَفِى يَدِهِ مِنْ نَتْنِها عُودُ

يقول : إن الموت لايباشر أنفسهم بيده عند قبْضها ، استقذارا لها[٢] ، بل ينزعها من الجسد بعودٍ فى يده توقّيًا من نَتْنِها .

١٤- مِنْ كُلِّ رِخْوٍ وِكَاءِ الْبَطْنِ مُنْفَتِقٍ لاَ فِى الرِّجَالِ ولا النِّسْوَانِ مَعْدودُ

يصف هذه النفوس ، وأن كل واحدة منها بهذه الصفة . وقوله : « رِخو وِكاء البَطْن منفتقٍ » أى إنه رخو الشَّرج[٣] لا يحبس ما يخرج منه ، وهكذا يكون الخصىّ . وإنما عنى به كافورًا وحده ، وأخبر عنه بلفظ الجمع .

١٥- أَكُلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ أَوْ خَانَهُ فَلَه فِى مِصْر تَمْهِيدُ

---

(١) يقول : إنه قد صار غنيًّا ، ولكن خازنه ويده مستريحان من نقل المال وحفظه ، لأن أمواله مواعيد كافور وهى لا تحتاج إلى أن تقبضها ، أو يحفظها خازن .

(٢) فى النسخ : « بها » .

(٣) ق : « الضرج » وقال الواحدى : المعنى أنه ضراط فساء لا يوكى على ما فى بطنه من الريح .

يقول : كافور اغتال سيده (أى قتله غيلة[١]) وجلس مكانه ، وهكذا كل عبد فى مصر إذا خان مولاه أو قتله ارتفع شأنه عند الأسود .

١٦- صَارَ الْخَصِيُّ إمَامَ الآبِقِين بِهَا فَالْحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ وَالْعَبْدُ مَعْبُودُ

الهاء فى « بها » لمصر .

يقول : لما ملك كافور مصرَ هرب كلُّ عبْد من مولاه وانضم إليه ، فالحُرّ ذليل كأنه عبد ، والعبد مخدوم بها معظَّم .

١٧- نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِبِهَا فَقَدْ بِشِمْنَ وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيدُ

النَّواطير[٢] : جمع ناطور ، وهو حافظ الزّرع . ويجوز بالطاء والظاء .

يقول : غفل الملوك عن مصر وأهملوها فتمكن منها العبيد والأرذال ، فجمعوا الأموال وأتْخموا من كثرتها .

شبه مصر بالبُسْتان . والملوك بالنواطير ، والغواة بالثعالب .

١٨- العَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِى ثِيَابِ الحُرِّ مَوْلُودُ

الهاء فى « أنّه » تعود إلى « حُرّ » وأراد به ابن الإخشيد ، لأنه كان يُسمَّى كافورا أخاه . فيقول : إن الحرّ لا يصلح [٣] أن يكون العبد أخاه ، لو كان حرًّا ولد فى ثياب الأحرار . يعنى : لو كنت وُلدتَ فى ثياب حُرٍّ لما اتخذته أخاك .

وقيل : تعود إلى « العبد » والمعنى : أن العبد لو ولد فى ثياب الحر لما كان يصلح أن يكون أخًا للحر ، لأنه ينزع إلى أصله [٤] .

(١) لأن كافور - فيما يقوله المتنبى - وضع السم لأنوجور . انظر مقدمة الكافوريات .

(٢) النواطير جمع الناطور : فارسى معرب وهو « الناظور » ، وقد رواه بهذه الرواية صاحب التبيان وقال الجواليقى رواية عن الأصمعى الناطور هو الناظور « والنبط تجعل الظاء طاء » ألا تراهم سموا الناظور ناطورًا - انظر المعرب ٣٨٣ . وقال ابن جنى : أقره المتنبى بالمهملة والمعروف بالمعجمة ؛ لأنه من نظرت . وقيل : هو بالعربية بالمعجمة وبالنبطية بالمهملة وذكره الجوهرى والأزهرى فى حرف الطاء المهملة . انظر التبيان وهامش الديوان .

(٣) ع : « لا يصلح » ساقطة . (٤) ع : « إلى لؤم أصله » .

١٩-لاَ تَشْتَرِ الْعَبدَ إلاَّ والْعَصَا مَعَهُ إنَّ الْعَبِيدَ لأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ

المناكيد : جمع مِنْكَاد ، ومَنْكُود ، وهو قليل الخيْر .

يقول : العبْد نجس نكد لا يستقيم إلا بالضرب .

٢٠-مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِى أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ يُسِيءُ بِى فِيهِ كَلْبٌ وَهْوَ مَحْمُودُ

الها فى « فيه » للزّمَن [٣٢٧ - ا] .

يقول : ما ظننت أنى أبقَى إلى زمن يسىء بى فى ذلك الزّمان كلبٌ ، وهو محمود على إساءته لى . وأحتاج إلى مدحه مع ذلك .

٢١-وَلاَ تَوهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فُقِدُوا وَأَنَّ مِثْلَ أَبِى الْبَيْضَاءِ مَوْجودُ

لقَّبه بضد اسْمه [١] كما يقال للأعمى : البصير [٢] .

يقول : ما ظننت أن الناس يُفْقَدُون وكافور يبقَى بعدهم مع خسة نفسه ودناءة [٣] أصله .

٢٢-وَأَنَّ ذَا الأَسْوَدَ الْمَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ تُطِيعُهُ ذِى الْعضَارِيطِ [٤] الرَّعَادِيدُ

« العضاريط » : الأتباع والخدم [٥] واحدها عِضْروط و « الرعاديد » الجبناء واحدهم رِعْديد .

يقول : لم أتوهّم أن هولاء السِّفلة الأرْذال تطيع مثل هذا الأسود ، حتى يجوز عليهم أمْره ، وأنه يحصل له مثل هذا المُلْك والتسلّط عليهم .

٢٣-جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِى وَيُمْسِكُنِى لِكَىْ يُقَالَ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودُ

---

(١) ع : « لقبه باسم الصد » .

(٢) ع : « أبو النصير » .

(٣) ع : « ودناءته » .

(٤) فى النسخ « الغطاريط » .

(٥) العضاريط : جمع عضروط . وهو الذى يخدم الناس بطعام بطنه .

يقول : قاسى [١] فى الجوع قلبه الذى قاساه فى عبوديته ؛ فلهذا لاتسمح نفسه بالعطاء ، وهو مع ذلك يأكل من زادى : أى يطالبنى بأن أمدحه بشعرى .

وقيل : أراد يحبسنى من غير عطاء فأحتاج إلى أن أُنْفِق مَالى ، وإنما يمسكنى عنده ليقال : إنه مقصودٌ يمدحه مثلى من الشعراء .

٢٤-إِنَّ امْرَأً أَمَةٌ حُبْلَى تُدَبِّرُهُ لَمُسْتَضَامٌ سَخِينُ الْعَيْنِ مَفْئُودُ

« المفئود » الذى أصيب فؤاده ، أى عقله ، وجعله « أمة حبلى » لخصاه وعظم بطنِه . يعرض بابن مولاه ، (ابن الإخشيد) .

يقول : من جعل أمره إلى أَمَةٍ حُبلى حتى تدبّره ، فهو مقهور ذليل سخين العين مصاب الفؤاد ، زائل العقل .

٢٥-وَيْلُمِّهَا خُطَّةً وَيْلُمِّ قَابِلِهَا لِمِثْلِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ

« وَيْلُمِّهَا » تعجب ، وأصلها : وَيْلٌ لأمّها ، فلما كَثُر استعمال هذه الكلمة خفّفتْ وحذفت اللام والهمزة [٢] ، وجعلت الكلمتان واحدة . و « خُطَّةً » نصب على التمييز والها فى « ويُلمِّها » للخطة و « المهرية » إبل منسوبة إلى مَهرة ، قبيلة من اليمن [٣] . و « القود » : الطوال الأعناق .

يقول : ما أعجب هذه الخطة ! وما أعجب من يرضى بها ! وإنما خلقت المهْريّة لتركب أنفةً من هذه الحال .

٢٦-وَعِنْدَهَا لَذَّ طَعْمَ الْمَوْتِ شَارِبُهُ إِنَّ الْمِنِيَّةَ عِنْدَ الذُّلِّ قِنْدِيدُ

القِنْديد : الخمر ، وقيل : هى التى فيها الأفاوية [٤] ، والهاء فى « عندها »

(١) ع : « قاسى » ساقطة .

(٢) فأصبحت : « وَىْ لأمها » .

(٣) بطن من قضاعة ينسب إليها الإبل ، وجدها مهرة بن حيدان . انظر المعارف ١٠٤ .

(٤) الأفاوية : التوابل ، يقال : فوه الطعام أى طيبه بالأفاوية . اللسان . وقال الأصمعى : هو عصير يطبخ ويجعل فيه أفواه الطيب وليس بخمر . التبيان . وقيل عسل قصب السكر .

للخطة وهى الحالة والقضية .[١] يقال : إن فلانًا يكلفنى خطة من الخسف .

يقول : وعند هذه الخطة يستلذّ الموت كما يُستلَذ [٢] الخمر المطيبة بالأفاوية .

وهذا كقوله :

الموت أحْلى عِندنَا مِنَ العَسَلْ
لاَعَارَ بِالمَوتِ إذَا الْموتُ نَزلْ[٣]

٢٧- مَنْ عَلَّمَ الأسْودَ الْمخصِىَّ مَكْرُمَةً أَقَوْمُهُ البِيضُ أَمْ آباؤهُ الصِّيدُ؟!

يقول : من أيْن تعلم هذا الخصى الأسود المكارم ؟! أتعلمها من قومه البيض الألوان ! أو البيض الكرام ! أو من آبائِه الملوك !

يعنى : ليس له فى الكرم أصل فكيف يهتدى إلى فعل المكارم وإتيان [٣٢٧ - ب] الجميل ؟! يلوم نفسه لطلبه الغنى عنده مع لؤم أصله .

٢٨- أمْ أُذْنُهُ فى يَد النَّخَّاسِ دَامِيَةً أَمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بِالفَلْسَيْنِ مَرْدُودُ

نَصَبَ « دَامية » على الحال من « أذْنه » .

يقول : أعلّمته المكرمة إدماء النخاس أذنه عرْكًا ، أم قدره وهو لايساوى فَلْسين [٤] .

٢٩- أَوْلَى اللِّئامِ كُوَيفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ فِى كُلِّ لُؤمٍ وَبَعْضُ الْعُذْرِ تَفْنِيدُ

يقول : إنّ كافورًا أوْلى اللئام بأنْ يعذر فى كل لؤم ! وقوله : « وبعضُ العُذْرِ

---

(١) ع : « والقصة » .

(٢) ع « يستلذ الموت كما يستلذ » ساقط .

(٣) نسبا إلى الأعرج المعنى وهو شاعر مخضرم . الحماسة رقم ٨٨ ومعجم المرزبانى ٢٥١ والمثل السائر ١ /١٤٣ . وانظر تخريجه فيما سبق من شرحنا هذا .

(٤) الفَلْس : عملة يتعامل بها منذ القدم . مضروبة من غير الذهب والفضة وغالبا ما تكون نحاسا . وكانت قديمًا تقدر بسدس الدرهم . وهى اليوم تساوى جزءا من ألف من الدينار فى العراق والكويت .

تفْنِيدُ » : أى عذرى له تفنيد [١] وتوبيخ ونهاية فى اللَّوْم ، وهجو [٢] صريح ؛ لأنى إنما أعذره وأدع لومه لخسته .

٣٠- وَذاكَ أنَّ الْفُحُولَ الْبِيضَ عَاجِزَةٌ
عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصْيَةُ السُّود ؟

« الخصية » : جمع خصىّ .

يقول : أنا أعذره ؛ لأن الذكور الأحرار تعجز عن الجميل ، فكيف . لا يعجز السود الخصيان ؟

هذا آخر ما قاله فى كافور [٣] وإنما أخرنا مدح فاتك [٤] لئلاَّ يختلِط بغيْره ، وسنأتى بمدحه بعد هذه القصيدة إن شاء الله تعالى .

(٢٦٤)

خروج المتنبى من مصر إلى الكوفة

وكان [٥] جميع جيرانه يراعونه حتىّ كان قومٌ يمرّون [٦] حذاء منزله يتعرفون [٧] مَنْ يدخُلُ إليه ويخرج مِنْ عنده ، ويغدو كلّ يومٍ صاحب الخبرَ إلى

---

(١) التفنيد : اللوم والتقريع .

(٢) ق ، شو : « وهو » .

(٣) ع : « هذا آخر ما قاله فى كافور » ساقط . وفى مقدمة الديوان بدل هذه العبارة : « ولما مدح أبو الطيب أبا شجاع فاتك شق على الأسود وشقت عليه قصيدة الحمى » .

(٤) يريد فاتك الإخشيدى أبو شجاع وسنذكر له ترجمة وافية عند ذكر شعره فيه . وقد قاله فى أثناء مدحه لكافور وآخره للسبب المذكور .

(٥) قبل هذا فى مقدمة الديوان : « وكانت للأسود عليه عيون » .

(٦) ع : « يهرون » تحريف مقدمة الديوان : « يسهرون » .

(٧) مقدمة الديوان : « يتفقدونه » .

بابه ، حتى يقف على حاله وهو يعلم ذلك ولا يظهر [١] لهم .

وكان يتسلّى بفاتكٍ وبالحديث معه ، وتوفّى فاتكٌ فعمل [٢] أبو الطيب على الرحيل ، وقد أعد كل ما يحتاج إليه على مرّ الأيام فى لطْفٍ ورفْقٍ ولا يُعلِمُ به أحدًا من غلمانه ، وهو يظهر الرغْبة فى المقام ، وطال عليهم التحفّظ ، فخرج فدفن الرّماح فى الرمْل ، وحمَل الماء على الإبِل فى اللّيل من النيل عُدّة لعشر ليالٍ ، وتزوّد لعشْرين وكتب إلى أبى القاسم [٣] عبدالعزيز بن يوسف الخزاعى [٤] .

١ – جَزَى عَرَبًا أَمْسَتْ بِبَلْبِيسَ رَبُّهَا بِمَسْعَاتِهَا تَقْرَرْ بِذَاكَ عُيُونُهَا

وروى : بِبُلَبْيْس [٥] وهو مكان بأعلى الشام دون مصر على بحر القلزم ، والمسعاة : واحدة المساعى [٦] .

يقول : جزى الله العرب الذين هم أهل هذا المكان بمساعيها جزاء حسنًا تقر [٧] بذاك عيونهم . و « ربها » فاعل « جزى » : أى جزاها ربُّها .

٢ – كَرَاكِرَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلاَنَ سَاهِرًا جُفُونُ ظُبَاهَا لِلْعُلاَ وَجُفُونُهَا

---

(١) مقدمة الديوان : « يعلم بذلك فلا يظهره لهم » .

(٢) ع : « فعمد » .

(٣) ق : « وركب إلى ابن القاسم . . . الخزامى » تحريفات .

(٤) أحد رجال الصحراء نزل عنده المتنبى حين مرّ ببلبيس فأضافه وأكرمه وسيره . انظر ذكرى أبى الطيب ١٤٥ . الواحدى ٦٩٥ : « وقال بمصر وكتب إلى عبد العزيز بن يوسف الخزاعى » . التبيان ٤ /٢٤٩ : « وكتب إلى يوسف بن عبد العزيز الخزاعى » . الديوان ٤٨٨ قريب جدًّا من هذه المقدمة . فى العرف الطيب ٥٥٦ : « وكتب إلى عبد العزيز بن يوسف الخزاعى فى بلبيس يطلب منه دليلا فأنفذه إليه » .

(٥) بلدة فى الشمال الشرقى لمدينة القاهرة على طريق الإسماعيلية وتطل على الصحراء الشرقية لجمهورية مصر العربية . كان يسكنها قبائل بدو ، وقد تحضرت الآن . فيها توفى الخليفة العزيز الفاطمى ، وكانت مركزًا حربيًّا فى أيام الصليبيين والأيوبيين ، وفى ياقوت : بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام ثم يذكر البيتين الأولين للمتنبى وفى النسخ « بتلبيث » مكان : « بِبُلْبيس » .

(٦) وهى المكرمة .

(٧) أى تبرد . كناية عن السرور .

« كَراكِر »[١] أى جماعات ، وهى بدل من « عرب » .

يقول : جفون سيوفهم فقدت نصولها ، وجفون عيونهم فقدت نومها ؛ لأنهم يسهرون لطلب المعالى ، شاهرين سيوفهم للذبّ عنهم[٢] . ولما ذكر سهر عيونهم ، ذكر سهر جفون السيوف ؛ لتجانس اللفظ .

٣ - وَخَصَّ بِهَا[٣] عَبْدَ الْعزِيز بْنَ يُوسُفٍ
فَمَا هُوَ إلا غَيْثُها وَمَعِينُها

روى : « مَعِينُها » و « مُعِينها »[٤] والهاء فى « بها » يرجع إلى الأرض : التى هى بلبيس . وقيل : إلى الدّعوة التى يدل عليها قوله : « جزى الله » والهاء فى « غَيثُها » و « معينها » يرجع إلى العرب : أى خص الله بهذه الدعوة هذا الرجل ، فإنه سيد هذه العرب ، يقوم جوده لها مقام الغيث .

والمعين : الماء الجارى من العيون .

٤ - فَتًى زَانَ فى عَيْنَىَّ أَقْصَى قَبِيلِهِ وَكَمْ سَيِّدٍ فِى حِلَّةٍ لَايُزَيِّنُهَا

القبيل : الثلاثة فصاعدًا من ولد أب واحد ، أو من قوم شتّى . والقبيلة : لاتقال إلا فى ولد أب واحد ، والحلة : جماعة بيوت الأعراب والجمع الحلل .

يقول : زيَّنَ فى عينَىَّ قبيله[٥] وصار قومه مفتخرين به وبشرفه ، وكم سيدٍ لايتجاوز فخره إلى غيره .

---

(١) هم جماعات من قيس بن عيلان . وقيس عيلان قبيلة . الواحدى والعرف الطيب والتبيان .

(٢) ع : « عنها » .

(٣) فى الواحدى والتبيان والعرف الطيب « وخص به » .

(٤) ع : « معنيها » .

(٥) ع : « قبيلته » .

(٢٦٥)

وأخْفَى [١] طريقَه فلم يأخذُوا له أثرًا حتى قال بعضُ أهلِ البادية : هبْهُ سارَ فهل محا أثره ؟

وقال بعض المصريين : إنّما أقامَ حتى عمل طريقًا تحتَ الأرض .

وتبعه البادية والحاضرة ومن وثقوا به من الجند ، وكتبوا إلى عوالة الحَوْفين [٢] والجِفَار وغزّة والشام وجميع البوادى . وعبرَ أبو الطيّب بموضعٍ يعرف بنَجْه الطير [٣] إلى الرّثنة [٤] حتى خرج إلى ماء يعرف بنخْل ، وتسمّيه العامة بحرا [٥] فى التّيه [٦] بعد أيّامٍ ، فلقى عنده فى اللّيْل ركْبًا وخيْلاً صادرةً عنه ، فقاتلوه فأخذهم وتركهم ، وسار حتى خرج من قرب النّقاب ، فرأى رائِديْن لبنى سلم على قلوصَيْن ، فركب الخيْلَ وطردهما حتى أخذهما ، فذكرا له أن أهلها أرسلوهما رائِدين ، وَوَاعَدهُمَا [٧] النّزولَ ذلك اليوم بين يديه ، فاستبقاهما ورد عليهما القلوصَيْن وسلاحهما ، وسارَ وهما معه حتى توسّط بيوتَ بنى سلم آخر الليل . فضربَ له ملاعبُ ابن أبى النّجم خيمةً بيضاء وذَبح له .

وغدا وسار إلى النّقع [٨] فنزل ببادية من معن وسنْبس [٩] فذبح له عفيفُ

---

(١) ق : « وأخفى » بياض مكانها .

(٢) مقدمة الديوان : « إلى أعمالهم بالحوفين » . والعوالة : أى المستعان بهم . اللسان .

(٣) ع : « بتحت الطريق » والمذكور عن مقدمة الديوان . ونجه الطير : موضع بين مصر وأرض التيه . معجم البلدان .

(٤) ق : « إلى المدينة » .

(٥) ع : « نخرا » .

(٦) التيه : الموضع الذي ضل فيه موسى عليه السلام وبنو إسرائيل فى أرض سيناء .

(٧) مقدمة الديوان : « وواعدوه » . فى النسخ : « واعدا مهما » .

(٨) ق : « النفع » .

(٩) ق : « بين معن وسفين » . ع : « من معن وسبين » .

المعنى غنماً وأكْرمَه ، وغدا من عنده وبين يديه اثنان [١] من جذيم يدلاّنه ، فصعد فى النّقَب المعروف بتُرْبان ، وفيه ماء يُعرف بعرند [٢] فسار يومًا وبعض ليلةٍ [٣] ونزل .

وأصبح فدخل حِسْمى [٤] وحِسْمى هذه أرضٌ صُلْبة تؤدِّى إلى أثر النّخلة من ليِنها ، وتنبت جميع [٥] النبات ، مَمْلوءة جبالا فى كبد السماء ، متناوحة ملس الجوانب [٦] إذا نظر الناظر إلى قُلَّةِ أحدها فتل عنقه – حتىّ يراهَا – بشدّة . ومنها ما لا يقدر أحدٌ أنْ يصعده [٧] ، ولايكَاد القتامُ يفارقه ، ولهذا لما قال النابغة :

وأصبَحَ عالقا بجبال حِسْمَى دِقاقَ التُّرْبِ مُخْتَرِمَ القَتَامِ [٨]

اختلف الناس فى تفسيره ، ولم يعلموا ما أراده .

يكون مسيرة ثلاثة أيامٍ فى يومين ، يعرفها من رآها من حيث رآها [٩] لأنها لا مثل لها فى الدنيا ، ومن جبالها جبَلٌ يعرف بإرَم [١٠] عظيم العلوّ ، تزْعم أهل البادية أن فيه كرومًا وصنوبرًا [١١] – فوجد بنى فزارة بها شَاتِين ، فنزلَ بقومٍ من عدىّ فزارة [١٢] ، فيهم أولاد لاحق بن محلب ، وكان محلب هذا خَرَج يطلب ناقة له

(١) ع ومقدمة الديوان : « لصّان » . بدل : « اثنان » .

(٢) ع : « غرند » مقدمة الديوان « غرندل » . وفى معجم البلدان . عرندل : قرية من أرض السراة من الشام . (٣) ع : « يومه وبعض ليلته » .

(٤) يصف ياقوت أرض حسمى فيقول : أرض بادية الشام . وقيل : إنها أرض غليظة وماؤها كذلك لا خير فيه، تنزلها جذام . ثم ذكر بعض أبيات المتنبى فيها .

(٥) « سائر » فى مقدمة الديوان .

(٦) ق ، شو : « مساحوجة فلس الجوانب » .

(٧) ع . ق ، شو : « ما لا يقدر عليه أن يصعده » .

(٨) التبيان ٤ /٢٦٩ ومقدمة الديوان ٤٩٠ .

(٩) ع : « يراها » .

(١٠) إرم : قال ياقات : اسم علم لجبل من جبال حسمى من ديار جذام .

(١١) ق : « على البادية فوجد بنى فزارة » إلخ والتكملة من سائر النسخ وياقوت « حسمى » .

(١٢) انظر نهاية الأرب فى أنساب العرب للقلقشندى ٣٥٧ .

فقدَها . وكانت بنو فزارة قد أخذت غَزِيًّا غزيَها [١] فكانت الأسْرى فى القِدّ بين البيوت[٢] . فسمِعَه [٣] بعضُ الأسرى ينشد الناقة فقال له : هى بموضع كذا وكذا وجدناها أمس وشربنا لبنها وتركناها لنعود فنأخذها . فقال مخلب : على شهادتكم يامعشر العرب . ثم عاد فلبس سلاحه وركب فرسه فقال : الغزىّ ضيوفى فخلصهم من القِدّ بعد اختلاف الناس وخوف الشر . فرد عليهم كل شىء أخذ لهم وقراهم وسيّرهم وميّرهم [٤] فقال مخلب [٥] :

فإن تك ناقتى منعت غَزِيًّا تَجرُّ صِرارَهَا ترعى الرِّحابا
فأىُّ فتى أحقّ بذاك منّى وأجدر فى العشيرة أن يهابا[٦] ؟

[٣٢٨ – ب] وكانت بينه (أى بين أبى الطيب) وبين أمير فزارة : حسّان بن حكمة[٧] مودّة وصداقة . فنزل بجار للقوم ليوارى عنهم ، فلا يعلم ما بيْنه وبينَهم ، واسم الجار : ورْدَان بن ربيعة من طيّىء ، ثم من معن ثم من بنى شبيب . فاستغوى عبيده وأفسدهم عليه ، وأجلَسَهم مع امرأته ، فكانوا يسرقون له الشىء بعد الشىء من رحْله .

وطابت حسمى لأبى الطيب فأقام بها شهرًا ، وكتب كافورٌ إلى من حوله من العرب ووعدهم ، وظهر لأبى الطيّب فساد عبيده ، وكان الطائىّ يرى عندَ أبى

---

(١) ق ، شو : « غيرنا غزيها » تحريف . والغزىّ : اسم جمع بمعنى غزاة . اللسان .

(٢) ق : « فى القد بين بين البيوت » مقدمة الديوان « فى الفد بين اليوت » . والقد : السير من الجلد .

(٣) ع : « فلمحه » .

(٤) ق : « وميرهم » . ع : « وميرهم » . والميرة : الطعام يجمع للسفر ونحوه والمعنى أعطاهم طعام السفر . اللسان .

(٥) ق ، ع : « فقال مخلب » مقدمة الديوان : « وقال » . فقط .

(٦) مقدمة الديوان ٤٩١ .

(٧) ع : « وكانت بينه وبينهم وبين فزار حسان بن حكمة » إلخ . مقدمة الديوان : « وكانت بينه وبين أمير فزارة حسان بن حكمة » إلخ .

الطيب سيفًا مسطورًا فيسأله [١] أن يريَه إيّاه فلا يفعل ؛ لأنه كان على قائمه ونعله ذهب [٢] من مائة مثقال ، وكان السيف لاثمن له ، فجعلَ الطائى [٣] يحتال على العبيد بامراته طمعا فى السّيف ؛ لأن بعضهم أعطاه خبره ، فلما أنكر أبو الطيب أمر العبيد ووقف على مكاتبة [٤] كافور لكلّ العرب الّتى حوْله فى أمره ، أنفذ رسولاً إلى فتًى من بنى فزارة ، ثم من بنى مازن من ولد هرم بن قطبة [٥] . [بن سيار يقال له : فليتَةَ بن محمد وفيهم يقول بعض البادية :

إذَا مَا كُنتَ مُغتربًا فجاورْ بَنى هرم بن قُطْبَة أو دثارا]
إذَا جَاوَرْتَ أدْنَى [٦] مازِنىٍّ فَقَدْ أَلزَمْتَ أقصَاها الجِوَارا [٧]

وكان وافقه قبل ذلك على المراسلة فسارَ إليه . وترك أبو الطيّب عبيدَهِ نيامًا [٨] وتقدم إلى الجمال فشدّ على الإبل وحمل خوفًا أن يحتبس [٩] عنه عبيده فى الليل ، ولم يعلموا حتى نبَّهَهُمْ [١٠] وطرحهم على الإبل وجنّب الخيلَ ، وسار تحت الليل والقوم لا يعلمون برحيله ، ولا يشكون أنه يريد البياض ، فلما صار برأس الصوان [١١] أنفذ فليتة [١٢] بن محمد إلى عرب بين يديه وتوقف .

---

(١) ع : « فسأله » .

(٢) « لأنه كان قائمه ونعله ذهب » إلخ .

(٣) ع : « الطائى » ساقط .

(٤) ع : « مطالبة » .

(٥) ق : « هرمز بن قطبة » تحريف . ع : « بن قطبة أو دثار » .

(٦) ق : « أقصى » .

(٧) نسب البيتان إلى المتنبى فى زيادات الواحدى ٨٥٩ وفى النسخ من « ابن سيار » إلى آخر البيت الأول « ساقط والتكمله من مقدمة الديوان .

(٨) ع : « نياما » مهملة .

(٩) « يحتبس » مكانها بياض فى ق : وفى . ع : « يحس » تحريف .

(١٠) ع : « أنبههم » .

(١١) ق : « فلما سار الصوان » .

(١٢) ق : « أنفذ قبيلة » . ع : « فتيلة » تحريفات .

وأخذ أحدُ العبيد فى الليل السيفَ فدفعه إلى عبد آخر ودفع إليه فرسَه ، وجاء ليأخذ فرس مولاه فانتبه أبو الطيب فقال الغلام : « أخذ العبد فرسى أخذ العبد فرسى »[١] يغالط بهذا الكلام ، وعدا نحو الفرس ليقعد على ظهره ، والتقى هو وأبو الطيب عند الحصان ، وسل العبد السيف فضرب رسنَه[٢] ، فضرب أبو الطيب وجه العبد فقسمه ، فخرّ على رتْمةِ أنفه[٣] ، وأمر الغلمان فقطعوه ، وانتظر الصباح وكان هذا العبد أشدّ مَنْ معه وأفرسهم .

فلما أصبح أتبع العبدَ عليًّا الخفاجى وعلوانًا المازنى ، فأخذا أثره ، فأدركاه عصرًا ، وقد قصر الفرس الذى تحته ، فسألها عن مولاه فقالا جاءك مِنْ ثَمَّ ، وأشارا إلى موضع ، فدنا منهما كالعائذ وهو يتبصّر[٤] فقالا له : تقدّم ، فقال : ما أراه ، فإن رأيته جئتكما[٥] وإن لم أره فما لكما عندى إلاّ السّيف ، فامتنع عنهما وعادا فى غدٍ ، ووافقا عودة فليتة فقال فليتة : لقد كان فيما جرى خيرة ، لأن الوقت الذى اشتغلتم بقتله فيه كانت سُرَب الخيل عابرة مع ذلك العلم ، ولو كنتم زلتم عن موضعكم لحدث بعضكم بعضا ، فقال أبو الطيبّ ارتجالا[٦] :

١ – فَإِنْ تَكُ[٧] طَيِّئٌ كَانَتْ لِئَامًا فَأُمُّهُما رَبِيعَةُ أَوْ بَنُوهُ

يقول : إن كانت طيىء لئامًا فربيعة (الذى هو أبو وردان) وبنوه أكثرهم لؤما[٨] . وقوله : « أوبنوه » معناه : وبنوه « أو » فى معنى الواو [٣٢٩ – ا] .

(١) « أخذ العبد فرسى » دون تكرير أو قل توكيد فى ع ومقدمة الديوان .

(٢) ق : « رأسه » .

(٣) ق : « رتم أنفه » وهى ساقطة من مقدمة الديوان .

(٤) ق : « كالعائذ وهو يتبصر » مكانها بياض . (٥) ع : « جئت لكما » .

(٦) الواحدى ٦٩٦ : « وقال يهجو وردان بن ربيعة من طيئ الذى نزل به فى طريقه إلى مصر » . التبيان ٤ /٢٦٨ : « وقال يهجو وردان وكان أفسد عبيده » . الديوان ٤٨٩ – ٤٩٣ قريب من المقدمة المذكورة . العرف الطيب ٥٥٧ .

(٧) فى الديوان والتبيان : « إن تك » . الواحدى : « وإن تك » العرف الطيب : « لئن تك » .

(٨) فى النسخ : « لؤم » .

٢ – وَإِنْ تَكُ طَيِّئٌ كَانَتْ كِرَامًا فَوَرْدَانٌ لِغيرِهِمِ أَبُوهُ

يقول : إن كانت طيّئ كراما ، فأبو وِرْدان ليس منهم ، بل من غيرهم ، لأنه لئيم وطيّئ كرام . و « كانت » فى البيتين زائدة ، والتقدير : إن تك طيئ كراما ، وإن تك طيئ لِئاما .

٣– مَرَرْنَا مِنْهُ فِى جِسْمَى بِعَبْدٍ يَمُجُّ اللُّؤْمَ مَنْخِرُهُ وَفُوهُ

جِسْمى : أرض بالسماوة . ويقال : مَنْخر : بفتح الميم وكسرها .

يقول : نزلنا عليه بجسمى ، فوجدناه عبدًا لئيمًا يمجّ[1] اللؤم أنفه وفوه .

٤– أَشَذَّ بِعِرْسِهِ عَنِّى عَبِيدِى فَأَتْلَفَهُمْ وَمَالِى أَتْلَفُوهُ

« أشذّ » أى فرّق . والباء للسبب أى بسبب عرسِه[2] .

يقول : فرّق عنّى عبيدى وأفسدهم بامرأته وأتلفهم ، وهم أتلفوا مالى .

٥– فَإِنْ شَقِيَتْ بِأَيْدِيهِمْ جِيَادِى لَقَدْ شَقِيَتْ بِمُنْصُلِيَ الْوُجُوهُ

يقول : إن كانت خيلى شقيت بأيدى عبيدى : أى سرقوها ، فقد شقيت بسيفى وجوهَهم .

يصف ماكان من أخذ عبيده فرسه ، وقتله للآخر[3] .

---

(١) يمج : يقذف والمعنى : مررنا منه بعبد قد امتلأ لؤمًا حتى لوكان اللؤم مجسمًا لسال من أنفه وفمه .

(٢) عرسِه : بكسر السين . امرأته .

(٣) وذلك أن عبدين له أخذا فرسًا وسيفًا له . فنجا أحدهما وهرب . وقتل أبو الطيب الثانى . انظر مقدمة القطعة رقم ٢٦٥ .

(٢٦٦)

وقال يهجو وَرْدَان بن ربيعة[١] :

١- لَحَا اللهُ وَرْدَانًا وَأُمًّا أَتَتْ بِهِ لَهُ كَسْبُ خِنْزِيرٍ وَخُرْطُومُ ثَعْلَبِ

يقول : لعن الله وردانًا وأمَّه التى أتت به[٢] فإنه قبيح الوجْه لئيم الكسْب ، يقود على أهله ويكتسب بالقيادة .

وإنما خص « كسب خنزير » لأن كسبه لا يتضمن الشجاعة ، بخلاف سائِر السباع ، وقيل : لأنه يفسد الزرع ونحوه مما لا يفسده سائِر السِّباع ، فلما كان هذا الرَّجل أفْسدَ عبيده شبَّهَهُ بِه . وقيل : لأنه يأكل العذرة والأقذار ، فشبّهه بهِ لقبح كسبه من جهة القيادة ، وجعل له خرطومَ ثعلب[٣] : أى أنْفُه ، وشبّهه بِهِ ؛ قباحةً ووحشةً .

٢- فَمَا كَانَ مِنْهُ الْغَدْرُ إِلاَّ دَلاَلَةً عَلَى أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمِّ بِالْأَبِ[٤]

يقول : غدْرُه بى : دلالة على أن أمّه غدرت فيه بأبيه ، فجاءت به لغير رِشْدة[٥] . وروى : « من الأم والأب » : أى أن أبويه كانا غادرين[٦] .

---

(١) الواحدى ٦٩٧ : « وقال يهجوه أيضا » . التبيان ٢١٩/١ : « وقال يهجو وردان بن ربيعة الطائى ، وقد أفسد عليه غلمانه عند منصرفه من مصر » . الديوان ٤٩٣ : « وقال فيه » .

(٢) قال الواحدى : هى بنت وردان وهى الدودة التى تأكل العذرة . لاتفاق الاسمين جعله كالخنزير الذى يأكل العذرة .

(٣) قال الواحدى : يريد بقوله خرطوم ثعلب أنه ناتئ الوجه . وقال صاحب التبيان جعل له خرطومًا ، لأنه كبير الأنف والفم ، ناتئ الوجه ، فوجهه كخرطوم الثعلب .

(٤) ق ، شو ، ع : « من الأم والأب » .

(٥) المراد به ولد الزنا . وفى الحديث : « من ادَّعى ولدًا لغير رِشدة فلا يرث ولا يورث » اللسان « رشد » .

(٦) يريد أن الغدر موروث له .

٣- إِذَا كَسَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَنِ عِرْسِهِ فَيَا لُؤْمَ إِنْسَانٍ وَيَا لُؤْمَ مَكْسَبِ ! !

الهَنُ : كناية عن الفرج .

يقول : ما ألأم إنسانًا يقود على امرأته ويكسب بهنها ، وما ألأم كسبه ذلك !

٤- أَهَذَا اللَّذَيَّا بِنْتُ وَرْدَانَ بِنْتُهُ
هما الطَّالِبَانِ[1] الرِّزْقَ مِنْ شَرِّ مَطْلَبِ

يقول : أهذا الذى تنسب إليه بنت وردان[2] ! نكد عاهرة ، وأظهر التجاهل لوردان . ثم قال : هما يطلبان الرّزق من أقبح وجوهه ، هو يطلبه بالقيادة ، وتلك تطلبه بالفجور والزنا .

٥- لَقَدْ كُنْتُ أَنْفِي الْغَدْرَ عَنْ تُوسِ طَيِئٍ
فَلَا تَعْذُلَانِي رُبَّ صِدْقٍ مُكَذَّبِ

التوس والسوس[3] : الأصل .

يقول : كنت أنفى الغَدْر عن أصل طيىء ، فكان الأمر بخلاف ذلك ، فلا تعذلانى يا صاحبىّ ، فربّ صدق مكذّب .

(٢٦٧)

وقال أيضًا يصفُ العبدَ الذى قتلَه[4] [وهو فى طريقه من مصر إلى العراق]

١- أَعْدَدْتُ لِلْغَادِرِينَ أَسْيَافًا أَجْدَعُ مِنْهُمْ بِهِنَّ آنَافَا

٢- لَا يَرْحَمُ اللهُ أَرْؤُسًا لَهُمُ أَطَرْنَ عَنْ هَامِهِنَّ أَقْحَافَا

(١) ق ، شو : « هما يطلبان » .

(٢) بنت وردان : دويبة كالخنفساء تألف الأماكن القذرة .

(٣) ق : « التوس والتوس » تحريف وقد جاء فى اللسان : السوس : الأصل . يقال الكرم أو اللؤم من سوسه أى من أصله .

(٤) الواحدى : « وقال أيضا فى العبد الذى أخذ سيفه وفرسه » . التبيان ٢ /٢٩٢ : « وقال فى عبده إذ أخذ فرسه » . الديوان ٤٩٤ : « وقال أيضا » . العرف الطيب ٥٥٧ .

[٣٢٩ - ب] يقول : استعدَدْتُ لكل غادر سيوفًا أقطع بها أنوفهم ، و « أَطَرْنَ » فعل ضمير الأسياف . والأقْحَاف : جمع قحْف ، وهو العظم الذى يكتنف الدّماغ . وقيل: لا يقال له قحف حتّى يبين عن الرأس [١] .

يقول : لا رحم الله رءوسًا أطارت أسيافى عن هامهن أقحافها . والضمير فى « هامهن » « للأرْؤس » .

٣- مَا يَنْقِمُ السَّيْفُ غَيْرَ قِلَّتِهِمْ وَأَنْ تَكُونَ الْمِئُونَ آلَافَا

قوله : « وأن تكون المئون آلافا » فيه محذوف . أى غير أن تكون . وقيل : « ألا يكون » فحذف لا .

يقول : لا ينكر السّيف منهم إلا قلّتهم ؛ لأنه يتمنى كثرة الغادرين ، وأن يكون بدل كل مئة ألفًا ، فهو لا ينكر إلا قلّتهم ، وألاّ يكون المِئون ألوفًا .

٤- يَا شَرَّ لَحْمٍ فَجَعْتُهُ بِدَمٍ وَزَارَ لِلْخَامِعَاتِ أَجْوَافَا

روى : « زار » و « زاد » وفاعله قيل : اللّحم ، وقيل : الدم . و « الخامعات » [٢] الضِّباع .

يقول مخاطبًا للحم عبده الذى قتله : أنتَ شرّ لحمٍ فجعْته[٣] بإراقة دمه ، فشربت الضِّباع من دمه ، وأكلت الضباع هذا اللّحم ، فصار فى أجوافها ، فكأنه زارها . وقوله : « فجعته بدم » أى فرقت بينَه وبين دمه لمَّا قتلته .

٥- قَدْ كُنْتَ أُغْنِيتَ عَنْ سُؤَالِكَ بِى مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ لِى وَمَنْ عَافَا

عفْتُ الطّير وزجرْتُها بمعنى تفاءلت بها و « مَنْ » نصب بالمصدر الذى هو « سؤالك » .

---

(١) القحف « بكسر القاف » : أحد أقحاف ثمانية تكوّن علبة عظمة هى الجمجمة وفيها الدماغ . وأيضا القحف : ما انفلق من الجمجمة فبان .

(٢) وسميت الخامعات لأنها تخمع فى مشيها ، وذلك أن فى مشيها شبه عرج ولذلك قيل لها : العرجاء .

(٣) فجعه : أوجعه بشىء يكرم عليه . والفجيعة : المصيبة المؤلمة توجع الإنسان . اللسان .

يقول : كنتَ غنيًّا عن أن تسأل الكهّانَ[١] ، والزاجرين للطير عن حالِى فى تعرضك لى ، لأنى كنت أعلم بحالى منهم .

٦- وَعَدْتُ ذَا النَّصْلَ مَنْ تَعَرَّضَهُ وَخِفْتُ لَمَّا اعْتَرَضْتَ إِخْلاَفَا

يقول : وعدتُ سيفى هذا أن أقتل به كلَّ من تعرّض له ، فلمّا اعترضتَ له حين أردتَ أخْذ فرسى ، وخفتُ أن تفوتَه وأُخلف سيفى ما وعدته ، فقتلتك .

٧- لاَ يُذْكَرُ الْخَيْرُ إِنْ ذُكِرْتَ وَلاَ تُتْبِعُكَ الْمُقْلَتَانِ تَوْكَافَا

يقول : إذا ذُكِرْت لا تُذْكَر بخير ، ولا يُنْسب الخير إليك ولا تبْكيك عينٌ تفْقدك .

أخذه من قول الله تعالى : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾[٢] .

٨- إِذَا امْرُؤٌ راعَنِى بِغَدْرَتِهِ أَوْرَدْتُهُ الْغَايَةَ الَّتِى خَافَا

يقول : من خوّفنى بغدره قتلْتُه ، وأوردته الغاية التى يخافها وهى الموت .

(٢٦٨)

وسارَ أبو الطيّب حتّى نظر إلى آثار الخيْل ، ولم يجد مع فليْتة خبرًا عن العرب التى طلبها فقال له : احرف[٣] بنا على بركة الله تعالى إلى دُومة الجنْدَل[٤] .

وذلك أنه أشفق أن تكون عليه عيون بحِسمى قد علمت أنه يريد البياض[٥] ،

---

(١) كان هذا العبد سأل عائفًا عن حال المتنبى فذكر له من حاله ما زين له الغدر به . الواحدى .

(٢) سورة الدخان ٤٤ / ٢٩ . (٣) مقدمة الديوان « احرق » .

(٤) شمال غربى نجد وبها جبل طئ وقيل كانت فيها وقعة التحكيم بين علىّ وعثمان . انظر معجم البلدان .

(٥) البياض من الأرض مالا عمر فيه . اللسان .

فسار حتّى وردَ البُوَيْرة[١] بعد ثلاث ليالٍ ، وأدركتهم لصوصٌ فأخذت آثارَهم وهم عليها ، فلم يطمعوا فيهم ، وسار معه منهم حمصىّ بن القلاب ، فلما توسط البُسَيْطة[٢] رأى بعض العبيد ثورًا يلوح فقال : هذه منارة الجامع . ونظر آخر نعامة فى جانبه فقال : وهذه نخلة . فضحك أبو الطيب [٣٣٠ – ا] وضحكت البادية فقال[٣] [يذكر ضلال غلمانه فى حذر الأشباح التى لاحت لهم فى البادية] :

١– بُسَيْطَةُ مَهْلاً سُقِيتِ الْقِطَارَا تَرَكْتِ عُيُونَ عبِيدِى حَيَارَى

« بُسَيْطة » : أرض بقرب الكوفة .

يقول : سقاك المطر يا بُسَيطة مهلاً ، فإنّك حيّرْت عيونَ عبيدى . فدعا لها بالسُّقْيا . ولم يدع عليها لكى تكفّ عن التحيّر ، فلو دعا عليها لزادت فى التّحيير ، فتلطّف لها بالدّعاء بالسّقيا .

٢– فَظَنُّوا النَّعَامَ عَلَيْكِ النَّخِيلَ وَظَنُّوا الصِّوَارَ عَلَيْكِ الْمَنَارَا

« الصّوار » القطيع من البقر [الوحشى] .

يقول : حيّرت عيونَهم حتّى ظنوا أن النّعام نَخيل ، وأنّ الثور منار الجامع .

٣ – فَأَمْسَكَ صَحْبِى بِأَكْوَارِهِمْ وَقَدْ قَصَدَ الضِّحْكُ فِيهِمْ وَجَارَا

يقول : لما سمع صِحَابى ذلك ضحكوا حتّى خافوا أن يسقطوا عن إبلهم ، فتعلّقوا برحالهم ، وفيهم من ضحك ضحكًا معتدلاً ، وفيهم من جاوز الحد فى

---

(١) البويرة : تصغير البئر الذى يستقى منه الماء . ويطلق على عدة أماكن منها : موضع قرب وادى القرى قرب بسيطة وبسيطة : مفازة قرب الكوفة . انظر شرح البيت رقم ١١ وياقوت .

(٢) بلفظ التصغير أرض فى البادية بأطراف الشاه قرب الكوفة . انظر معجم البلدان وشرح البيت رقم ١ وفى مقدمة الديوان « بُسَيطة » .

(٣) الواحدى ٦٩٨ : « وقال أيضًا » . التبيان ٢ ١٤٧ : « وقال عند مصرفه من مصر . وقد وصل إلى البسيطة . فرأى بعض غلمانه ثورا . فقال : هذه منارة الجامع . ورأى آخر نعامة برية فقال : هذه نخلة » . الديوان ٤٩٥ المقدمة المذكورة . عرف . نصيب ٥٥٨ .

الضّحك . وروى : « قَسَط » أى عدل الضّحكُ فى بعضهم وجار فى بعضهم [١] : وروى « قصد » وهو فى معناه .

(٢٦٩)

وَوَرَدَ العُقْدةَ [٢] بعد ليالٍ ، وسقى بالجُراوىّ [٣] ، واجتازَ ببنى جعْفَر بن كلاب وهو بالبريّة والأضارع [٤] فباتَ فِيهِم ، وسار إلى أعكُش حتى نزل الرُّهَيْمة [٥] . ودخَلَ الكوفَة فقال [يصِفُ منازلَ طريقِهِ ويفْخر بمسيرِهِ فى الْبادِيةِ ويهْجو كافوراً] فى شهر ربيعٍ الآخر [٦] سنة إحْدَى وخمْسِين وثلاث مئة :

١- أَلاَ كُلُّ مَاشِيَةِ الْخَيْزَلَى فِدَى كُلِّ مَاشِيَةِ الْهَيْدَبَى

« الخَيْزَلى » و « الخَوْزَلَى » [٧] : مشية النساء ، وهى مشيةٌ فيها تثنّى وتفكّكٍ ،

---

(١) ق : « وجار فى بعضهم » ساقطة .

(٢) المراد بها عقدة الجوف ، فى سماوة كلب . انظر معجم البلدان وشرح البيت رقم ١٢ .

(٣) الجراوى : بضم الجيم وفتحها مكان معروف ومنهل مخصوص لطيئ . ابن جنى فى الفسر ١٣ وياقوت .

(٤) ق ، ع : « الأرضاع » تحريف . والأضارع : اسم بركة من حفر الاعراب فى طريق الحاج . ياقوت وانظر شرح البيت رقم (١٤) .

(٥) الرّهيمة : ضيعة غربى الكوفة . النظام لابن المستوفى وشرح البيت رقم ١٦ .

(٦) ع : « ربيع الثانى » .

ق : انفردت بزيادة هذه العبارة بعد ذلك « قال الشيخ أستاذنا وأنشدها إنشادا » . الديوان والواحدى والعرف الطيب ٥٥١ : « فى شهر ربيع الأول » . الفسر ١ /١٢١ . الواحدى ٦٩٩ : « وقال لما دخل الكوفة يصف طريقه من مصر إليها ويهجو كافوراً فى شهر ربيع الأول سنة ٣٥١ » . التبيان ١ /٣٦ : « وقال يذكر خروجه من مصر وما لقى ويهجوا الأسود » . الديوان ٤٩٥ قريب من هذه المقدمة إلا أنه ذكر أن ذلك كان فى شهر ربيع الأول . العرف الطيب ٥٥١ .

(٧) ذكر ابن جنى أن : الخيزلى والخوزلى والخيزرى والخوزرى : بمعنى واحد وقال فضلا عن المذكور فى الشرح أنها من مشى الخيل أيضا . الفسر . وقال المعرى يقال : الخيزلى والخيزلَى والخيزرى والخوزرى بمعنى واحد . تفسير أبيات المعانى .

و « الهيدبَى »[١] : مشية الإبل فيها سرعة .

يقول : جعل الله كلّ امرأة تتثنّى فى مشيتها فداءً لكل ناقة تسرع فى سيرها[٢] .

و « الخيزلى » و « الهيدبى » نصب على صفة المصدر المحذوف : أى كل ماشية تمشى مشية الخيْزَلى والهيْدَبى .

٢- وَكُلُّ نَجَاةٍ بُجَاوِيَّةٍ خَنُوفٍ وَمَا بِىَ حُسْنُ الْمِشَى

النّجاة[٣] : السريعة . والبُجَاوِيّة : منسوبة إلى بُجَاوة ، وهى قبيلة من البربر ، يطاردون عليها فى الحرب[٤] ، والخنوف : التى تميل يدها فى سيرها .

يقول : جعل الله كلّ امرأة تمشى الخيْزَلى ، فدى كلّ ناقة سريعة . ثم بين أنه لم يفْدِهنّ بالإبل لأن مشيَة الإبل أحْسن من مشية النِّساء ، ولكنْ لأجل النفع والبُعد من الضيم . و « المِشَى » : جمع مِشْية .

٣- وَلَكِنَّهُنَّ حِبَالُ الْحَيَاةِ وَكَيْدُ الْعُدَاةِ وَمَيْطُ الْأَذَى

يقول : إنما فديتهنّ بها ؛ لأن الإبل حبال الحياة : أى أسباب الحياة ، ينجو بها الإنسان من المهالك ، وبها يكيد الإنسان عدوّه ، ويدفع الأذى بها عن نفسه .

٤- ضَرَبْتُ بِهَا التِّيهَ ضَرْبَ الْقِمَا رِ إِمَّا لِهَذَا وَإِمَّا لِذَا

---

(١) قال ابن جنى : يقال « الهيدبى » بالدال غير معجمة ، والذال أثبت . المرجع السابق وبمثله قال المعرى فى تفسير أبيات المعانى .

(٢) يعنى أنه من أهل السفر تعجبه الخيل القوية على السير ، وليس ممن يعشقون النساء ويتغزلون بمحاسن مشيهن .

(٣) قال المعرى : هو اسم وضع للإناث دون الذكور لأنهم قالوا للناقة « نجاة » ولم يقولوا للبعير « نجى » تفسير أبيات المعانى .

(٤) وصف المتنبى تعطفها وتثنيها فقال : يرمى الرجل منهم بالحربة فإن وقعت فى الرمية طار الجمل إليها حتى تناولها صاحبها ، وإن وقعت فى الأرض أسرع الجمل إليها حتى يضرب بِجِرَانه الأرض ليأخذها صاحبها . الفسر ١ /١٢٤ .

التّيه : بريّة على جانب مصر ، وهى التى تاه فيها قوم موسى عليه السلام[١]

يقول : [٢٣٠ – ب] ضَرْبُهُ بها إمّا للنّجاة ، وإما للهلاك ، كما يفعل المقامرُ .

٥– إِذَا فَزِعَتْ قَدَّمَتْهَا الْجِيَادُ وَبِيضُ السُّيُوفِ وَسُمْرُ الْقَنَا[٢]

٦– فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وَفِى رَكْبِهَا عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غِنَى

« نخل » : ماء معروف . و « ركْبها » : يعنى نفسه وغلمانه . أى مرّت هذه الإبل على هذا الماء ، وأصحابها يغْنون[٣] عن هذا الماء ، لما لهم من العدّة ، وعن العالمين ، لقوّتهم وشجاعتهم .

٧– وَأَمْسَتْ تُخَيِّرُنَا بِالنِّقَا بِ وَادِى الْمِيَاهِ وَوَادِى الْقُرَى

« النِّقاب » : موضع[٤] ، يفترق منه طريقان : إلى وادى المياه ، وإلى وادى القرى .

يقول : لمّا وصلنا إلى هذا المكان خيّرتنا الإبل فقالت : خُذْ أىّ الطريقين شئت . وروى بالباء : أى خبّرتْنا[٥] . وقالت : هذا طريق وادى المياه ، و [هذا طريق] وادى القرى .

٨– وَقُلْنَا لَهَا : أَيْنَ أَرْضُ الْعِرَاقِ ؟ فَقَالَتْ وَنَحْنُ بِتُرْبَانَ : هَا

---

(١) ما ذكره هو المراد هنا فإنه ركبها إلى السماوة وتولى منها إلى العراق وتسمى بتيه بنى إسرائيل أو بطن نخل . وقد وقع لابن جنى أن التيه اسم جنس فقال : التيه : الأرض التى يتاه فيها لبعدها يقال وقع فلان فى التيه والتوه . انظر الفسر ١ /١٢٥ .

(٢) يقول ابن جنى : أى يتقدمها من يحميها ويمنع عنها ، ومعنى « قدّمتها » أى تقدمتها . الفسر ١ /١٢٦ والمعنى : إذا فزعت هذه الناقة تقدمتها الخيل الجياد ، لأنهم كانوا يجنبون الخيل ويركبون الإبل . وإذا لاقوا أعداءً ركبوا الخيل . ونسب الفزع إليها على حذف المضاف ، أى فزع راكبها . التبيان .

(٣) ع : « يعنى » . ق : « يفتون » تحريفات .

(٤) من أعمال المدينة . ذكره ياقوت واستشهد بقول المتنبى المذكور هنا فيه . وقال المعرى قوله : « النقاب » ليس هو اسم موضع بعينه وإنما هو من قولهم : ورد الماء نقابا . إذا لم يعلم حتى يرده فكأنه ادعى للإبل أنها من خبرتها تخبرهم بالمياه . ووادى القرى بدل من النقاب بدل تعيين . تفسير أبيات المعانى .

(٥) ع : « أخبرتنا » .

تُرْبان[١] : موضع و « ها » حرف إشارة . والمراد : ها هى هذه ، فحذف الجملة وترك الحرف الذى هو « ها » .

يقول : لمّا وصلنا إلى تُرْبان سألناها عن أرض العراق فقالت عندما كنا بتربان : ها هى هذه بين أيديكم . يعنى العراق . فعلى هذا يكون الواو للحال .

وقيل : معناه أنها قالت : نحن قد حصلنا[٢] بتربان ، وهى قريبة من العراق[٣] فيكون ذلك من قول الإبل .

٩- وَهَبَّتْ بِجِسْمَى هُبُوبَ[٤] الدَّبُو رِ مُسْتَقْبِلاَتٍ مَهَبَّ الصِّبَا

« هَبَّتْ » : أى أسرعت . والدّبور[٥] : من قِبَل الغرْب ، ويستقبل المشرق ، وهو مهبّ الصّبا . وقيل : الصّبا محلها من ناحية قبلة العراق ، والدبور يقابلها .

يقول : إنها سارت بنا سيرًا سريعًا كأنها الدبور استقبلت مهبّ الصّبا .

١٠- رَوَامِى الْكِفَافِ وَكَبْدِ الْوِهَادِ وَجَارِ الْبُوَيْرَةِ[٦] وَادِى الغَضَى

« روامى » أى قواصد ، موضعه نصب على الحال . و « الكفاف ، وكبد الوهاد ، وجار البويرة »[٦] كلها مواضع . ووادى الغضى بدل من « وجارِ البويرة »[٧] .

يقول : إن هذه الإبل البجاوية قصدت هذه المواضع ، وعبرت عليها .

١١- وَجَابَتْ بُسَيْطَةَ جَوْبَ الرِّدَا ءِ بَيْنَ النَّعَامِ وَبَيْنَ الْمَهَا

« جَابَتْ » : أى قطعت . و « بسيطة » : مفازة بقرب الكوفة .

(١) تربان : اسم لعدة مواضع ولعل المراد منها صقع بين سماوة كلب والشام . ياقوت وقال الواحدى : هى من أرض العراق .

(٢) ق ، شو : « قد خلصنا » . (٣) ع : « وهذه وقرية من العراق » .

(٤) ق ، شو ، ع : « مهب » .

(٥) الدبور : الريح الغربية . والصبا : الريح الشرقية . فالمعنى هبت فى هذا الموضع كهبوب لريح الغربية مستقبلة جهة الشرق . (٦) ع : « البريدة » .

(٧) ق : من « وجار البويرة . . . . وجار البويرة » ساقط انتقال نظر .

يقول : قطعت الإبل بسيطة وشقتها كما يشق الرِّداء ، ومسيرها بين النَّعام وبقر الوحش[١] .

١٢- إِلَى عُقْدَةِ الْجَوْفِ حَتَّى شَفَتْ بِمَاءِ الْجُرَاوِىِّ بَعْضَ الصَّدَى

« عقدة الجوف » : موضع معروف، والجراوىّ[٢]: منهل معروف .

يعنى : أنها سارت من بسيطة إلى عقدة الجوف ، فشربت من الجُراوىّ حتى شفَتْ بعضَ عطشها ، ولم تستوف الشّربَ عجلةً أو خوفًا ، أو حرصًا على السّير ، أو خشية أن يثقلها كثرة الشّرب [٣٣١ - ا] .

١٣- وَلَاحَ لَهَا صَوَرٌ وَالصَّبَاحَ وَلَاحَ الشُّغُورُ لَهَا وَالضُّحَى

صَوَر ، والشغور : اسما موضعين[٣] بقرب العراق[٤] .

يقول : سارت طول ليلها فظهر لها صَوَر عند الصّبح وظهر لها الشّغور[٥] مع وقت الضّحا .

١٤- وَمَسَّى الْجُمَيْعِيَّ دِئْدَاؤُهَا وَغَادَى الْأَضَارِعَ ثُمَّ الدَّنَا

هذه أسماء المواضع ، والدِّئداء : سير سريع .

يعنى : أنها وصلت إلى الجُمَيْعِيّ مساءً فأسْرعت فيه السّير ، وجاءت إلى الأضارع . والدَّنَا : وقت الغداة .

---

(١) وذلك لأن هذه الأماكن بعيدة من الإنس تأوى إليها الوحوش . وهى موضع فى سماوة كلب بين الشام والعراق . معجم البلدان .

(٢) الجراوى : منهل مخصوص ومعروف لطىء . انظر ياقوت والفسر ١ /١٣٢ .

(٣) ع : « اسما موضع » .

(٤) قال ابن جنى : قال أبو عمرو الحرمي « صَوْرى » اسم ماء فقلت لأبى الطيب وقد قرأت عليه هذا البيت فرأيته قد تشكك وأرنى سألته عن « صَوَرٌ » هذا ما هو ؟ فقال : هو ماء . . . . وقال : قال لى أعرابى : « إذا وردت الشغور فقد أعرقت » يريد العراق . الفسر ١ /١٣٢ .

(٥) ق ، شو : « فظهر صور عند الصبح وظهر لنا الشغور » .

١٥- فَيَالَكَ لَيْلاً عَلَى أَعْكُشٍ أَحَمَّ الْبِلاَدِ خَفِيَّ الصُّوَى

« أعكُش »[١] : مكان معزوف . و « أحمّ » أسود . و « الصُّوَى » : أعلام وحجارة تنصب على الطريق ، الواحدة : صوّة . وقوله : « فيالك » تعجُّبٌ . و « لَيْلاً » نصب على التمييز .

يقول : ما أعجب ليلاً فى أعكُش ! وما أشدّ ظلامه وسواد البلاد ! حتى خفيت الأعلام .

١٦- وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ فِي جَوْزِهِ وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى

« الرُّهَيْمة » : قرية بقرب الكوفة . وعنى « بالجوْز » ها هنا صدر اللّيل .

يقول : ورَدنا الرّهيمة وما بقى من اللّيل أكثر مما مضى[٢] .

١٧- فَلَمَّا أَنَخْنَا رَكَزْنَا الرِّمَا حَ فَوْقَ مَكَارِمِنَا وَالْعُلاَ

يقول : [لما نزلنا الكوفة][٣] أنخْنا إبلنا وركَزْنا رماحَنا فوق العزّ والمكارم . يعنى هذا المسير فخرٌ لنا عالى المحل ؛ لأنّا أرْغمنا به أنف كافور مع ملْكه .

(١) أعكش : موضع بقرب الكوفة . العرف الطيب ٥٥٣ وياقوت .

(٢) قال ابن المستوفى فى كتابة النظام : « الرهيمة » ضيعة غربى الكوفة .

وقال أبو الفتح : جوز كل شىء وسطه ، وعنى بالجوز ها هنا صدر الليل . وما بقى من الليل أكثر مما مضى وهذا معنى قول ابن فورجه .

وقال أبو العلاء : الجوز ، الوسط . وبعض من لا علم له بالعربية يسأل عن هذا البيت ويظن أنه مستحيل لأنه يحسب أنه لما ذكر الجوز ، وجب أن تكون القسمة عادلة فى النصفين . فيذهب إلى أن قوله : « وما فيه أكثر مما مضى » كأنه نقض للكلام المتقدم وليس الأمر كذلك ، ولكنه جعل ثلث الليل الثانى كالوسط وهو الجوز . ثم قال : « وباقيه أكثر مما مضى » كأنه ورد ، والثلث الثانى قد مضى ربعه وبقى ثلاثة أرباعه وأكثر ، وهذا بين واضح . والهاء فى باقية يجوز أن ترجع إلى الليل وإلى الجوز .

وقال القاضى أبو الحسن علىّ بن عبد العزيز : أخطأ أبو الطيب لما قال : « فى جوزه » ثم قال : « وباقية أكثر مما مضى » كيف باقية أكثر مما مضى ؟ ! وقد قال فى جوزه . وقال ابن فورجة : هذا تجن من القاضى والهاء فى جوزه لأعكش وهو مكان واسع . والرهيمة : ماء وسط أعكش والكلام صحيح . انظر النظام وتفسير أبيات المعانى والفسر والواحدى والتبيان .

(٣) ما بين المعقوفتين عن الواحدى والتبيان والعرف الطيب .

١٨-وَبِتْنَا نُقَبِّلُ أَسْيَافَنَا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدى

يقول : لما وصلنا إلى وطننا قبّلنا أسيافَنا شكرًا لها ، ومسحنا عنها دماء الأعداء الذين قتلناهم بها .

١٩-لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ . أَنِّى الْفَتَى

يقول : فعلنا هذا ؛ ليعلم أهلُ مصر ، وأهل العراق ، وأهل العواصم[١] : (أى سيف الدولة) . أنّى الفتى الكامل فى جميع الخصال .

٢٠-وَأَنِّى وَفَيْتُ وَأَنِّى أَبَيْتُ وَأَنِّى عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا

يقول : فعلتُ هذا ؛ ليعلم من فى مصر «أنى وفّيت » بما وعدْتُ[٢] من سيْرى حيث قلتُ :

وإنْ بُليتُ بِوُدٍّ مثْلَ وُدّكم[٣]

و « أنّى أبيت » ضيم كافور ، وأنى قهرت كلّ طاغ .

٢١-وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلاً وَفَى وَلاَ كُلُّ مَنْ سِيمَ خَسْفًا أَبَى

« سِيم » : أى كُلِّف . والخسف : الذلّ .

يقول : [ما] كل أحد إذا قال قولاً ، صدق قوله كما [ل] فعله ، وليس كل من حُمِل على ضيْمٍ أباه ودفعه عن نفسه .

---

(١) العواصم : جمع عاصم ، وهى الحصون التى شمالى سوريا بين حلب وأنطاكية ابتناها المسلمون لصد هجمات الروم ، منها : طرسوس ومرعش وملطية . انظر معجم البلدان .

(٢) يقول الواحدى المعنى : أنى وفيت لسيف الدولة .

(٣) هذا صدر بيت للمتنبى عجزه :

. . . . . فإنّنِى بفَرَاقٍ مثْله قَمِن

ديوان ٤٦٩

وذلك أنه بعد أن انتقل إلى مصر سمع أن قومًا نعوه فى مجلس سَيفَ الدولة بحلب . وقد حكى ابن جنى أن سيف الدولة لما سمع هذا البيت قال : سارَ وحقِّ أبى .

٢٢-وَمَنْ يَكُ قَلْبٌ كَقَلْبِى لَهُ يَشُقّ إِلَى العِزّ قَلْبَ التّوى[١]

[٣٣١ - ب] « التوى »[١] : الهلاك ، أى من كان له مثل قلبى ، دخل قلبَ الهلاك ، حتى يصل إلى العز والعلا[٢] .

٢٣-وَلاَبُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ وَرَأْيٍ يُصَدِّعُ صُمَّ الصَّفَا

يقول : إن الإنسان لا يكفيه جرأة قلبه ، حتى يكون له رأى صائب ، وآلة يتوصل [بها] إلى مرامه ، وإلا أدته شجاعته إلى هلاكه .

٢٤-وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْفَتَى عَلَى قَدَرِ الرِّجْلِ فِيهِ الْخُطَا

يقول : كلّ فعل يفعله الرّجل على قدر شجاعته وهدايته ، وعلى حسب رأيه . ولما جعل الفعْل طريقًا استعار فيه ذكرْ الرِّجْلِ والخُطَا[٣] .

٢٥-وَنَامَ الْخُوَيْدِمُ عَنْ لَيْلِنَا وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمًى لاَكَرَى[٤]

عنى بالخويْدم : كافورا .

يقول : إنه قد نام عن اللّيل الذى سرنا فيه ، وكان فى حال يقظته أيضًا نائمًا ؛ لعمى قلبه لا من النوم الحقيق .

٢٦-وَكَانَ عَلَى قُرْبِنَا بَيْنَنَا[٥] مَهَامِهُ مِنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى

يقول : قد كان كافور على قرب ما بيننا فى المسافة بجسمه ، بعيدًا منا ؛

---

(١) ق ، شو : « النوى » بالنون . ومعناه : البعد . وتَوى الإنسان : هلك . فهو تو . اللسان .

(٢) انفرد التبيان من بين الشراح الذين وقفنا عليهم بتبادل البيتين ٢١ ، ٢٢ فقد وضع الأول بدل الثانى والثانى بدل الأول .

(٣) الخطى : جمع خطوة بالضم وهى ما بين القدمين . أى كل طريق سلكه الإنسان فإنما تتسع خطاه فيه على قدر طول الرجلين . وهذا مثل . أى كل أحد يبلغ مما يحاوله على قدر طاقته وهمته .

(٤) ق : « قبل الأعمى كرى » .

(٥) ق ، شو ، ع : « على قربه بيننا » .

لجهله[١] وعمى قلبه .

٢٧- لَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْخَصِيّ أَنَّ الرُّءُوسَ مَقَرُّ النُّهَى

« النُّهَى » : العقول ، واحدها نُهْيَة .

يقول : كنت قبل أن أرى كافورا أظن أنّ العقل يَحلّ الرءوس ، فكان الأمر لمّا رأيته بخلاف ذلك .

٢٨- فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ رَأَيْتُ النُّهَى كُلَّهَا فِي الْخُصَى

أى ظننت أن العقل يحل الرأس ، فلما رأيت كافورًا وقلّة عقله ، صحّ عندى أن محلّ العقل إنما هو الخُصَى ؛ لأنه لما قُطِعتْ خصيته زال عقله .

٢٩- وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَا

يقول : ماذا فى مصر من أحوال عجيبة مضحكة ! ولكنه ليس يضحك منها ضحك فرح ، ولكنه يضحك تعجبًا ، وهذا الضحك كالبكاء .

٣٠- بِهَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ يُدَرِّسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلاَ

يقول : من جملة ما فيها من المضحكات نبطيٌّ بها ، من أهل السَّواد[٢] ، يُقْرأ عليه أنساب العرب ، وهو يدرك هذه الأنساب ، وهذا مما يُضْحَك منه .

وكان اسم الرجل [ابن] خنزابة وكان أديبًا بمصر[٣] .

٣١- وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ يُقَالُ لَهُ : أَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى

(١) ع : « على قرب ما بيننا فى المسافة بعيدا منا بجسمه ، بعيدا منا لجهله » .

(٢) النبطى : واحد الأنباط وهم قوم من العجم كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين . والمراد بالسواد : سواد العراق .

(٣) فى النسخ : « خرداد » وفى ق ، شو : « وكان ربيا مصر » بدل : « وكان أديبا لمصر » تحريفات . وابن خنزابة كان من أهم الأسباب فى هرب كافور من مصر ، وهو جعفر ابن الفرات ، أبو الفضل بن خنزابة ، وزير ابن وزير ، من العلماء الباحثين ، من أهل بغداد ، نزل مصر واستوزره بنو الإخشيد =

ويقول : ومنها أسود قبيح الوجه ، تدلت شفتُه كأنها مقْدار نصفه ، مع ذلك يقال له : أنْت بدر الدّجى ! وعنى به كافورًا .

٣٢- وَشِعْرٍ مَدَحْتُ بِهِ الْكَرْكَدَنْ نَ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرُّقَى

الكركدّن : كلمة تقال لكل قبيح ، وقيل : هو دابة بالهند[1] .

يقول : ومنها شعرى الذى مدحت به كافورا ، كان فى ظاهره شعرًا ، وفى باطنه رُقْيةً أرقيه بها من جنونه[2] .

٣٣- فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوَ الْوَرَى

يقول : ما قلت فيه من المدح ليس بمدح له ، وإنما كان هجوًّ للناس ؛ لأنهم رغبوا عن الحمد[3] وجميل الذكر ، فأحوجونى إلى مدحه . فمدحى له يدل على

= بها ، مدة إمارة كافور ، وبعد موت كافور قبض عليه ابن طغج وصادره وعذبه فتزح إلى الشام سنة ٣٥٨ وأمنه القائد جوهر فعاد إلى مصر معززا . له تآليف فى أسماء الرجال والأنساب ، توفى بمصر وحمل إلى المدينة بوصية منه فدفن فيها ، اشتهر بنسبه إلى ختزابة وهى أم أبيه الفضل . ابن خلكان ١ /١١٠ والنجوم الزاهرة ٤ /٢٠٣ . وقيل إن المتنبى نظم فيه :

بادٍ هواك صبرت أو لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

ولكنه لم يظفر منه بالعطاء المنتظر فلم ينشدها إياه . ولما خرج إلى إيران صرفها إلى ابن العميد فأعطاه ثلاثة آلاف دينار . راجع ابن العماد فى شذرات الذهب ٣ /٣٢ .

وقيل : إن المتنبى أراد أبا بكر المادرائىّ النسابة ، وإنما يتعجب لأنه ليس من العرب ويعلّم الناس أنساب العرب . انظر الواحدى ٧٠٣ .

(١) الكركدن : حيوان من ذوى الحافر ، عظيم الجثة ، كبير البطن ، قصير القوائم غليظ الجلد ، له قرن واحد قائم فوق أنفه ولذا يقال له : « وحيد القرن » ولبعض أنواعه قرنان الواحد فوق الآخر ، وهو هندى وإفريقى . انظر المعجم الوسيط « كرك » والدميرى وقال ابن جنى الكركدن : كناية وهجو . الفسر ١ /١٣٨ .

(٢) ذكر الواحدى ومن تبعه أن المعنى : رقية أرقية بها لآخذ ماله . يريد أنه كان يستخرج ماله بنوع رقية وحيلة .

(٣) ق ، شو : « العهد » .

سقوط الخَلْق وخسّتهم[١] .

٣٤-وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَصْنَامِهِمْ فَأَمَّا بِزِقٍّ رِيَاحٍ فَلاَ

يقول : قد ضل قوم بالأصنام فعظّموها لحسنها ، وما سمعت أن أحدًا عَبَدَ زِقًّا[٢] منفوخًا ! فلولا جهل أهل مصر ، لَمَا رضوا بحكمه[٣] .

٣٥-وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لاَ يَرَى

يقول : إذا لم يعلم الإنسانُ قدرَ نفسه ، فإن[٤] الناس يعلمون من حاله ما خفى عليه .

يعنى : أنّ كافور[٥] إن كانَ نسى ما كان فيه من الخسّة ومهانة القدر ، فالنّاس يعلمون ذلك من حاله .

---

(١) أراد : أنى مدحت كافور ضرورة . فلو كان فى الناس كريم يغنينى عن مدح مثله لم أمدحه . فلما لم يكن حصلوا لئاما . فمن ها هنا صار هجوًا لهم . أحد المعلقين على الفسر ١ /١٣٨ .

(٢) الزِّق : وعاء من جلد . يجزّ شعره ولا ينتف ويعد للشراب وغيره. اللسان. وذكر المعلق على ابن جنى فى الفسر ١ /١٣٨ فقال : « زق رياح » يرمية بأنه كثير الريح وكان كافور عظيم البطن .

(٣) زاد الواحدى والتبيان بعد ذلك هذا البيت .

وتلك صَمُوتٌ وذا ناطق إذا حرّكُوهُ فَسَا أَوْ هَذَا

وبهذا البيت يصير عدد أبيات القصيدة عند الواحدى والتبيان ٣٦ بيتًا . ولما لم يذكر فى الفسر لابن جنى ولا فى الديوان . ولا فى العرف الطيب ولا فى الشرح الذى معنا أصبح عدد أبياتها ٣٥ بيتا . هذا ولم يذكره المحقق فى زيادات الديوان وأتى به فى بعض النسخ الهامشية للديوان . ومن هنا فإنى أرجح أنه ليس للمتنبى وإنما حمل عليه .

(٤) فى النسخ : « كان » .

(٥) ع : « إن كافور إن كان نسى » . شو ، ق : « إن كان كافورا إن كان نسى » .

(٢٧٠)

وقال أيضًا [يهجو كافورًا][١]

١- وَأَسْوَدُ أَمَّا الْقَلْبُ مِنْهُ فَضَيِّقٌ نَخِيبٌ[٢] وَأَمَّا بَطْنُهُ فَرَحِيبُ

النَّخِيبُ[٣] : الفارغ الخالى ، ويقال للجبان : نخيب . ومنخوب الفؤاد : يعنون أن صدره فارغ لا قلب فيه . والرَّحِيب : الواسع .

يقول : هذا أسودٌ ضيّق القلب بالعطاء ، جبان ليس فيه فؤاد ، وبطنه واسع عظيم ، أوْ أنه شَرِهٌ ليس له همّةٌ إلا جوْفه .

٢- يَمُوتُ بِهِ غَيْظًا عَلَى الدَّهْرِ أَهْلُهُ كَمَا مَاتَ غَيْظًا فَاتِكٌ وَشَبِيبُ

الهاء فى « به » للأسود ، وفى « أهله » للدهر ، و « غيظًا » مفعول له .

يقول : إن الناس إذا رأوا حالة[٤] كافور ماتوا غيظًا على الدّهر – حيث ألقى الدهر إليه أزمّة المُلْك – كما مات شبيب العقيلى وفاتك [المجنون][٥] غيظًا على الدهر .

٣- أَعَدْتُ عَلَى مَخْصَاهُ ثُمَّ تَرَكْتُهُ يُتَبِّعُ مِنِّى الشَّمْسَ وَهْىَ تَغِيبُ

« مخْصاه » : موضع خصيته .

يقول : أخزيته بهجائى له ، فكأنى خصيته ثانية ، ثم رحلت عنه وتركته ينظر

---

(١) الواحدى ٧٠٤ : « وقال يهجو الأسود » . التبيان : لم ترد هذه القطعة . الديوان : ٥٠٠ : « وقال أيضا » . العرف الطيب ٥٥٥ : « وقال يهجوه » . وما بين المعقوفتين زيادة أردنا بها التوضيح .

(٢) ق ، شو : « نجيب » .

(٣) النخيب : يقال قلب نخيب أى فاسد . ورجل نخيب أى ذاهب العقل ويجمع على « نُخُب » اللسان . وفى الواحدى : يقال للجبان : نخيب ومنخوب ونخَب .

(٤) ق ، شو : « إذا رأوا حاله ماتوا » .

(٥) قد مرّ ذكرهما . وسيأتى ذكر فاتك وأشعار المتنبى فيه بعد ذلك .

إلى الشمس وقت غروبها . أى لا يصل إلىّ ، كما لا يصل إلى الشمس إذا غابت . ومثله للمجنون [١] :

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ كَنَاظِرٍ
مَعَ الصُّبْحِ فِى أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ [٢]

٤- إِذَا مَا عَدِمْتَ الأَصْلَ وَالعَقْلَ وَالنَّدَى
فَمَا لِحَيَاةٍ فِى جَنَابِكَ طِيبُ

يعنى : إذا عدمتَ جميع خصال الخَيْر فلا يطيب لأحد الحياة فى قربك .

(٢٧١)

وأنشدَهُ صديق له بمصر من كتاب الخيل [٣] لأبى عبيدة [٤] وهو [٣٣٢ - ب] نشوان [٥] :

تَلُوم علىّ أن أمْنح الوَرْدَ لَقْحَةً وَمَا تَسْتَوى وَالْوَرْدَ سَاعَةَ تَفْزَعِ [٦]

(١) هو قيس بن الملوح : شاعر غزل من أهل نجد ، لقب بذلك لهيامه فى حب ليلى بنت سعد مات سنة ٦٨ . وقال الأصمعى : لم يكن مجنونا وإنما كانت به لوثة كلوثة أبى حيه النميرى . مواسم الأدب ٢ /٤٥ . فوات الوفيات ٢ /١٣٦ وخزانة الأدب ٢ /١٧٠ - ١٧٢ والأغانى ٢ /١ .

(٢) ديوانه ٥٣ ولسان العرب « غرب » ومحاضرات الأدباء ٢ /٧٤ والواحدى ٧٠٤ . ومجموعة المعانى لمؤلف مجهول ١٥٨ وحماسة ابن الشجرى ١٥٦ ضمن أبيات كثيرة فى ليلى منسوبة إلى محمد النميرى وفى مواسم الأدب ٢ /٤٥ .

(٣) ق ، شو : « من كبار الخيل » تحريف . انظر إنباه الرواة ٣ /٢٨٦ .

(٤) هو : أبو عبيدة معمر بن المثنى النحوى . من أئمة العلم والأدب واللغة مولده ووفاته فى البصرة سنة ٢٠٩ له نحو ٢٠٠ مؤلف منها كتاب الخيل .

(٥) لم ترد هذه القطعة فى الواحدى ولا التبيان ولا العرف الطيب ووردت فى الديوان ٥٠٠ .

(٦) نسب فى محاضرات الأدباء ٢ /٦٣٦ إلى يزيد العبدى ، وهو شاعر جاهلى وروايته :

تلوم على أن أعطى الورد لقحه وما تستوى والورد ساعة تفزع

والمفضليات ١٠٦٢ والشعر والشعراء ٣٤٥ ومعجم الشعراء ٤٨١ وفى إحدى نسخ الديوان الهامشية ٥٠٠ منسوب إلى الأعرج المعنى . وقد لامته امرأته على تفضيل فرسه عليها .

فأجابه أبو الطيب :

١- بَلَى تَسْتَوِى وَالْوَرْدُ ، وَالْوَرْدُ دُونَهَا[١]
إِذَا مَا جَرَى فِيكَ الرَّحِيقُ الْمُشَعْشَعُ

« الوَرْدُ »[٢] اسم فرس كان لقائل البيت . فلامته امرأته على قيامه بتعهده وإيثاره على عياله ، فردّ عليها بأبياتٍ منها هذا البيْت ، وبيّن [أن] هذا الفرس أنفع فى حال الشدة منها .

فقال أبو الطيب : إن هذا غير مستمر ، بل هى مثْل الوَرد ، بل الوَرد دونها فى حال اللذّة والشرب . والرحيق : الخمر . المشعشع : الممزوج .

٢- هُمَا مَرْكَبَا أَمْنٍ وَخَوْفٍ فَصِلْهُمَا[٣] لِكُلٍّ جَوَادٍ مِنْ مُرَادِكَ مَوْضِعُ

يقول : كل واحد منهما لحالٍ ، فالمرأة لحال الأمن ، والفرس لحال الخوف ، فكما يكرم أحدهما ليومه فكذلك الآخر .

---

(١) ع : « دونه » .
(٢) ق : « العدد » تحريف .
(٣) ع : « هما مركبا خوف وأمن فمنهما » .